مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

التاريخيات

تعريب
أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم
نظير عبود

توزيع
دار الجيل

مَسرحيات

وليَم شكسْبير

الكامـلة

التَارنيخِيَّاتَ

(٩)

تعـريب

أ . ر . مشـاطي

إشراف وتقـديم

نظـير عـبود

دار نظـير عـبود

يحتوي هذا المجلد

هنري الخامس... ٥
هنري الثامن... ١٤٧

هنري الخامس

تعريب

أ. ر. مشاطي

حقوق هذه الترجمة محفوظة
لدار نظير عبود

ص.ب : ٨٠٨٦/١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ ـ ٩٣٤٧١٤

هنري الخامس

أشخاص المسرحية

الملك هنري الخامس.

دوق كلوستر } شقيقا الملك.
دوق بذْفورْد

دوق إكْساتر : عمّ الملك

دوق يُورْك : إبن عمّ الملك.

كونْت سالْزْبري.

كونْت ويسْتْمورْلنْد.

كونْت ورْويك.

رئيس أساقفة كنْترْبري

اسقف إيلي.

كونْت كمْبْريدْج } مناوئو الملك
لورد إسْكْروب

سرْ توماس كراي } ضبّاط في الجيش الانكليزي.
فلولن
كوآر

ماك موريس
جامي } ضبّاط في الجيش الانكليزي.
سرْ توماس أرْبنْكْهام

باتْس
كورْت } جنود في الجيش ذاته.
ويلْيامْس

نيم
بارْدولْف } لصوص يتبعون الجيش ذاته.
بيسْتولي

مرافق فالستاف : في خدمتهم.
منادي.
شارل السادس : ملك فرنسا
وليّ عهده.
دوق بوركوني.
دوق أورْليان.
دوق بورْبون.
قائد فرنسا.
سير رامْبور.
سير كرانْبري.
حاكم هارْفورْد.
مونْجوَا : نسيب ملك فرنسا.
سفراء فرنسا.
إيزابو : ملكة فرنسا.
كاترين : ابنة شارل السادس وإيزابو.
أليس : مرافقة كاترين.

السيدة كويكْلي : مضيفة أضحت زوجة بيستولي.
المُشْرِف.

سادة، وسيدات، وضباط، وجنود، ورُسُل.

تجري الأحداث تارةً في فرنسا وطوراً في انكلترا

المُشْرِف

لماذا لا أملك ذكاءً متوقّداً يرتفع بي إلى أعلى مستوى الابتكار؟ فأجعل المسرح مملكتي والأمراء ممثلين والملوك مشاهدين في هذا الصرح المتطوّر. عندئذٍ نرى هنري المحارب على سجيّته الحقيقية، يقوم بدور إله الحرب مارْس، يتبعه الجوع والسيف والحريق ككلاب مربوطة بمقودها تزحف وراءه للقيام بوظيفتها المشؤومة. لكن، سامحوني، أيها الحضور الكرام، على هذه الفكرة الخبيثة العاجزة التي تجاسرتْ وتبوّأتْ منبراً متواضعاً لإنجاز عمل جبار كهذا. هل تستطيع هذه الفجوة الصغيرة أن تتّسع وتشمل حقول فرنسا الفسيحة كلها ؟ هل يمكن تجميع كل هذه الخُوَذ التي روّعتْ أجواء آزنْكور في هذه المساحة الحرجيّة الصغيرة؟ أعذروني. هل يتسنّى لعدد مهما كان كبيراً أن يحوي مليوناً في رقعة محدودة؟ أجل، إسمحوا لي بأن أقول لكم إن أصفار هذا الحساب الهائل قد تحتوي قدرات مخيّلتكم الخصبة. فتصوّروا ان هذه الأسوار الضخمة تضمّ مملكتين عظيمتين لا يفصل بينهما سوى مضيق نشيط مهدَّد، يشكل إمتداداً غير عريض من مياه

الأوقيانوس. نرجوكم إذاً أن تعوّضوا بسماحتكم عن تقصيرنا وسوء تعبيرنا وتصرّفنا أحياناً. أشطروا الانسان الى ألف جزء، وابتدعوا منه جيشاً وهمياً، وتخيّلوا انكم عندما نتحدّث عن الجياد، تلمحون البصمات التي تحدثها حوافرها في التربة المحروثة الهشّة. إذ يُفتَرض في مخيّلاتكم هنا أن تدع ملوكنا يتنازعون ويتنقّلون من مكان الى آخر، ويتجاوزون الأزمنة، ويكدّسون مهامّهم خلال سنين عديدة أثناء تسرّب الرمل من أعلى الى أسفل في وعاء الساعة الرملية الزجاجي، خلال فترة قصيرة من الزمن. اسمحوا لي بأن أستعيض بالواقع عن النقائص، وأترك المُشْرِف في هذه القصّة، يقوم بتلاوة المقدّمة، ملتمساً من رحابة صدركم الواسع أن تحكموا بهدوء وتساهل على قيمة مسرحيّتنا هذه المتواضعة، وكفى.

(يخرج المُشْرِف).

الفصل الأول
المشهد الأول

في مدخل قصر الملك بلندن

(يدخل رئيس أساقفة كنْترْبري وأسقف إيلي)

كنتربري : أستطيع أن أقول لك، يا مولاي، ان هذه الوثيقة ذاتها قُدِّمت في العام الحادي عشر من حكم المرحوم الملك الراحل، وكادت أن تُطبَّق خلافاً لصالحنا في الواقع، لو لم تحجبها موجة الاضطرابات التي سادت تلك الفترة وألْغت فجأةً مناقشتها.

إيلي : ولكن، كيف يتسنّى لنا، يا مولاي، أن نقاوم هذه الوثيقة المجحفة بحقّنا ؟

كنتربري : علينا أن نكون يقظين. فإذا صُدِّقت بعكس مصالحنا، نخسر النصف الأوْلى من ممتلكاتنا. لأن جميع الأرزاق الزمنية التي يقتنيها الأتقياء قد قدِّمت كهبةٍ لوقف الطائفة بموجب وصيّة ستُنتَزع منّا. والضريبة التي ندفعها نحن ستظلّ متوجّبة علينا اكراماً للملك. وهي عبارة عن مصاريف خمسة عشرة كونتاً وألف

وخمسمئة فارس وستة آلاف ومئتين من الخيّالة، ثم مساعدة الأشخاص المرضى والمنحرفي الصحة والمحتاجين الذين لا طاقة لهم جسدياً على العمل، وتجهيز مئة منزل للبرّ والإحسان بكامل مستلزماتها، فضلاً عن تقديم الف ليرة سنوياً لخزانة الملك. هذا ما نصّت عليه الوثيقة المذكورة.

إيلي : في الحقيقة، هذه فريضة باهظة.

كنتربري : ستفرغ جيوبنا تماماً.

إيلي : وكيف يمكن تحاشيها؟

كنتربري : الملك كثير التقوى رحب الصدر نبيل القصد.

إيلي : وهو صديق طائفتنا الحميم.

كنتربري : لا تنسَ ان شطط شبابه لم يكن مشكوراً كثيراً. ولم يكد والده يلفظ أنفاسه الأخيرة حتى عاد ابنه الى صوابه فأبدل سلوكه واستهتاره. وهو الآن يبدو كأن ملاكاً هداه الى الطريق القويم وطرد منه آدم المذنب وجعل من نشاطه فردوساً يحوي كل خير وبرّ. في الحقيقة، لم يشب ماجن الى رشده بمثل هذا الأسلوب المفاجئ، ولم يسبق لمتهتك أن يتوب عن زلّاته على هذه الصورة السريعة الحميدة. أجل لم يتسنَّ لرجل أن يغيّر قساوة قلبه وعدم مبالاته مثل هذا الملك عند تسنّمه عرش أبيه كما فعل هنري الخامس هذا.

إيلي : حقاً ان تحوّله نعمة وبركة هبطت علينا من العلاء.

كنتربري : اسمعوه كيف يعالج المسائل من الوجهة اللاهوتية، وكلّه إعجاب إلى حدّ أن تتمنّوا في قلوبكم أن يكون الملك من عظماء الأحبار. واسمعوه يناقش القضايا

العامة فتعتقدوا أنها كانت دوماً شغله الشاغل وموضوع اهتمامه الوحيد. وحين يتحدّث عن الحرب تستمعون الى وصفه المعارك كأنها معزوفة موسيقية ساحرة. واذا طرحتم عليه أي سؤال سياسي يشرح لكم دواخل الأمور بشكل دقيق كأنه يتكلّم عن مسألة حميمة تخصّه. واذا تناول أي موضوع يظل هذا المستهتر المستبدّ متحمساً يسترعي انتباه سامعيه الصامتين بطريقة تجعل كافّة المحيطين به يصغون اليه بشغف متلهّفين الى سماع تعليقاته، وكالنحل تمتصّ آذانهم باشتياق عباراته المعسولة الجذّابة. اما هذه الفصاحة والخبرة في خفايا أمور الحياة فلا تستوعبها إلاّ نظراته العميقة وحدها. لذا يتساءل سامعوه كيف توصّل جلالته الى جمع كل هذه المعلومات، وهو غائص في بحر مشاغله التافهة الماضية بين رفاق يكادون أن يكونوا أشباه أمّيين سطحيّين سخفاء كانوا يبدّدون معظم أوقاتهم بالسكر والعربدة والولائم والملذات. ولم يخطر ببال أحدهم أن يخلو بنفسه ليحاسبها ويتأمل على انفرادٍ في أباطيل الدنيا بعيداً عن صخب عامة الشعب وضجيجهم.

إيلي : لا يغرب عن بالنا ان ثمار الغريزة تنمو في ظل الحفلات الإباحية، كما أن سائر الفواكه المسالمة تزهر وتعقد وتنضج في جوار النباتات الرديئة الضارّة. هكذا دهور الأمير مواهبه في صباه خلْف ستار الضياع، وبدون شك نَمَتْ كأعشاب الصيف التي تتكاثر في ظلام الليل بصورة غير منظورة في ظلّ الفوضى والفساد بقدر ما فيها من حيوة ونشاط.

كنتربري : هذا ما حدث في الواقع. لأن زمن العجائب قد ولّى. وعلينا الآن أن نهتدي الى وسيلة تبيّن لنا كيف تمّ هذا التحوّل الغريب العجيب.

إيلي : لكن، يا مولاي الكريم، ما الداعي الى تخفيف مفعول الوثيقة التي يطلبها مجلس العموم؟ يهمنا أوّلاً أن نعرف إن كان الملك يوافق عليها أوْ لا.

كنتربري : جلالته غير مكترث لها. ويبدو أنه يميل الى رأينا أكثر ممّا يشجّع نظرة أخصامنا. لأني اقترحت على جلالته، في اجتماعنا الرعوي الأخير، كل ما يتعلّق بشؤون فرنسا كما شرحتها باسهاب أمام صاحب الجلالة. وعرضت عليه مبلغاً من المال أكبر بكثير مما منحه الأكليروس حتى الآن لأسلافه.

إيلي : وكيف تقبّل جلالته المسألة، يا مولاي؟

كنتربري : صاحب الجلالة قبلها بكل ترحاب. لكنه لم يكن لديه الوقت الكافي، كما لاحظت، لسماع تفاصيل العرض الواضح الخاص بألقابه الشرعية في بعض المقاطعات، وبوجه عام في حقّه بإعتلاء عرش فرنسا. وهذه الألقاب ترقى الى جدّه الأكبر ادوارد.

إيلي : وما هو المانع الذي حال دون تنفيذ هذه الرغبة؟

كنتربري : مسعى سفير فرنسا في ذلك الحين. لقد طلب مقابلتي، وبما اني أراه الآن قادماً، أعتقد أن الساعة حانت لاستقباله. هل صارت الساعة الرابعة؟

إيلي : نعم.

كنتربري : لأدخل اذاً، كي أعرف ماذا يريد مني السفير، وأعدّ له رداً سهلاً مقنعاً قبل أن يتمكّن هذا الفرنسي من أن يلفظ كلمة اعتراض.

إيلي : سأتبعك لأني أتوق إلى سماع حديثه.

(يخرجان).

المشهد الثانــي

داخل القصر في قاعة العرش

(يدخل الملك هنري وكلوسستر وبرفورد وإكساتر ووروبك وويستمورلند والحاشية).

الملك هنري: أين لورد كنتربري؟
إكساتر : ليس هنا، يا مولاي.
الملك هنري: أرسلْ في طلبه، يا عمي العزيز.
ويستمورلند : هل تريد أن يدخل السفير، يا مولاي الملك ؟
الملك هنري: ليس الآن، يا ابن عمي. أريد قبل أن أستمع اليه، أن أحلّ بعض مشاكل هامّة تشغل بالي بالنسبة الى علاقاتي بفرنسا.

(يدخل رئيس أساقفة كنتربري وأسقف إيلي).

كنتربري : أسأل الله أن يطيل عمرك، وألْتمس من ملائكته أن يحرسوا عرشك المبارك ويطيلوا مدة جلوسك عليه، يا مولاي.

الملك هنري: شكراً، أيها اللورد الكريم. أرجوك أن تشرح لي من الوجهة الدينية إن كان هذا القانون الفرنسي القديم يقف عائقاً أوْ لا في درب مطالبتي. لا سمح الله، يا عزيزي اللورد أن تغيّر رأيك أو أن تحمّل ضميرك وزر منطق رجراج يعلن ألقاباً بهرجتها البرّاقة تتنافى وفحوى الحقيقة المجرّدة. فالله يعلم كم من الرجال

الممتلئين صحةً يهرقون دمهم لمناصرة الفريق الذي تنصحني سيادتك بالاتكال عليه. أرجوك أن تفكّر مليًّا قبل أن تحملني على الارتباط بحلّ، وقبل أن أوقظ سيف الحرب الغافي حاليًّا. أستحلفك باسم الله أن تفكّر مليًّا. لأن التاريخ لم يذكر أن دولتين متوازيتَيْن اشتبكتا في قتال بدون سفك سيل من الدماء. وكل نقطة من الدم البريء هي لعنة ودعوة الى الانتقام تلاحق من يشحذ السيوف التي تبيد هكذا أبناء البشرية، وإن كان مصيرهم الزوال. وبعد هذا الالتماس، أرجوك أن تعلن رأيك يا مولاي. وأنا مستعد لأن أصغي بانتباه كلّي، مقتنعاً بأن وجهة نظرك المستمدّة من ضميرك الحي هي عين الصواب.

كنتربري : اذاً، استمع اليّ، يا مليكي المفدّى، وأنتم أيضاً أيها السادة الذين تدينون بحياتكم وولائكم وكرامتكم لهذا العرش الأمبراطوري. ليس هناك ما يعارض حقوق جلالتك على فرنسا إلّا ما فاه به زعيم الفرنكيّين في أرض « سالي » الفرنسية القائل : « لا يسوغ لأية امرأة أن تعتلي عرش فرنسا القديمة أيام الغوليّين ». والفرنسيون يدّعون اليوم باطلاً ان أرض الفرنكيّين هي مملكة فرنسا الحالية التي أسّسها في الماضي المدعو فاراموند، وقد استبعد فيها جلوس النساء على العرش، مع ان المؤلّفين في هذه المملكة يؤكّدون عن حسن نيّة ان أرض سالي تقع في المانيا بين نَهرَيْ سهْل وإلْب، حيث أخضع شارلمان قوم السكْسون الى سلطته، وترك وراءه هناك جالية فرنسية لا يستهان بها، إحتقرت النساء الألمانيات بسبب بعض ممارساتهن

الأخلاقية المشينة. فسنّوا هذا القانون الذي يحرّم على المرأة وراثة العرش على أراضي سالي التي تقع كما سبق وحدّدتُ بين نهرَيْ إلْب وسهْل، وتدعَى الآن مايْسن الواقعة فعلاً في المانيا. أما الفرنسيون فلم يملكوا على أرض سالي سوى مدة أربعمئة واحدى وعشرين سنة بعد موت الملك فاراموند المعتَبَر خطأً كواضع هذا القانون. وقد مات هذا الأخير في العام اربعمئة وستة وعشرين ميلادي. أمّا شارلمان فقد أخضع قوم السكسون ووطّد استقرار الفرنسيين في ما وراء نهر سهْل خلال العام ثمانمئة وخمسة. فضلاً عن ذلك، يقول مؤرّخهم ان الملك بيبان الذي خلع شيلداريك تقدّم للحكم كوريث منحدر من باتيلد ابنة الملك كلوتار لكي يدعم حقه في الاستئثار بتاج فرنسا. كذلك هوك كابّي الذي اغتصب تاج شارل دوق لوران الوريث الذكَر الوحيد في السلالة الشرعية المتحدّرة من صلب شارلمان، أثبت صحة إدعائه بأن حقّه ثابت أكيد بموجب حقيقة لا يرقى اليها أي شك. بينما هي في الواقع محض كذب وبهتان. وانتسب كوريث شرعي الى السيدة لِنْكار ابنة كارلومان الذي كان ابن الأمبراطور لويس بن شارلمان. هكذا كان حال لويس العاشر الذي وجد نفسه وحده وريث المغتصب كابّي. ولم تتمكن من حمل تاج فرنسا بضمير مرتاح مباشرةً إلّا سليلة السيدة ارمنكار ابنة شارل دوق لوران الآنف الذكر، وقد ربط بزواجه سلالة شارلمان بتاج فرنسا. هكذا يتّضح كشمس الصيف الساطعة ان لقب الملك بيبان وادّعاءات هوك

كابّي وإرضاء ضمير الملك لويس، جميعها عوامل ترتكز على حقوق شرعية تعود إلى النساء. وهذا كان حال كل ملوك فرنسا حتى اليوم. لذا يعارضك مناوئوك على أساس هذا القانون الذي سنّه فاراموند بحجة ان للقبك صلةً بانتسابك الى نساء من الأسرة المالكة مغلّفاً بتناقضات لا تخفى في وضع هذا الملك الذي اغتصبتَ عرشه كما اغتصبه أجدادك بأساليب غير شرعية.

الملك هنري: ألا يسعني أن أقوم بهذه المطالبة بموجب حقّ صريح وبضمير حي؟

كنتربري : عليّ أن أتحمّل مسؤولية غلطتي، أيها الملك المرهوب. إذْ جاء في سفر العدد من كتاب العهد القديم : « عندما يموت الابن يعود الإرث الى الابنة ». فيا أيها المولى الكريم، لا بد لك من الدفاع عن حقوقك لتثبيت حكمك. فتحذو حذو أجدادك العظماء. إذهب الى ضريح جدك الأكبر الذي أورثك لقبك واستلهم روحه الحربية وروح عمك الأكبر ادوارد الملقّب بالأمير الأسْود الذي ابتسم أثناء مأساة فرنسا حين اندحرت جميع القوات الموجودة على الأراضي الفرنسية. بينما كان والده المبجّل واقفاً على أكمة يتأمّل شبله متخبّطاً بدمه الفرنسي الذكي. أيها النبيل الانكليزي، لقد جابهت ببسالة جميع قواتهم الجبارة بنصف عددها وانتصرت عليها وأنت تضحك بهدوء وبرود.

إيلي : تذكّر شجاعة من ماتوا بفخر، ولا تنسَ انك بقوة ذراعك جدّدت بطولة إنجازاتهم. فأنت وريثهم والجالس على عرشهم، والدم الأبيّ الذي شهرهم

يسري في عروقك. وعليك، يا مولاي القدير، وأنت في ربيع شبابك أن تبدو ناضجاً كلّك حماس للانتصارات المجيدة والمشاريع الخيّرة.

إكساتر : أخوتك ملوك الأرض وحكامها يترقّبون تفوّقك على سائر الأُسود البطّاشة من بني جنسك.

ويستمورلند : وهم يعلمون جيداً، يا صاحب الجلالة، ان الحق بجانبك، وان لديك الوسائل والعزم والقوة للقيام بأعمال باهرة. اذ لم يتمتع في الماضي أي ملك انكليزي بمثل نبلك وشهامتك، ولم يكن ولاء الشعب يوماً مُجْمِعاً على الخضوع والامتثال لمشيئتك. لأن نفوساً لا تُحصى غادرت أجسادها هنا في انكلترا وراحت تعسكر في سهول فرنسا الخضراء لمناصرتك.

كنتربري : أرجو أن تتبعها أجسادهم، يا مليكي العزيز، لكي يسترجعوا كل حقوقك التي تعود اليك بمجرّد سَرَيان الدم الملكي في عروقك، ويدعموها بالحديد والنار. لذا سنؤمّن لجلالتك، نحن جماعة الروحيّين، كميات ضخمة من المؤَن طالما قدّمها زملاؤنا رجال الدين لأجدادك الموقّرين.

الملك هنري: يجب علينا أن نجتاح فرنسا. لذلك لا بدّ لنا من تجنيد قوّات كافية للدفاع عن أنفسنا اذا ما سوّلت للاسكتلنديّين أهواؤهم التوسّعية أن ينقضّوا علينا ويسحقونا. وهذا ليس ببعيد عن امكاناتهم وتفكيرهم العدواني.

كنتربري : شعبنا الزاحف، يا مليكي المعظم، سيؤلف سدًّا منيعاً يدعم دفاعنا وتغلّبنا على منتهكي حرمة حدودنا اذا

سوّلت لهم نفوسهم هذا السلوك الانتهازي.

الملك هنري: أنا لا أتكلم عن مباغتة السارقين، بل أخشى قيام الاسكتلنديين بهجوم مكثّف، وقد كانوا دوماً بالنسبة الينا جيراناً مشاغبين مزعجين. سترى في كتب التاريخ أن جدّنا الأكبر لم ينتقل يوماً مع جنوده الى فرنسا إلّا وهاجم الاسكتلنديون مملكتنا متى خلت من قوّاتنا التي تحارب على أرض غريبة. وكأنها مدّ بحر تدفّقت مياهه المائجة من ثغرة، وهذا المدّ في جبروته يكتسح البلاد الخالية بهجومه الساحق ليحاصر حصوننا ومدننا بصورة تجعل انكلترا، وقد ابتعد عنها المدافعون في مهمة وجيهة، ترتعد خشية زحفهم وعبثهم بمقداساتنا.

كنتربري : هكذا طغى عليها الخوف أكثر من الأذى، يا مليكي الحكيم، كما يُلاحظ ذلك من المثال الذي أعطته هي ذاتها لنفسها. بينما كان جلّ فرسانها في فرنسا بعد أن فقدت عدداً كبيراً من نبلائها الذين دافعوا دفاع الأبطال وطاردوا فلول ملك اسكتلندا حين أرسلتهم الى فرنسا للتعويض عمّا سبّبه انتصار الملك ادوارد، واسترداد أسير ملكي بغية الاعتزاز بأمجاد تاريخنا، كما يلفظ البحر الهائج ما ابتلعته عواصفه من حطام المراكب وما يقبع في قعره من كنوز لا تُقدّر بثمن.

ويستمورلند : هناك قول قديم مأثور وعادل مفاده :
إن شئت أن تتغلّب على الفرنسيّين،
لا بدّ لك من أن تبدأ بالانتصار على الاسكتلنديين.
فالنسر الانكليزي عندما يحلّق ليصطاد، يبصر الثعلب

الاسكتلندي يتسلّل الى الحقل المتروك بدون دفاع، يكسر ويمتصّ بيض ملك الفضاء، ويسرح ويمرح كالفأر في غياب الهرّ، ويمعن نهباً وهدماً أكثر ممّا يستطيع أن يشبع نهمه الى الأذى.

إكساتر : من هنا نستنتج اننا لا بدّ لنا من أن نبقي الهرّ مسمّراً في مكانه. لكننا لم نصل بعد الى هذا الاضطرار. لأن لدينا وسائل للمحافظة على أرزاقنا ونملك الخبرة للإمساك باللصوص واتّقاء شرّهم. وبينما تحارب سواعدنا القوية خارج البلاد، يزود في الداخل تفكيرنا الحريص، ما دام جميع أعضاء الدولة صغاراً وكباراً كل واحد في مجاله يتحركون متكاتفين بانسجام شامل كأنهم فرقة موسيقية منضبطة تعزف نغماً رائعاً.

كنتربري : لذلك أنشأت السماء في شريعة الانسان وظائف شتى توجّه جهوده نحو حركة متواصلة لبلوغ نتيجة واحدة هي الخضوع لناموسها. هكذا يعمل النحل بموجب مبدإ قانون الطبيعة الذي يلقّن البشر دروساً في النظام المشترك بين السلطة والشعب، فيه ملك وقادة من جميع الرتب، بعضهم في سلك القضاء يتشدّدون في الداخل، وبعضهم تجّار يغامرون في تبادل السلع من خارج البلاد وداخلها، وغيرهم جنود مدجّجون بالسلاح لا يحجمون عن قطف البراعم المخملية في الصيف ويحملون غنائمهم على وقع ألحان الحماس والمرح الى خيمة ملكهم الوقور. وهو مشغول بجلال مقامه يراقب البنّائين يشيّدون هازجين معالم صروح العمران الذهبية، والمواطنون النشيطون يجنون العسل،

والعمال المساكين ينقلون ويكدّسون الأثقال الضخمة عند أبواب المخازن، والقاضي الصارم يصدر أحكامه القاسية على الأفراد الكسالى الذين لا يحرّكون ساكناً.

من هنا استخلص ان لدينا أهدافاً عديدة مشتركة يسع أصحابها أن يدركوا الغاية المنشودة بأساليب وطرق متناقضة. لذلك نرى الكثير من السهام المسدّدة من جوانب مختلفة تتّجه نحو مرمى واحد، كما أن عدة دروب تؤدي الى المدينة المقصودة ذاتها، وان مجاري مياه متعدّدة تسري نحو البحر لتمتزج بأمواجه الهادرة في المصبّ عينه. وكما ان خطوطاً لا تحصى تتّجه الى مركز معيّن في الدائرة، هكذا نرى قوات متكتّلة عندما تتحرك يمكنها أن تصل الى غاية واحدة في عملية مفيدة غير خاسرة. فإلى فرنسا اذاً علينا أن نسير يا مليكي الكريم. وباستطاعتك أن تشطر انكلترا الأبية الى أربعة أقسام وتصطحب جزءاً منها الى فرنسا. وبواسطته يسعك أن تدع تلك البلاد ترتجف هلعاً. واذا كنا نحن بما بقي لنا من قوّات ثلاثية في الداخل لا نتمكن من حراسة ربعنا بإقامة كلبٍ ضخم يقظ عند مدخله، فما علينا إلّا أن نستسلم الى عدوّنا ليمزق أوصالنا ويفترسنا، فتفقد بلادنا جرأتها وعزّتها في كل المنطقة.

الملك هنري: أدخلوا المرسلين القادمين من قِبَل وليّ العهد. (يخرج أحد أفراد الحاشية. ويجلس الملك على عرشه). الآن أصبح لديّ اطلاع واسع على حقيقة الأمور. وبعون الله ومساندتكم، أيها الرجال الأشدّاء، تمسي فرنسا من أراضي مملكتي وتخضع لسلطتي، وإلّا قطّعناها إرباً

إرباً. وسأتبوّأ عرشها وأحكم أوسع امبراطورية تتألّف من فرنسا والمناطق التابعة لملكها. واذا لم نفعل ذلك اضطررنا الى التقهقر والتفتّت على غير ما نروم ونرغب. سيذكّر التاريخ بما نشيّده من صروح العزّ والفخامة أو بما ندفن فيه أشلاء قتلانا من قبور مهملة. أجل سيمتدح هذا التاريخ أعمالنا البطولية أو تضمّ عظامنا حفر كبيرة صامتة مثل السلطنة العثمانية التي لا يشرّف رسائلها أي ختم بالشمع الأحمر. (يخرج سفراء فرنسا ويسير خلفهم غلمان يحملون برميلاً). والآن، انا على أتم الاستعداد لمعرفة رغبة ابن عمي الوسيم ولي العهد، لأني علمت بأنك قادم من قبله لا من قِبَل الملك.

السفير : هل ترغب، يا صاحب الجلالة، أن تأذن لي بأن أعرض مطلبي في رسالة أحملها اليك؟ أم عليّ أن أقصر توجّهي حسب رغبات ولي العهد، وإبلاغه ما جئت من أجله؟

الملك هنري: انا لست بطاغية، بل ملك عادل رحوم، أنظر بعين الرأفة والشفقة الى كل بائس يرسف في قيود الشقاء داخل سجون دولتي. لذلك أسألك أن تفيدني بكل حرّية وصراحة عن أفكار ولي العهد.

السفير : اليك نظرته بكلمة وجيزة : جلالتك أرسلت من عهد قريب تطالب ببعض مناطق في فرنسا، من رئيس ديوان سلفك الكبير الملك ادوارد الثالث. وردًّا على هذه المطالبة أعلن مولاي الملك انك مندفع بحماس شبابك، ولن تجد في فرنسا ما تستطيع أن تستولي عليه بخطواتك البطيئة هذه في حلبة المساعي القائمة على قدم وساق خلال هذه الايام العصيبة. اذاً لن

يتسنّى لك أن تنعم ولا بمقاطعة واحدة على أرض فرنسا. لذا أرسل لك مولاي هذا البرميل المليء بالكنوز، آملاً أن يلائم ذوقك، على أن تكفّ عن المطالبة بأية منطقة بعد الآن. هذا ما أوصاني ولي العهد بأن أنقله اليك حرفياً.

الملك هنري (لإكساتر) : ما عسى أن تكون هذه الكنوز، يا عمّاه.

إكساتر : ربما كريات للتسلية، يا مولاي الملك.

الملك هنري: يسرني أن أرى ولي العهد يمازحني على هذا النحو من الدعابة. فأنا أشكره على هديته وأقدّر ما قمت به أنت من جهود. فعندما ينطبق مضربي على حجم هذه الكريات، أودّ أن ألعب في فرنسا وأسجّل فوزاً داخل شبكة المرمى للحصول على تاج أبيه. أرجوك أن تبلغه أنه اشترك في اللعب قبالة رياضي بارع أثبت مهارته النادرة في مختلف قاعات هذه التسلية المحبّبة في فرنسا. وأنا أتذكّر الآن شبابي الصاخب بدون أن يعرف هو كما يجب، مبلغ ما أحرزته من تفوّق في هذا الميدان. لا أنكر أني لم أهتمّ جدّيًا في الماضي بعرش بلادي انكلترا. لذلك حينما ابتعدت عنه استسلمت الى أهوائي بتهتك غير مشكور. وقد تبيّن لي ان الانسان لا يتيسّر له أن يتذوّق مباهج الحياة خارج بيته. لكني أرجوك أن تقول لوليّ العهد اني مصمّم على الاحتفاظ بسموّ مقامي والتصرّف كملك واستخدام كل مدى عظمتي، حالما أُعتلي عرشي في فرنسا. وفي سبيل مسعاي هذا، حيّدتُ جلال منصبي عن التبجّح، ونقبت الأرض كفاعل يوميّ بسيط. غير ان هذا لا يمنعني عن التصميم على البروز هنا بمجد

تليدٍ يبهر كل عيون فرنسا، وبمجرّد التحديق في قسمات محيّا ولي العهد سأجعله كليل البصر. قل أيضاً لهذا الأمير المنساق وراء لهوه، اني سأحوّل خرطوشي الى قنابل، وان استهتاره سيحصر به مسؤولية ما يهدمه روح الانتقام الذي سينفجر على يده. هذا التهكّم الخبيث سيقضي على الكثير من الأزواج ويسبب الحزن الشديد لأراملهم. وسيتمّ كل هذا بمشيئة الله الذي نضرع اليه لينصرنا. ألاَ قُلْ لولي العهد اني باسمه تعالى سأزحف للأخذ بالثأر بأفضل طريقة ممكنة. وسأستخدم قوّة ساعدي في سبيل قضيتي هذه المحقّة العادلة. وعلى هذا الأساس يمكنك أن تمضي الى مولاك بسلام. قل لولي العهد أيضاً ان مزاحه السمج يدل على سخافته التي تُبكي أكثر مما تُضحك. أرجو منكم أن ترافقوا السفراء... الوداع.

(يخرج السفراء).

إكساتر : ما اطرف هذه الرسالة.

الملك هنري: آمل أن أدع مُنشِئها يخجل ممّا أقدم على كتابته. (ينزل عن عرشه). هكذا، يا سادة، علينا أن لا نترك لحظة واحدة من هذه الأوقات السعيدة تفوتنا، لكي نعجّل في المباشرة بحملتنا. لأن فرنسا تشغل كل أفكارنا، على أن يكون ذكْر الله قد تقدّم على كل فكرة سواها. لا بدّ لنا من أن نجتهد في جعل القوات الضرورية لكسب هذه الحرب تجتمع بسرعة، وان نحاول على قدر المستطاع إطلاق أجنحة جيشنا بسرعة معقولة. وربّنا يشهد على أني سأقصد وليّ العهد

وأوبّخه حين أَلْتقي به عند باب أبيه بالذات. وهكذا نكون قد تكاتفنا كلّنا على دفع عجلة هذه القضية الهامّة الى الأمام.

(يخرجون).

الفصل الثاني

(يدخل المُشرف)

المُشْرِف : الآن كل شبيبة انكلترا متحمسة تغلي كالمرجل، وقد خلعت ثيابها الحريريّة وعلّقتها في الخزائن. اليوم تزدهر أعمال تجّار الأسلحة، وفكرة تغليب الشرف تسود قلوب الجميع. الآن يباع محصول المراعي لشراء الجياد المطهّمة. والسواد الأعظم يتبع مثال الملوك الحكماء وجميعهم كإله الحظ الانكليزي أقدامهم مزوّدة بجناحين يساعدانهم على الطيران. الآن يرفرف الأمل في الأجواء، ممسكاً بسيف مرهف الحدّين رفيع الذؤابة مسلّط على تاج الأمبراطور، والأكاليل مزدانة بالأحجار الكريمة على رؤوس الصبايا المرشحة احداهن للاقتران به، تُختار من بين رفيقاتها الحسناوات. والفرنسيون وقد علموا بأمر الاستعدادات بواسطة أشخاص موالين لهم، يرتجفون فزعاً من جرّاء سياسة شاحبة اللون تحاول أن تفشّل المشاريع الانكليزية. ما أسمى عظمتك، يا انكلترا، وأنت صاحبة الحجم الصغير والقلب الكبير. لا حدود لما يسعك أن تفعليه بناءً على اقتراحات شريفة القصد صادرة

عن أبنائك الصالحين المخلصين. لكن، حذارِ أن يخونك الحظ. لأن فرنسا قد وجدت فيك قلوباً خالية من كل عاطفة إذ استبدلتها بما درّته عليها الخيانة من ذهب رنّان. ثلاثة رجال أفسدتهم الرشوة هم رتشرد كونت كمبريدج، وهنري لورد إسكروب ماشهام، وسرْ توماس كراي فارس نورثمبرلند الذين باعوا شهامتهم لقاء ذهب قوم الفرنك. تبّا لهؤلاء المجرمين الذين حاكوا الدسائس والمؤامرات بمساهمة الفرنسيين المناوئين. وهذا الملك الذي يجسّم جلال الملوك، اذا وفى زبانية الجحيم بوعودهم، هلك في ساوثمبتون قبل أن يبحر الى فرنسا. إعتصم بحبل الصبر، تجد أن المشاكل قد ابتعدت عنك لتتدهور الى الهاوية. المبلغ قد دُفع والخونة متّفقون فيما بينهم. فليرحل الملك عن لندن، وينتقل أهل المسرح مع الحضور الكرام حالاً الى ساوْثمبتون. وهناك يرفع الستار عن مشهد مثير، لا بدّ للجميع من التزام أماكنهم لاستيعابه. ومن هناك سنرحل حتماً الى فرنسا ثم نفيدكم بعد أن نراقب مياه المضيق ونهدّئ أمواجها كي نوفّر لكم رحلة بالفكر موفّقة. وسنجتهد أن نتجوّل بدون أن يُصاب أحد منكم بالدوار أثناء تمثيلنا الحقيقة. ثم بعد ذهاب الملك، وليس قبل، سنقدّم لكم مشهد ساوثمبتون المشوِّق.

(يخرج المشرف).

المشهد الأول

في حانة إيست شيب

(يدخل نيم وباردولف)

باردولف : ما هذه الصدفة السعيدة، أيها العريف نيم؟

نيم : نهارك سعيد، أيها الملازم باردولف.

باردولف : هل أنت والضابط بيستولي لا تزالان أصدقاء؟

نيم : من جهتي، هذا الأمر لا يهمني. فأنا أتحدث عن مسائل قليلة. ولكن عندما تسنح الفرصة، تتبادل الابتسامات مهما أتتْنا به الظروف. اذ انني لست رجل مماحكة، بل أغمز بعيني، وسيفي دائماً على أتم الاستعداد للبروز من غمده. هو نصلة بسيطة، لكن حدّه مرهف، وبذؤابته أستطيع أن ألتقط شريحة لحم أو جبن، وهي فعّالة نظير غيرها من الأدوات. وهذا يكفي لقضاء كل ما أحتاج اليه.

باردولف : يسرني أن أدفع ثمن وجبة غداء لإصلاح الأمور بيننا. وسنذهب نحن كثلاثة اخوة سلاح معاً الى فرنسا. فما علينا إلّا أن نمهّد لتحقيق رغبتنا، أيها العريف نيم.

نيم : لا شكّ في اني سأعيش حسب امكاناتي. وعندما تصبح الحياة بالنسبة اليّ عسيرة سأتدبّر شؤوني كما أستطيع. هذا قراري وهذا ما أصبو اليه.

باردولف : طبعاً، أيها العريف. هذا الرجل هو زوج نيلّي كويكلي. وقد أساءت التصرف حيالك لأنك كنت في الماضي خطيبها.

نيم : لا أدري ماذا أقول. المسألة الآن على ما يتيسّر لها

أن تكون. والناس يسعهم أن يناموا هكذا ويرتاحوا كما يحلو لهم في هذه اللحظة، مع ان حدّ السكّين قاطع كما يقال. والانسان لا يمكنه أن يتكيّف إلّا حسب ما جُبل عليه من الطباع والمزايا. ومهما أرهقت الظروف المعاكسة صبر إلبشر، لا يفيدهم الخضوع لأمواج القنوط والاستسلام بخنوع. فلا بد للمرء من الصمود في وجه عوادي الزمان، ما دام الجَلَد وحده يحلحل العقد ويفتح أبواب الفرج. على كل حال لا مجال أمامي الآن لقول المزيد من الكلام.

(يدخل بيستولي والسيدة كويكلي).

باردولف : ها هو الضابط بيستولي مقبل برفقة زوجته... (لنيم) مهلاً أيها العريف... كيف حال ضيفي بيستولي؟

بيستولي : أيها الغبي الأحمق، كيف تدعوني ضيفك؟ أحلف لك بساعدي هذا إن تسمية « ضيف » تزعجني. أرجوكِ يا نيلّي أن لا تديري أي نزل بعد الآن.

السيدة كويكلي : لا، لن أستمرّ طويلاً في هذا العمل المرهق. اذ لم يعد في الامكان استضافة اثنتي عشرة أو أربعة عشرة آنسة يعشن بشرف من شغل الابرة. لأن المشكّكين سرعان ما يظنّون اني أدير بيتاً مشبوهاً. (يستل نيم سيفه). يا الهي، ها قد عاد الى إشهار سيفه. ولا يستبعد أن يرتكب حماقتين معاً : الزنى والقتل عمداً.

باردولف : أيها الملازم، أيها العريف، لا أريد أن تتلفظ هنا بأي تهديد.

نيم : تبًّا لك من سخيف.

بيستولي : ما أشبهك بكلب إسْلَنْدي مرفوع الأذنين.

السيدة كويكلي : أيها العريف نيم، برهن لنا على أنك عنصر صالح، وأعد سيفك الى غمده.

نيم (لبيستولي) : عليك أن ترحل من هنا، وإلاّ كان حسابي معك عسيراً جداً، يا جبان.

(يعيد سيفه الى غمده).

بيستولي : هل أنا جبان، أيها الثعبان السامّ؟ سأردّ كيدك الى نحرك، أيها الخسيس، وأقتلع أسنانك من فمك، وأنتزع حنجرتك من حلقك، ورئتيك من بين ضلوعك، أيها الخنزير النجس. أجل سأحطم رأسك وأسدّ شدقك وأغرز نصلة سيفي في أحشائك، وأنت تعرف جيداً اني أصيب دوماً هدفي بمنتهى الدقة. لا تنسَ ان من أسميته الكلب بيستولي مسلّح، وان لهيب النار لن يلبث أن يندلع ويحرقك ويحولك الى رماد.

نيم : أنا لست الشيطان الرجيم، فلا تحاول استفزازي. لأني مستعدّ أن أصبّ عليك جام غضبي فوراً. فاذا حدّثتني بوقاحة أكثر مما فعلت، يا بيستولي، سأعرف كيف ألقمك ردّي العنيف لأسكتك الى الأبد. واذا أردت أن تتهجّم عليّ سأعرف كيف أقطع أوصالك. وهذا أقل ما سينوبك منّي.

بيستولي : أيها الجبان الرعديد، أيها الصعلوك اللعين، ان هوة الجحيم فاغرة فاها لتبتلعك، فما عليك إلاّ أن تموت صاغراً.

(يستل بيستولي ونيم كل واحد سيفه ويستعدّان للقتال).

باردولف (يتدخل وسيفه بيده) : أنصتا الى ما أقوله لكما : أُقسم بجنديّتي

أني سأخترق بسيفي الرهيب جسم من يصيب رفيقه بخدش.

بيستولي : هذا حلفان لا قيمة له تذكر. لا بد للهياج من أن يهدأ. (لنيم) : هات قبضتك، بل هات قائمتك الأمامية. أجد أن قوتك هائلة.

نيم : صدّقني إن قلت لك اني سأقطع رأسك في يوم من الأيام. فهذا هو المنطق الذي أفهمه أنا.

بيستولي : تقطع رأسي؟ هذا كلام هراء. أنا أتحدّاك كي تنفّذ وعيدك أيها الكلب الكريتي. أظن أنك تفكّر في سلبي زوجتي. لا، لا، إذهب الى مستشفى المجانين ثم الى خلقين المنافقين في الجحيم، وتودّد الى البومة سليلة المدعوّة كريسيدا تلك الأنثى المشؤومة المسماة دوروثي ترودْرا واقترن بها. فأنا أريد وسأنال ما أريد بزفافي الى المرأة الوحيدة التي تعجبني والتي كانت تدعى كويكلي، وكفى.

(يدخل مرافق فالستاف).

المرافق : يا مضيفي بيستولي، عليك أن تأتي لمقابلة سيدي، وأنت أيضاً أيتها المضيفة. لأنه مريض طريح الفراش. وأرجوك يا باردولف الطيب القلب أن تضع أنفك تحت لحافك لتدفئه بنفَسك الحارّ. لأنك حقاً مريض جداً.

باردولف : إليك عني، أيها المحتال.

السيدة كويكلي : بشرفي، سيكون يوماً طعماً للغربان، وقد حطّم الملك له معنويّاته... مسكين أنت، يا زوجي العزيز. عجّلْ بالمجيء اليّ.

(تخرج السيدة كويكلي ويتبعها المرافق).

باردولف : هيا تصالحكما يا صاحبيّ. يجب علينا أن نذهب الى فرنسا معاً. لماذا يظل كل منّا منتضياً مديته ويصوّبها الى رفيقه؟

بيستولي : دع السيول تغرقهما، والشياطين تزمجر على زبانيتها.

نيم (لبيستولي) : هل تريد أن تدفع لي الشلنات الثمانية التي ربحتها منك بالرهان؟

بيستولي : سأدفعها لك متى صرت أنا غبياً أحمق.

نيم : على كل حال، إعلم جيداً اني سأحصل منك على هذا المبلغ مهما كلّف الأمر.

بيستولي : هذا ما سيقرره الزند الأقوى بيننا.

(يتأهب بيستولي ونيم للقتال).

باردولف (يفصل بينهما بسيفه) : أقسم بهذا السيف اني سأقتل من يبدأ بضرب رفيقه.

بيستولي (يرفع رأسه) : الحلفان على حد السيف قاطع مثله. ولا بد لي من الوفاء بهذا القسم.

باردولف : أيها العريف نيم، اذا شئت أن تكون صديقي، فأهلاً بك. واذا لم تشأ، ستكون خصمي انا أيضاً. أرجوك أن تعيد سيفك الى غمده.

نيم (لبيستولي) : قل لي اني سأحصل على الشلنات الثمانية التي ربحتها منك بالرهان؟

بيستولي : أؤكد انك حتماً ستحصل على ستة شلنات. وبالاضافة اليها أقدّم لك بعض الشراب. وسترتبط بيننا الصداقة والأخوّة زمناً طويلاً. سأحيا بنيم وسيحيا نيم بي.

أوليس هذا منتهى الشمم؟ سأعمل كمموّن المُعسكر، وسنربح معاً مالاً وافراً. هاتِ يدك لتدعيم هذه الصفقة.

نيم : المهمّ، هل سأحصل على الشلنات الستة التي أقررت لي بها؟

بيستولي : أجل، سأدفعها لك نقداً بدون شك.

نيم : هذا هو المطلب المنشود.

(يتصافح نيم وبيستولي).
تدخل السيدة كويكلي).

السيدة كويكلي : اذا عنّ على بالكما أن تخرجا بصحبة النساء، سارعا الى مقابلة سرْ جون. ما أتعس حظّي. فقد إرتعشت من شدة الحمّى التي لا أطيق وطأتها. أيها الرجلان العزيزان، بادرا الى التقرّب اليه.

نيم : لقد صبّ الملك غيظه على الفارس حسبما بلغني مؤخراً.

بيستولي : بالصواب نطقت، يا نيم. وقد بات قلبه كسيراً حزيناً.

نيم : الملك رحب الصدر، ولا يسعه أن يظهر إلا على حقيقته. مع ذلك أراه يحتدّ من حين الى آخر.

بيستولي : هيّا بنا نقدم أخلص تعازينا للفارس. ما دمنا ننوي أن نعيش كحملين صغيرين وديعين.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في قاعة القصر الكبرى بمدينة سوثمْبتون

(يدخل إكْساتر وبدفورد وويستمورلند)

بدفورد : بذمّتي، أجد الملك جريئاً الى درجة أنه يأتمن أعداءه على مقدّراته.

إكساتر : لن يلبثوا أن يخافوه عمّا قريب.

ويستمورلند : سيتظاهرون باللطفِ والصفاء، كأن الولاء يفعم باستمرارِ شغاف قلوبهم.

بدفورد : لقد إطلع الملك على كل مشاريعهم بواسطة مداخلة لا يرقى اليها أدنى شك.

إكساتر : من تقصد بهذا التلميح؟ هل هو الرجل الذي كان رفيق سريره، وقد أغدق عليه المنح والهدايا الملكية بدون حساب، ثم قبض ذهباً أجنبيًّا ليبيع حياة مليكه ويجرّه الى كمين فيه تزهق روحه.

(يُسمع صوت البوق. يدخل الملك هنري، وإسكروب، وكمبريدج وكراي وبعض السادة ورجال الحاشية).

الملك هنري: الآن هبّت رياح ملائمة، وسنركب السفن للرحيل. مولاي كمبريدج... (لإسكروب) : وأنت يا عزيزي لورد ماشْهام... (لكراي) : وأنت أيضاً أيها الفارس الظريف، ليُدلِ كل منكم برأيه. هل تعتقدون بأن القوات التي ستصحبنا تستطيع أن تشق طريقها عبر الجيش الفرنسي، وتقوم بالجهد المطلوب منها والذي لاجله نظّمنا صفوفها؟

إسكروب : بدون شك، يا مولاي، إذا بذل كل واحد منهم أقصى جهده.

الملك هنري: أنا لا ريب عندي بذلك، لأني مقتنع بأننا لا نرافق إلّا قلوباً تنبض بمحبتنا والولاء الكامل لقضيتنا. واننا لا نترك خلفنا أحداً لا يتمنّى لنا النجاح والانتصار.

كمبريدج : لم يوجد ملك مرهوب ومحبوب نظير جلالتك. وليس بين رعاياك من لا يقدّر ما تحيطهم به من العطف والعدالة.

كراي : هذا صحيح. حتى الذين كانوا أخصام والدك قد استبدلوا مرارة الحنظل بحلاوة العسل، وهم يخدمونك بكل أمانة ووفاء.

الملك هنري: والسبب هو حتماً عرفان جميلك. ونحن لا نشكّ بأنك تقدّر الحسنات والخدمات الجليلة حسب أهميتها وكفاءتها.

إسكروب : وهكذ سيظل الإخلاص في العمل متواصلاً، والنشاط حماسيًّا لتأدية الواجب بأمل كسب رضى جلالتك.

الملك هنري: أنا لا أنتظر أقلّ من هذا... يا عمي إكساتر، أرجوك أن تطلق سراح الرجل الذي أزعجني بالأمس. لأني أعتقد بأن إدمانه على تعاطي المزيد من الخمرة دفعه إلى الاستهتار. والآن، وقد اعترف بذنبه، أسامحه من كل قلبي.

إسكروب : هذه بادرة حلم تنطوي على كثير من قلّة الحرص. إسمح لي بأن اعاقبه، يا مليكي المحبوب، خشية أن يشجّع عفوك غيره على الحذو حذوه.

الملك هنري: لا بأس من أن أكون رؤوفاً.

كمبريدج : يمكنك أن تكون سموحاً، وأن تعاقب المذنب ليغدو عبرةً لسواه.

كراي : تظل رحب الصدر إن عفوت عنه بعد أن تُنْزل به بعض العقاب.

الملك هنري: من المؤسف حقاً أن يكون تعلّقكم بي وإخلاصكم لشخصي قد أدّيا الى إدانة هذا الشقي المسكين بصرامة. إذا غضضنا الطرف عن الهفوات الزهيدة الناجمة عن قلة الاكتراث بسوء العاقبة، يتحتّم علينا أن نفتح عيوننا على الجرائم الفظيعة المرتكبة عن سابق عمد وتصميم حين تعترض سبيلنا؟ أنا أريد اطلاق سراح هذا الرجل مع ان كمبريدج واسكروب وكراي يودّون معاقبته اكراماً لشخصي وحرصاً على كرامتي. والآن لنبدأ بمعالجة أمورنا الفرنسية. من هم المفوّضون الذين تمّ اختيارهم أخيراً؟

كمبريدج : انا، يا مولاي. فان جلالتك طلبت مني اليوم أن أعتبر نفسي مفوّضاً.

إسكروب : وأنا كذلك، يا مولاي.

كراي : وأنا أيضاً، يا مليكي.

الملك هنري (يسلّم كلاً منهم ورقة) : يا رتشرد كونْت كمْبْريدج، هذه ورقتك، وأنت يا لورد إسكروب ماشهام هذه لك. وأنت أيضاً أيها الفارس كراي نورثمبرلند، خذ ورقتك هذه. اقرأوها بإمعان واعلموا اني أقدّر مزايا كل واحد منكم حق قدرها. يا مولاي ويستمورلند، ويا عمّي العزيز إكساتر، سنسافر معاً بحراً هذا المساء. (ينظر الى المتآمرين الثلاثة) ما رأيكم، يا سادة؟ ماذا

وجدتم في هذه الورقة حتى امتقع لونكم هكذا؟ لماذا شحب ورد خدودكم؟ ماذا أزعجكم في هذه الورقة حتى هرب الدم من وجوهكم ؟

كمبريدج : انا اعترف بخطإي، وأضع نفسي تحت رحمة جلالتك.

كراي وإسكروب : وأنا أيضاً ألتمس حلمك.

الملك هنري: ان الرحمة التي كانت تحيا في قلبي خنقتها وقضت عليها نصائحكم القاسية بالذات. فمن قبيل الحياء يتحتم عليكم أن لا تذكروا مطلقاً كلمة رحمة. لأن حجتكم تنقلب عليكم كما تهاجم الكلاب المسعورة أصحابها. هل ترون، أيها الأمراء وأنتم أيها النبلاء، هؤلاء المسوخ الانكليز الخونة؟ هذا لورد كمبريدج الماثل ها هنا، أنتم تعلمون كم شملتُه بمودتي في كل ما يعلي شأن كرامته. غير أنه من أجل بضع قطع ذهبية أتحفه بها العدو، تآمر بطيْش وأقسم لعملاء فرنسا أن يقتلني هنا في سوثمبتون. وهذا القسم بدر أيضاً من هذا الفارس الذي غمرته نظير كمبريدج بفيض عطفي ورعايتي. (يشير الى كراي). وأنت بدورك ماذا أقول عنك، يا لورد اسكروب، وعن حقارتك وعقوقك ودناءتك وبعدك عن المشاعر الانسانية، أنت الذي إئتمنتك على اسراري وكشفت لك خفايا نفسي وكنت على الدوام مستودع همومي وموجّه أفكاري؟ أنا لا أفهم كيف تمكّن الذهب الذي أغراك به الغريب من أن يلهب فيك شرارة الانحطاط للإضرار بمصالحي وبشخصي انا وليّ نعمتك؟ الأمر شاذّ وبارز مثل اللون الأسود على الأبيض الى درجة ان عينيّ أضحتا ترفضان رويتك.

فالخيانة وجريمة القتل تسيران دوماً جنباً الى جنب كأنهما إبليسان شريكان في الدسائس يتعاونان ويتضامنان، ولا يدعان لعنصر المفاجأة أي ستْر يخفي سلوكهما المشين. أما أنت فرغم كل منطق، قرنت الخيانة وجريمة القتل بعنصر الوجوم والاستغراب. ومهما كان الشيطان الذي وسوس لك هذا التصرف الشرس ماهراً، فقد فُقْتَه أنت براعة ونذالة حتى في مملكته القائمة على الفساد والطغيان. ان سائر الأبالسة المحرّضين على الجريمة والخيانة يتسرّعون في ارتكاب معاصيهم ويحاولون أن يلبسوها نوعاً ما ثوب الفضيلة لإخفاء قباحتها. أمّا الذي شجّعك على أفعالك الاجرامية فقد زيّن لك الخيانة كأنها شرف أصيل وواجب مقدّس. وإن تسنّى لهذا الشيطان أن يجوب بقاع الأرض بسرعة مذهلة، يمكنه عندما يعود الى مقره في الجحيم أن يُعلن لزبانيته : لم يتيسّر لي أن أستولي على نفس مخلوق بسهولة مثلما سيطرت على روح هذا الانكليزي الماكر. فتبًّا لك من مشعوذ جعلتَ من ترياق الأمانة سمًّا ناقعاً فتّاكاً. وحملت البشر على الشك بوجود أية عاطفة ولاء في قلب الانسان، وإن دلّ مظهرك على بعض الاخلاص المشوب بالرياء. وبما أنك أنت من هذه الفئة اللئيمة فقد كانت ملامحك تدل أيضاً على الثقافة وسموّ النسب، ونزاهة التقوى وروح القناعة والبعد عن الحقد والغضب والتحلّي بالمرح والسماحة التي كانت كلها زائفة. هكذا كنت من الذين اتّصفوا ظاهراً بالفضيلة والتواضع، لا تقبل بتصديق ما تراه عيناك إلّا اذا ثبّته ما تسمعه في صدده

أذناك. هذه كانت أبرز ميزاتك كما حاولت أن تقنع بها محيطك ولا سيما أنا شخصياً، وتوهمني بأنك الانسان الموهوب الكامل في هذه الدنيا. لكن سقوطك في وهدة الخيانة والجريمة بدّدت كل ما اجتهدت طويلاً ان تستر به حقيقتك الحاقدة. وعندما اكتشفت انا قباحتك ودناءتك ادركت مدى خبث مظاهرك الخدّاعة. فوا أسفي على الثقة التي أوليتك اياها. ليس لي الآن إلّا أن أبكي خيانتك الذليلة التي تمثل لي سقوط الانسان ثانية بعد عصيانه خالقه في الفردوس الأرضي. وبما أن على المجرم أن يكفّر عن جريرته، هيّا أوقفوا هؤلاء الخونة الثلاثة ليكفّروا عما جنته أيديهم الأثيمة من الخزي والاجرام أمام الله والناس.

إكساتر : اني أقبض عليك بجرم الخيانة العظمى أنت الذي تدعى رتشرد كونْت كمبريدج. وأنت أيضاً أيها المدعو هنري لورد إسكروب مشْهام. وكذلك أنت أقبض عليك بجرم الخيانة العظمى أيها المدعو توماس كراي فارس نورثمبرلند.

إسكروب : لقد كشف الله نوايانا الدنيئة، وأنا آسف على ما ارتكبته من جريمة أكثر من أسفي على استحقاقي عقاب الموت قريباً. لا بد من أن أكفّر بفقد حياتي آملاً أن تصفح عني يا صاحب الجلالة.

كمبريدج : أنا لم يغرّني ذهب فرنسا، بل قبلته كوسيلة لأحقّق مشاريع مطامعي. لكنني أشكر الله الذي حال دون تنفيذها. فأنا مسرور مع ذلك بهذه المعاكسة بكل صدق من خلال العذاب الذي استحقّه راجياً منه تعالى ومنك العفو والغفران.

كراي : لم يبتهج أي مُخْلِص أمين أكثر مني لدى الكشف عن هذه الخيانة الفظيعة والحيلولة دون ارتكاب هذه الجريمة المخذية. سامحني، يا مولاي، لأني انسقت وراء غريزتي وتعلّقي بأباطيل هذا العالم الفاني.

الملك هنري: سامحك الله، وأشفق على انحرافك. هيّا اسمع الحكم عليك بالاعدام لقاء تآمرك على شخص مليكك، ومشاركتك حقد العدو المعلن وتلقّيك الذهب من خزانته كعربون إقدامك على السعي الى قتلي. هكذا بعت سيّدك وبلادك وأصبحت عبد الظلم والطغيان والإعتداء. انا شخصياً لا أبحث عن الانتقام. لكن، يجب عليّ أن أسهر على سلامة مملكتي التي شئت أنت أن تسلّمها للعدو، أيها الشقي الحقير. فاذهب الى الموت الذي ينتظرك. أسأل الله أن يلهمك الشجاعة لاقتباله بإزعان وعلى التوبة عن فعلتك الشنيعة. خذوهم الى مصيرهم المظلم. (يخرج المتآمرون بحراسة الجنود). والآن، يا سادتي، هيّا بنا نتوجّه إلى فرنسا. فهذه الحملة ستعود بالمجد عليّ وعليكم أيضاً. انا لا أشكّ بأن مسعانا ليس بسهل ولا مرح. وبما ان الله منّ علينا باكتشاف الخيانة في الوقت المناسب لتفشيل المؤامرة الهادفة الى الاطاحة بي، علينا أن لا نشكّ أيضاً بأن العقبات ستذلّل أمام انتصارنا بإذن الله. الى القتال اذاً، أيها المواطنون الشرفاء. ولنتّكل على الرب ونسلّمه قياد خطواتنا وخطوات قوّاتنا التي يتحتّم عليها أن تبدأ الآن زحفها، ولنبحر بسرور وثقة. إرفعوا أعلام الحرب. فأنا لا أريد أن أظلّ ملك انكلترا، إذا لم أصبح ملك فرنسا أيضاً.

المشهد الثالث

عند السيدة كويكلي في لندن

(يدخل بيستولي والسيدة كويكلي ونيم وباردولف والمرافق)

السيدة كويكلي (لبيستولي) : أرجوك أيها الزوج الحلو كالعسل أن تصطحبني الى أَسْتاين.

بيستولي : لا، لا. لأن قلبي الباسل ينزف دماً. إفرح، يا باردولف، وأنت يا نيم أيقظ ضميرك النائم. أين شجاعتك أيها المرافق؟ لقد مات فالستاف، وأسفي عليه لا يوصف.

باردولف : كم أودّ أن أكون برفقته في النعيم أو في الجحيم على السواء.

السيدة كويكلي : طبعاً، هو ليس في جهنم، لأنه في أحضان الملك أرثور، وكأنه في أحضان أبينا ابراهيم. ونظراً الى براءته، هو أشبه بطفل صغير طاهر. لقد قضى نحبه حين تراجعت مياه الجزْر. وكانت الساعة الثانية عشرة أو الواحدة بعد الظهر عندما رأيته يشعّث شراشفه ويداعب الزهور ويبتسم بمرح. فعرفته من أنفه الرفيع كالريشة، وهو يتكلم بطلاقة وانفتاح. فسألته : « كيف حالك، يا سرْ جون؟ تشجّع، ايها الرجل ». فأجابني: « يا إلهي، ما هذه المحنة؟ » ولأروّح عن نفسه قلت له أن يسلّم أمره لله، وأنا أغلّف رجليه بمزيد من الأغطية. ثم دسستُ يدي في سريره وجسست قدميه فوجدتهما باردتين كالحجر. عندئذٍ جسست ركبتيه ثم فخذيه فوجدتها كلها باردة أيضاً كالصخر الأصمّ.

نيم : تعال، فقد رذل الخمرة مؤخراً.

السيدة كويكلي : هذا صحيح.

باردولف : ورذل النساء أيضاً.

السيدة كويكلي : أمّا هذا فغير صحيح أبداً.

المرافق : اذا كان قد فعل، فالأمر حقيقي، لأنه وصفهن أيضاً بأنّهن كالشياطين.

السيدة كويكلي : لم يطق في حياته اللون الأحمر الذي لم يحبّه مطلقاً.

المرافق : ولقد صرّح يوماً بأن ابليس سيستولي على روحه بواسطة النساء.

السيدة كويكلي : بالفعل كان يسيء معاملة النساء إجمالاً. وهكذا كان دائماً غاضباً عليهن ولا يكفّ عن التنديد بعاهرة بابل.

المرافق : هل تذكرين إنه رأى مرة قملة على أنف باردولف فقال عنها أنها نفْس شريرة تحترق في نيران جهنم؟

باردولف : كفى. ليس من داعٍ الى مواصلة هذا الحديث عن الماضي الذي فات ولن يعود... هذه هي كل الثروة التي جمعتها وأنا في خدمته.
(يشير الى أنفه الأحمر).

نيم : علينا أن نرحل عن هذا المكان، لأن الملك قد أبحر من ساوثمبتون.

بيستولي : هيّا بنا نذهب. (للسيدة كويكلي). إمنحيني قبلة الوداع، يا حبيبي. (يعانقها). اسهري على أملاكي المنقولة وغير المنقولة. ولتكن نباهتك المثالية دليلك، ولا تنسي كلمة السرّ : « خذي وهاتي ». لا تثقي بكلام أحد. واعلمي ان الحلفان جنين لا يزال في عالم الغيب، وأن مروءة الرجال لغز غامض لا بدّ من توضيحه. وكما ان

عصفوراً في اليد خير من عشرة على الشجرة، يا عزيزتي، هكذا عليكِ أن تتنبّهي وان لا تصغي إلّا الى صوت ضميرك. ثم امسحي عينيك جيداً قبل أن تنظري الى أي انسان... هيّا، يا رفاق السلاح، نزحف على فرنسا، ونظير العَلَق، يا أصحابي، نمتصّ دماء أهاليها.

المرافق : لكنها ليست صحيّة، على ما يقال.

بيستولي : سأقطف قبلة من ورد شفتيها العذبتين، ثم نمشي.

باردولف : وداعاً أيتها المضيفة.

(يقبّل السيدة كويكلي).

نيم : أنا لا يمكنني أن أعانق أحداً. على كل حال، الوداع.

بيستولي : كوني ربّة منزل بارعة. وأوصيك بأن تحافظي على الصمت جيداً. لأن لسانك حصانك، إن صنته صانك وإن خنته خانك.

السيدة كويكلي : رافقتك السلامة. الوداع.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في قصر ملك فرنسا بباريس

(يدخل الملك شارل ووليّ العهد ودوق بوركوني وقائد فرنسا وبعض السادة).

ملك فرنسا : هكذا يأتي الإنكليز الينا بكل قوّاتهم الجرّارة. وعلينا اذاً أن نرد لهم الكيل كيلين دفاعاً عن أنفسنا بشكل

ملوكي. لذا يجب على دوق بارّي وبريطانيا وبرابان وأورليان أن يذهبوا بأقصى السرعة، كما يجب عليك يا ولي العهد، أن تمضي لدعم مواقعنا في المعارك. هذا هو الملك. يمكنك، يا صاحب الجلالة أن تسأل السفراء الآخرين ليقولوا لك بأية أبّهة وحفاوة أكرم وفادتهم، وكم من المستشارين النبهاء يحيطون به، وبأي تحفّظ يبدي اعتراضاته وهو مصمّم بحزم على تنفيذ قراراته. ومن هنا تدرك ان تصرّفاته ليست بعيدة في ظواهرها عن ردة فعل بروتوس الروماني عندما طعن قيصر وأزهق روحه، وهو يخفي حكمته تحت وشاح الهوس، كما يغطّي البستاني بالنفايات جذور النباتات الحديثة العهد النحيلة الساق ليحميها من جميع الآفات.

ولي العهد : دعنا من هذا الموضوع، أيها القائد، فالأمر ليس كما تتصوّره. اذ لا أهمية لما تفكّر به في هذا المجال. ففي حال الدفاع، لا بد لنا من أن نفترض ان قوّة عدوّنا أكبر مما تبدو لنا. لكي نعطي الزخم اللازم لكل وسائل دفاعنا. واذا تماهلنا في تجهيز هذه الوسائل نشبه البخيل الذي يخسر كامل ثوبه حين يقصد أن يوفر قليلاً من النسيج.

ملك فرنسا : علينا أن نعتبر الملك هنري رجلاً لا يؤمَن جانبه. ولا بد لكم أيها الأمراء من أن تتسلّحوا جيداً لمقاتلته بضراوة. لأن أسلافه استغلّوا ضعفنا وتغلّبوا علينا، وهو من سلالة الذين أرهبونا حتى في دروبنا المألوفة الآمنة. يشهد على ذلك يوم العار الذي لحق بنا عندما خضنا

معركة كريشْتي حيث أُسر عدد كبير من أمرائنا في تلك الظروف المشؤومة، بينهم ادوارد أمير وايلس الملقّب بالأسْوَد. بينما كان أبوه الجبار واقفاً على تلّة عالية في ميدان تتوهّج على أرضه أشعة الشمس الذهبية، وهو يتأمل ابنه البطل ويبتسم، لأنه شوّش عمل الطبيعة وقوّض أركان جيل بكامله يمثّل ما خلقه الله من نموذج متفوّق سيطر عليه آباؤنا الفرنسيون طوال عشرين عاماً. ان هنري وليد هذه المعركة المجيدة، وعلينا أن نخشى غطرسته وبطش غريزته الشرسة.

(يدخل رسول).

الرسول : سفراء هنري ملك انكلترا يلتمسون السماح لهم بالمثول بين يدي جلالتك.

ملك فرنسا : انا مستعد لاستقبالهم فوراً. ارسلوا في طلبهم ولْيَدْخلوا بدون تأخير. (يخرج الرسول وبعض السادة). أتلمسون، أيها الأصدقاء، مدى الحماس الذي يبرز في هذه المقابلة؟

ولي العهد : أدِرْ وجهك نحوهم، فيتوقف حماسهم. لأن الكلاب الخائفة تضاعف نباحها عندما ترى ان طريدتها تسبقها بمراحل. يا مليكي المفدّى، لا بد من صدّ زحف هؤلاء الانكليز. فبيّن لهم على رأس أية مملكة وأي جيش أنت متأهب ومتحفّز. لأن محبة العلى، يا مليكي الكريم، ليست نقيصة ذميمة، بل هي فضيلة بعكس احتقار المآثر وإهمال المصالح الشخصية.

(يدخل السادة ثانية بصحبة إكساتر وحاشيته)

ملك فرنسا (لإكساتر) : هل أنت قادم من قِبَل أخي ملك انكلترا؟

إكساتر : أجل، يا مولاي. وهو يدعوك باسم الله القدير أن تتجرّد عن الأغراض الفردية، وأن تدع جانباً كل عظمة مستعارة لا تهبط من السماء بموجب قانون الطبيعة وناموس الشعوب، وقد أصبحت ملكاً تعقبك ذرّيتك على عرش فرنسا وجميع ما يؤول الى تاجها من فخامة وتشريفات حسب التقاليد والترتيبات الزمنية. ولكي توقن بأن كلامي هذا ليس مطالبة جانبية أو مشبوهة مستمدّة من ماضٍ سحيق نُبش من تحت أكداس غبار القدم والنسيان، ها هو قد أرسل اليك هذه المذكرة التي تبيّن التسلسل المتواصل في ولادات هذه الذرّية مشروحةً بوضوح في جميع تفرّعاتها. (يسلّم الملك ورقة). أجل هو يدعوك الى تفحّص هذه القرابة، وحالما تثبت لديك صحة هذا النسب العريق المباشر الى أجداده العظماء، ومنهم ادوارد الثالث، هو يدعوك الى التنازل عن العرش الذي اغتصبته أنت، لأنه الوريث الشرعي الذي يحقّ له الاستئثار به.

ملك فرنسا : واذا لم ألبِّ طلبه، ماذا سيكون من أمره؟

إكساتر : إنه عازم على مواجهة دموية بينك وبينه. لأنك وان أخفيت التاج في أعماق المجهول سيمدّ يده وينتزعه من مكمنه. لذلك تراه الان يتقدّم ويُحدث ضجة صاخبة ويثير البروق والرعود والزلازل كأنه الإله المشتري المصمّم على اللجوء الى أقصى القوة اذا لم تعطِ المطالبة ثمارها. هو إذاً يُبلغك باللين ويستحلفك بالرب القدير أن تردّ له تاجه وتشفق على النفوس المسكينة التي ستطحنها رحى الحرب الفاغرة شدقيها لابتلاع ضحاياها. وعلى رأسك ستنهال دماء

القتلى ودموع الأرامل وصيحات اليتامى ونحيب النساء النادبات أزواجهن وآباءهن وخُطّابهن ضحايا هذا العدوان السافر الباغي. هذه هي مطاليبه وتهديداته التي تتضمّنها رسالتي. وبما أن ولي العهد موجود هنا، أنا مكلّف بإبلاغه أحرّ التحيات وأطيب التمنيات.

ملك فرنسا : ستمر عليّ فترة من الوقت لأفكر مليًّا بالقضية. وغداً تنقل قراري النهائي الى أخي ملك انكلترا.

ولي العهد : أمّا أنا وليّ العهد، فاني أمثّله هنا. قلْ لي إذاً : ماذا أرسل اليه الانكليز؟

إكساتر : تحدّيًا ينطوي على التهاون، ليس فيه أي اعتبار بل ازدراء شديد لا يشذّ عن بادرة أمير كبير تحمل اليك أصدق مشاعره. هكذا تكلم مليكي. واذا كان صاحب الجلالة والدك غير مستعجل لتلبية جميع طلباتنا وتلطيف التنكيت الذي اطلقته بحق جلالته، هو يستوضحك السبب الذي دعاك الى جعل كهوف فرنسا ومغائرها تُرجع صدى وقاحتك وتردّها الى شخصك كأنها مدافع مدوّية.

ولي العهد : قل له اذا كان والدي قد وجّه اليه ردًّا متساهلاً، فذلك يخالف ارادتي. لأن رغبتي الوحيدة هي أن أُجابه الانكليز. لذلك، مع النظر الى نزق شبابه بعين الاعتبار أرسلتُ اليه هذه القنابل من باريس.

إكساتر : في المقابل، سيهزّ مقرك في قصر اللوفر، وإن يكن رمز أعظم قوّة في أوروبا. فكنْ على يقين بأنك ستجد فيها نظيرنا نحن رعاياها، فرقاً مدهشاً بين ما يوحي به شبابك وما أنت عليه اليوم من وضع غريب. الوقت

الآن غير ملائم نظراً الى ما يشغل باله، وستعلم بذلك إثر الكوارث التي ستحلّ بك مهما قصّر مدة مكوثه في فرنسا.

ملك فرنسا : غداً ستطّلع على جميع نواياانا.

إكساتر : عجّل في إرسالنا، خوفاً من أن يأتي ملكنا بنفسه الى هنا ليحاسبنا على هذا الامهال لأن أقدامه قد وطئت أرض هذا البلد.

ملك فرنسا : ستذهبون قريباً مصحوبين باقتراح مناسب. وتأخيركم ليلة واحدة ليس بالأمر الجلل في قضية حيوية لها مثل هذه العواقب الخطيرة.

(يخرجون).

الفصل الثالث

(يدخل المُشرف)

المُشْرِف : هكذا بصفقة جناح رشيقة يطير مشهدنا مع حركة الفكر السريعة. تصوّروا أنكم أبصرتم الملك مدجّجاً بالسلاح يبحر بجلال سلطته من مرفأ ساوثمبتون، واسطوله يوقظ فابوس الشاب إله النوم، والأعلام الحريرية تخفق فوق رأسه. إلجأوا الى مخيلتكم لتروا البحارة يتسلّقون الصاري حتى بَكَرة حبال القنّب. واسمعوا صوت الصفّارة الحادّ تفرض النظام رغم كل الضجة الصاخبة القائمة، وشاهدوا الأشرعة التي نفختها الريح غير المنظورة لتدفع المركب على صفحة البحر حيث تمخر السفن الكبيرة التي تشقّ عباب اليمّ الرائع. ثم تخيّلوا أنفسكم وأنتم على الشاطئ تتأمّلون مدينة تتهادى فوق الأمواج المتلاطمة، وتتمتعون بمنظر الأسطول المهيب الذي يتّجه رأساً الى هارفلور. اتبعوه، اتبعوه، والحقوا بأفكاركم مؤخرة هذه السفن، واتركوا أرض انكلترا وطنكم هادئة نظير لحظة منتصف الليل، يحرسها الأجداد والأولاد الصغار والنساء المسنّات

اللواتي قطعن أو لم يتجاوزن سنّ المقدرة والقوّة. فمن هو الذي نبتت شعرة واحدة في ذقنه ولم يشأ أن يتبع الى فرنسا هذه النخبة من الفرسان المختارين؟ هيّا الى العمل، ولنفرض عليكم حصاراً. انظروا الى المدفعيّة قرب براميل البارود تفتح أشداقها المدمّرة لتقذف الحمم على أسوار هارفلور. إفترضوا ان السفير عاد من فرنسا ليقول لهنري ان ملك فرنسا رفض تزويجه ابنته كاترين، ومعها بائنة كبيرة وبعض مقاطعات صغيرة لا تستحق الذكر. هذا العرض غير مقبول والمدفعيّة الملعلعة ترسل زخّات من نار جهنّم المدمّرة... (تسمع موسيقى، ويعلو دويّ المدافع). وكل ما يراه أمامه ينهار. ظلوا مع ذلك في صحبتنا، فنحن نلتمس عطفكم علينا، ونطلب منكم أن تعوّضوا في فكركم عن النقائص التي تلاحظونها في تمثيليّتنا.

(يخرج المشرف).

المشهد الأول
في فرنسا أمام هارفلور

(تُسمع الموسيقى. يدخل الملك هنري وإكساتر وبدفورد وكلوسستر وجنود يحملون سلالم الحصار).

الملك هنري: تعالوا نرجع يا اصدقائي الى الحفرة أو نردمها بجثث قتلانا الانكليز. في أيام السلم لا يرضى الانسان من دهره غير الهدوء الوادع والمتواضع. لكن عندما تصمّ رياح الحرب آذاننا، علينا أن نقلّد زئير النمر وأن نوتّر عضلاتنا ونفوّر دمنا ونخفي صفاء طبيعتنا وراء غضبة

مدوّية. ثم ترسل للحاضرين هبّة شرسة نتبعها بتعبير مروّع. على أن ندع انذارنا ينطلق وينفجر نظير قنبلة هائلة ثم ينهار ويتفتّت بصخب جنوني كصخرة محطَّمة قرب أمواج المحيط الهادر المتلاطم كالجبال. أخيراً نكشّر عن أنيابنا ونحصر الهواء في صدورنا ونحبس أنفاسنا بزخم ونحقن دماءنا في معالم قوّتنا... الى الأمام، الى الأمام، أيها النبلاء الانكليز المدينون بنفوذكم الى آبائكم المحاربين الأبطال الذين نظير الاسكندر قاتلوا في هذه الأصقاع من الصباح الى المساء، ولم يسعهم أن يوقفوا سيوفهم إلّا عندما لم يبقَ من مقاومة تعترض سبيلهم. لا تلوّثوا شرف أمّهاتكم، بل برهنوا اليوم على أنكم حقاً أولاد من فاخرتم بأنهم آباؤكم الشجعان. كونوا مثال رجالٍ يغلي الدم في عروقهم ولقّنوهم درساً في فنون الحرب... وأنتم أيها العسكريون البواسل، وقد تلقّيتم تدريبكم في انكلترا، برهنوا لي على مهارتكم في هذه البقعة من الأرض الطيبة، واحلفوا لي أنكم أهل لأن تكونوا أبناء القوم الذي تنتسبون اليه، الأمر الذي لا أشك فيه مطلقاً. إذ ليس فيكم أحد، مهما كان ضعيفاً نحيلاً، ليس فيه جذر نبيل ودم أصيل. اني أراكم مثل كلاب سلوقيّة تقفز حماسة ونزقاً. لأن الطرائد قد طارت، وعليكم أن تثبتوا جدارتكم عند جمعها. عليكم، وأنتم تتوثّبون، أن تصرخوا : حفظ الله هنري وانكلترا والقدّيس الفارس جاورجيوس.

(يخرجون. تُسمع موسيقى الانذار. تدوّي طلقات المدافع، ويمرّ الجنود الانكليز في استعراض عسكري، وهم يبادرون الى الهجوم).

المشهـد الثانـي

(يدخل نيم وباردولف وبيستولي والمرافق)

باردولف : لنهجمْ كلنا دفعة واحدة على الخندق.

نيم : أرجوك، أيها العريف أن تتوقَّف. فالمعركة حامية جداً، ومن ناحيتي ليس لي حياة بديلة عن التي قد أفقدها هنا. والفوران لا يزال على أشدّه. فإليكم ردّتي.

بيستولي : ردّتك في محلّها، لأن التحدّي يتكرّر باستمرار.
الطلقات تروح وتجيء مدوّية.
وأعداء الله يسقطون ويموتون سوية.
ثم الخناجر والتروس ترقص متلوّية.
في السنهل الدامي المترامي الأطراف
يكتسبون شهرة خالدة دانية القطاف.

نيم : كم أودّ أن أكون في احدى حانات لندن. وأنا مستعد للتخلّي عن منزلتي لقاء إبريق من الخمرة في مكان آمن.

بيستولي : وأنا أيضاً حرباً لن أشنَّ
لو لم أشتهِ العزّ وأتمنَّ
لن تنقصني الارادة الحسنة
فأطير بسرعة فائقة الى الجنّة.

المرافق

بعجلة، لكن بشرف أقلّ من العادة
نظير عصفور مغرّد على غصن السعادة.

(يدخل الضابط فلولن).

فلولن : الى الخندق، أيها الكلاب، هيا الى الخندق، يا أنذال.

(يطردهم أمامه).

بيستولي (للضابط) : أيها الدوق الرفيع الشأن، كنْ رحوماً حيال رجال من الفخّار. هدّئ غيظك، أجل هدّئ غضبك، وبادرْ الى الرقة واللطف، أيها الديك الظريف.

نيم : وربّي، هذا مزاح مرح. (لفلولن). سيادتك الآن تحت رحمة مزاج خبيث.

(يخرج نيم وبيستولي وباردولف مطرودين يتبعهم فلولن).

المرافق : أنا في عزّ شبابي، قد رافقت مدة طويلة هؤلاء الجبناء الثلاثة فأصبحت غلامهم جميعاً. لكنهم لا يتركونني أخدمهم لأن هؤلاء المهرجين الثلاثة لا يوازون رجلاً متزناً واحداً. أما باردولف فجبينه شاحب اللون ووجهه أحمر كالقرمز، وهو مقبول الوسامة لكنه لا يقاتل بتاتاً. وبيستولي من جهته، لسانه جارح وسيفه مسالم. لذلك يلعلع صوته بكلام محرّض ويحبس سلاحه. بينما نيم ينصت الى الناس الذين يتكلمون أقلّ من سواهم وهم أنشط العاملين. وبالنتيجة لا يتلو صلاته خشية أن يقال عنه انه ساذج جبان. لكن ما ندر من أقواله السيئة يوازي ما يضنّ به من أفعاله الصالحة. وهو لم يكسر سوى رأسه في يوم غلب السكرُ على وعيه. يعلّق على أية سرقة ويصفها بأنها تحصيل حاصل. باردولف سرق بيت عود طَرَبَ ونقله مسافة اثني عشر ميلاً ثم باعه بثلاث ليرات. نيم وباردولف هما شقيقان رفيقا سلاح أو لصوصية تتحكّم بهما الظروف. ففي مدينة كاليه اختلسا آلة لحشو الدهن. ومن هذه الخساسة أيقنت بأنهما من عشّاق ازدراد الدَسَم والبدانة. وهما يودّان أن اعتاد مثلهما على تفريغ

جيوب الناس من محتواتها الثمينة كي يواروها في جيوبهم. وهكذا ينصبّ عليهما سيل عارم من اللعنات. لا بدّ لي من الابتعاد عنهما أو ايجاد عمل أشرف من الذي أقوم به بصحبتهما وتحريضهما. لأن خساستهما غير المحدودة تقزّز نفسي ويتحتّم علي أن أتجنّبها.

(يخرجون).
(يدخل فلولن ويتبعه كوآر).

كوآر : أيها الضابط فلولن، عليك أن تذهب حالاً الى المناجم. لأن دوق كلوسستر يودّ التحدّث اليك.

فلولن : الى المناجم؟ قلّ للدوق أن يتحدّث اليك أنت. إذ إن الأمر لا يعجبني. فالمناجم لا تشملها قوانين الحرب. ثم ان سراديبها غير كافية، لأن العدو، كما تعلمون وكما يمكنكم أن تشرحوا ذلك للدوق، قد حفر خندقاً طوله اثنا عشر قدماً قرب هذه المناجم. والله، أعتقد بإنه سيفجّر كل ما يعترض سبيله اذا لم يتّجه الى مكان آمن.

كوآر : دوق كلوسستر الذي أنيط به إحكام الحصار، هو ذاته يرشده ايرلندي مرموق وشجاع.

فلولن : اسمه الضابط ماك موريس، أليس كذلك؟

كوآر : أظن أنه هو ذاته.

فلولن : بذمّتي، هو حمار ليس له في الكون شبيه. وأنا مستعد لأن أقول له ذلك بدون مواربة. لأنه أحمق يجهل أنظمة الحرب ولا سيما الرومانية، وأكثر من كلب صغير غبي.

(ماك موريس، وجامي الايرلندي يَلُوحان عن بعد).

كوآر : ها هوذا قادم وبرفقته الضابط جامي الايرلندي.

فلولن : الضابط جامي وجيه ممتاز، بدون شك، وله نشاط مشكور، ويحفظ جيداً جميع التعليمات. بذمّتي، هو يجيد التحدث في المسائل العسكرية بصورة أفضل من أي جندي آخر في العالم، ولا سيما في نظام الحروب الرومانية.

جامي : نهارك سعيد، أيها الضابط فلولن.

فلولن : نهارك سعيد، يا صاحب السيادة الضابط جامي.

كوآر : كيف حالك، أيها الضابط ماك موريس؟ هل غادرت مناجمك؟ وهل فرغ الخبراء من عملهم؟

ماك موريس : والله، هذا نبأ سيّئ. لأن العمل قد أُهمل، والبوق قد أعلن الانسحاب. أقسم بروح أبي ان هذا صنيع مشين. لو كنت أنا المسؤول لفجّرت المدينة. سامحني الله. هذا فظيع، فظيع جداً.

فلولن : أيها الضابط ماك موريس، أرجوك، بل استحلفك ان تمنحني فترة لأتحدّث اليك على انفراد في موضوع نظام الحروب وبنوع خاص حروب روما، على سبيل المناقشة والمجاملة الودية وأخذ العلم كي أُرضي تفكيري وأُهدّئ خواطري من ناحية نظريات النظام العسكري.

جامي : بشرفي، سيكون الأمر حتماً على ما يرام، أيها الضباط الشجعان. وسأقول كلمتي حين تسنح الفرصة.

ماك موريس : والآن ليس وقت نقاش. سامحني الله. فالطقس حارّ

ونحن في حالة حرب، والملك والأمراء محرَجون والمدينة محاصرة والبوق يدعونا الى الخندق. بينما نحن لا نزال هنا نتكلّم، بدون أن نأتي بأي عمل مفيد. هذا عار علينا كلنا. سامحني، يا ربي. هذا فعلاً عار علينا. لأننا نقف مكتوفي الأيدي، والشغل أمامنا لا ينتهي.

جامي : بذمّتي، قبل أن تستسلم عيناي للرقاد، سأفعل ما باستطاعتي حيثما أذهب. وإلّا أصبحت في عداد الأموات. سأدافع بشجاعة وأتعهّد بأن أبذل كل جهدي وبإعلاني كلمتي هذه كأني أُقسم ألف يمين. وكم يسرّني أن أستمع الى أية مناقشة تدور بينكما.

فلولن : أيها الضابط ماك موريس، أعتقد بوجود عدد كبير من شعبك هناك...

ماك موريس : مِن شعبي أنا؟ ومَن هو شعبي؟ هل يتكوّن من لصوص وأولاد حرام ودجّالين ومنافقين؟ من هو شعبي، في الحقيقة؟ ومن يتكلّم عن شعبي؟

فلولن : اذا سمحت، أيها الضابط، أرجوك أن تفسّر الأمور بأضدادها. أظن أنك لن تعثر على رجلٍ يقدّر نظام الحرب ويتمتّع بصفات ومعارف ومزايا خاصة غير هذه.

ماك موريس : انا لا أعترف بأنك شخصيًّا توازيني في أي حقل. سامحني الله، إن صارحتك بأني سأُقطع رأسك في يوم من الأيام.

كوآر : أرى ان بينكما يسود سوء تفاهم غير بسيط.

جامي : أجل، هذا موضوع يلفّه الغموض والالتباس.

(يدق الجرس).

كوآر : المدينة تطلب الاستسلام وفكّ الحصار.

فلولن : أيها الضابط ماك موريس، عندما تحين فرصة أنسب، سأعلمك بأني مطّلع جيداً على نظام الحروب. هذا الآن يكفي. (يخرجون).

المشهد الثالث

أمام باب في هارفلور

(الحاكم وبعض مواطنين يظهرون في أعلى السور، وفي أسفله الجنود الانكليز. يدخل الملك هنري وحاشيته).

الملك هنري: ماذا قرّر أخيراً حاكم المدينة؟ هذا آخر تفاوض أقبل به. لذا أسألكم أن تستسلموا وتضعوا أنفسكم تحت تصرّفي. أو اذا فضّلتم أن تهلكوا بإباء وشموخ، ما عليكم إلّا أن تستفزّوا أقصى غضبي. لأنني بصفتي العسكرية وهذا اللقب هو أوْلى ما يلائمني في الوقت الحاضر، اذا فتحت أفواه مدافعي لن أترك مدينتكم هارفلور الا خراباً فظيعاً، ومدفونة تحت ركامها. لأنني سأغلق جميع أبواب الرحمة في وجهكم، وجنودي الأشدّاء البواسل سيطلقون العنان لسواعدهم القويّة ويلوّثونها بدمائكم بضراوة غاشمة كزبانية الجحيم، لتحصد كالعشب عذارى أسركم الجميلة وصفوة أولادكم الذين يتّسمون بالزهو والوسامة. أمّا انا فلا يهمّني أمر ما دامت الحرب الطاغية تتّشح بلهيب النار

كرؤساء الأبالسة الذين يرتكبون بدون تورّع أشنع الموبقات من نهب وقتل وتدمير. وهذا لا يهمني أيضاً لأنكم البادئون والبادئ أظلم. من ذا الذي يقوى على صدّ التدهور والانحدار، ما دامت بناتكم الطاهرات رازحات تحت وقر عار الاغتصاب الأهوج المهووس؟ من ذا الذي يستطيع أن يلجم النزوات عندما تفلت من عقالها؟ عبثاً أمرّر تحذيراتي وانذاراتي التي أراها عاجزة بحق الجنود الشاردين المنصرفين الى السلب والنهب كأنهم يضربون عرض الحائط بأوامر الطاعة بغية اجتياح الأرض ليعيثوا فيها فساداً. لذا عليكم، يا أهالي هارفلور ان تشفقوا على مدينتكم وعلى ذواتكم وعلى مواطنيكم. بينما لا يزال جنودي منضبطين تحت أمرتي. والنسيم البارد العليل الساري في الأجواء كالبر والاحسان ليطرد الغيوم السوداء المتصاعدة من بؤرة القتل والسرقة والاجرام. وإلا اضطروا بعد برهة الى رؤية أيدي الجنود الملطّخة بالدماء تشدّ شعر بناتكم وهنّ يصرخن من شدة الألم، ولحى آبائكم التي وخطها الشيب ورؤوسهم مهشّمة على الجدران، وأولادكم « مرفوعين » على الأوتاد، وأمهاتهم كالمجنونات يولْولْن ويملأن عنان السماء بكاءً ونحيباً، كما فعلت نساء منطقة اليهودية أثناء هجوم جلّادي هيرودوس لقتل جميع الأطفال. ما قولكم؟ هل تريدون أن تستسلموا لتتجنّبوا هذه الكوارث الأليمة باقلاعكم عن دفاع لن يعود عليكم إلا بالخراب والدمار.

الحاكم : في هذا اليوم انهارت كل آمالنا. فوليّ العهد الذي التمسنا عونه قد أجابنا بأن جنوده لا يكترثون لرفع

حصار بهذه الأهمية. لذا، أيها الملك المرهوب، نضع مدينتنا وحياتنا في حمى رحمتك. فادخل بيوتنا وتصرّف بعيالنا وبجميع ما يخصّنا. لأننا لم نعد قادرين على الزود عن أنفسنا أكثر مما فعلنا.

الملك هنري: افتحوا أبوابكم. هيا، يا عمي إكساتر، ادخل مدينة هارفلور وامكث فيها أنت وجنودك وتحصّنوا حيال الفرنسيين. وأرجو أن تعامل الجميع برحمة. لأنني، يا عمي العزيز، أودّ أن أنسحب الى مدينة كاليه وقد اقترب الشتاء والمرض يفتك بصفوف قواتنا. في هذه الليلة سأكون انا ورجالي ضيوفك في هارفلور. وغداً ترانا جاهزين للرحيل.

(تُسمع الموسيقى. ويدخل الملك والجيش الانكليزي الى المدينة).

المشهد الرابع

في قصر مدينة روان.

(تدخل كاترين وأليس).

كاترين : يا أليس، لقد ذهبتِ الى انلكترا، وبتِّ تتكلمين لغتها جيداً.

أليس : بل قليلاً، يا سيدتي.

كاترين : أرجوكِ أن تعلّميني، اذ لا بدّ لي من أن أتدرّب على الحكيِ. كيف تسمّين اليد بالانكليزية؟

أليس : اليد تدعى « هانْد ».

كاترين : « ذي هاند ». والأصابع؟

أليس : الأصابع. لقد نسيت اسمها. لكنني سأتذكره. الأصابع، أظن ان اسمها « دي فنكرْز » أجل « دي فنكرز ».

كاترين : اليد « دي هانْد »، والأصابع « دي فنكرز ». أعتقد اني تلميذة مجتهدة. فقد تعلّمت كلمتين انكليزيتين بسرعة. كيف تسمّين الأظفار؟

أليس : الأظفار اسمها « دي نايلز ».

كاترين : « دي نايلز ». اسمعي. قولي لي اذا كنت ألْفظها جيداً. « دي هانْد »، « دي فنكرز »، « دي نايلز ».

كاترين : ما اسم الذراع بالانكليزية؟

أليس : « دي آرم » يا سيدتي.

كاترين : والكوع؟

أليس : « دي ألبو ».

كاترين : « دي ألبو ». لا بد لي من مراجعة كل الأسماء التي تعلّمتها.

أليس : أعتقد بأن هذا الأمر سهل جداً.

كاترين : أعذريني، يا أليس. إسمعي : « دي هانْد، دي نايْلز، دي آرْم، دي بلبو ».

أليس : لا، « دي ألبو »، يا سيدتي.

كاترين : يا الهي لقد نسيتها. « دي البو ». كيف تسمّين الرقبة؟

أليس : « دي نكّ »، يا سيدتي.

كاترين : « دي نَكّ ». والذقن؟

أليس : « دي تْشين ».

كاترين : « دي سِنّ ». الرقبة « دي نَكّ ». الذقن « دي سِنّ ».

أليس : نعم. أنت تلفظين هذه الكلمات نظير من ولدوا وعاشوا في انكلترا.

كاترين : انا لا أشكّ بأني سأتعلّم بسرعة.

أليس : ألم تنسَيْ ما قد علمتك اياه؟

كاترين : كلا. سأعيده عليك بعجلة : « دي هانْد، دي فنْكرْز، دي مايْلزْ ».

أليس : لا، « دي نايلز »، يا سيدتي.

كاترين : « دي نايلْز، دي آرْم، دي بلبو ».

أليس : لا، يا سيدتي. « دي ألبو ».

كاترين : أكرر « دي ألبو، دي نَكّ، دي سِنّ ». كيف تسمّين القدم والثوب؟

أليس : « دي فوت »، يا سيدتي. و « دي كاوْن ».

كاترين : « دي فوت، دي كاون ». يا الهي هذه الفاظ صوتها غير رخيم وتعرّضني الى الخطأ، وهي خشنة ولا يطاوعها لساني. لا يجمل بالسيدات أن يستعملنها.

انا لا أودّ أن ألفظها أمام سادة فرنسا وأن أقولها لكل الناس. لكن يجب أن ألفظ « دي فوت، دي كاون » على الأقلّ. في المرة القادمة سأعيد كل هذه الكلمات : « دي هاند، دي فنكرز، دي نايلز، دي آرم، دي ألبو، دي نَكّ، دي سِن، دي فوت، دي كاوْن ».

أليس : هذا ممتاز، يا سيدتي.

كاترين : ألا ترين ان ما ردّدته كافٍ لهذه المرة؟ هيا نذهب الى تناول طعام العشاء.

(تخرجان).

المشهد الخامس

في قصر مدينة رُوَان

(يدخل ملك فرنسا ووليّ عهده ودوق بوركوني وقائد فرنسا وغيرهم).

ملك فرنسا : أنا على يقين بأن العدو قد تجاوز الآن نهر السوم.

القائد : واذا لم نقاتله، يا مولاي، علينا أن نكفّ عن البقاء في فرنسا. لنهجر كل هذه الأراضي، ولنترك كروم عنبنا لشعب بربري:

ولي العهد : أيها الاله الحي، ان بعض الأبناء الضعفاء الذين وُلدوا من صُلْب آبائنا، وهم أغصان من دوحتنا وفروع من أصلنا على أرضٍ بور غير مزروعة، يملأون فجأة كل مكان ليسيطروا على المنشأ الذي صدروا عنه.

بوربون : هم نورمنديّون، أولاد حرام. ليُحكم عليّ بالاعدام، اذا واصلوا زحفهم ولم يلاقوا أية مقاومة. سأبيع دوقيّتي لأشتري مزرعة موحلة قذرة في جزيرة ألْبيون الإنكليزية الوعرة.

القائد : يا إله الحرب، من أين استمدّوا هذه الجسارة في الهجوم؟ أوليس مناخهم عابق بالضباب يبعث على التراخي والخمول؟ فالشمس تبدو كأنها نكايةً بهم لا تظهر لهم إلا شاحبة، مع انها تُتْلف ثمارهم بأشعتها المحرقة. وهل هذه المياه المحمّرة التي لا تصلح إلا لإرواء المعلولين المتعبين هي منقوع الشعير الذي ربما دفّأ دمهم المجلّد ثم حوّله الى حماس يغلي كالقدر في الصدور؟ بينما دمنا هذا الكريم الذي تنعشه الخمرة يبدو كأنه مصقع. آه، بالله عليكم، لأجل المحافظة

على شرف بلادنا، لا تظلوا جامدين كقِطع الجليد التي تغطّي سقوف بيوتنا، حينما تسكب أمّة أبرد منّا عرق شبّانها البواسل في برارينا الغنية التي لا تضمّ الا فقراء معْدمين خاضعين لسادتنا المتخاذلين.

ولي العهد : بشرفي وإيماني، ها هي نساؤنا تهزأ بنا، ويصرخن بصوت عالٍ إن نشاطنا قد اضمحلّ، وانهن سيستسلمن الى دعارة الشبان الإنكليز ليعيدوا الى شعب فرنسا ما فقده من محاربيه أولاد الحرام.

بوربون : انهن يُرجعننا الى معاهد الرقص الانكليزية لنتعلّم بعض الخطوات القديمة والعصرية أيضاً وهن يعتبرن اننا لا نحسن إلا تحريك شفاهنا وهزّ أردافنا واننا متفوّقون فقط في الصخب والعربدة.

ملك فرنسا : أين المنادي مونجوا؟ استدعوه عاجلاً لكي يمضي الى الانكليز ويحيّيهم على أثر تحدّياتنا التي حطّت من كرامتهم. وقوفاً، أيها الأمراء، وتسلّحوا بروح الشهامة المرهفة أكثر من حدّ سيوفكم، ثم بادروا الى القتال بصحبة شارل البير قائد. فرنسا الكبير، يا سادة أورليان وبوربون وباري وألانسون وبرابان وبار وبوركوني، ثم جاك شاتيون ورامْبور وفوادمون ولاسْترال وبوسيكو وسارولي. أيها السادة. الكرام والأمراء الأجلاّء والقادة والفرسان، باسم عظمتكم، أرجوكم أن تغسلوا عاركم. أوقفوا زحف هنري ملك انكلترا هذا الذي يجتاح سهولكم، ومشاعله ملوّثة بدماء أهالي هارفلور. إنقضّوا على جيشه كانهيارات الصخور التي تهبط الى أعماق الوادي في هذه البقعة البغيضة العاصية حيث تنفث

سموم حقدها في فضاء جبال الألب وتلفظ حثالتها لتستقرّ في وهادها. هاجموهم بما لديكم من قوات كافية لدحرهم، واقتادوهم الى روان في عربات مغلقة كالأسرى بذلّ ومهانة.

القائد : هذا كلام يبعث على العظمة. انا مستاء لأن هذه الفِرَق العديدة، تضمّ جَنوداً مرضى أرهقهم الإزعان والتعب، لأني موقن بأن العدو حالما يبصر جيشنا ستخور عزيمته لأول وهلة من شدة الهلع. ومهما كانت ردة فعله، سيدفع لنا ما يترتّب عليه من فدية.

ملك فرنسا : على كل حال، أرجوك، أيها القائد، ان تسارع الى إرسال مونجوَا ليبلغ الانكليز اننا نريد أن نعرف مبلغ الفدية التي ينوون ان يدفعوها لنا.

ولي العهد : لا، لا. أستحلف جلالتك أن لا ترسله.

ملك انكلترا : مهلاً، ستبقى برفقتنا... وعلى هذا الأساس، أيها القائد، وأنتم، أيها الأمراء، أرجوكم أن تبدأوا زحفكم وأن لا تتأخروا في أن تزفّوا إلينا بشرى سقوط الإنكليز حتماً بأقرب وقت.

(يخرجون).

المشهد السادس

في معسكر انكليزي بمنطقة بيكاردي

(يدخل كوآر وفلولن).

كوآر : كيف حالك، أيها الضابط فلولن؟ هل أنت قادم من ناحية الجسر؟

فلولن : أؤكد لكم ان العمليات ممتازة حول ذاك المكان.

كوآر : هل دوق إكساتر سالم من كل أذى؟

فلولن : انه بطل عظيم، نظير الملك أكاممْنون. وهو رجل أُحبّه أنا وأحترمه من أعماق قلبي. نشكر الله على أنه لم يصب بأي ضرر. ها هو يحرس الجسر بيقظة لا مثيل لها وبنظام مشكور. فقرب هذا الجسر ضابط أعتقد أنه أمهر وأشجع من مرقس أنطونيوس، ويتمتع بثقة الجميع وتقديرهم. ولقد أبصرته يؤدّي واجبه على أكمل وجه.

كوآر : ما اسمه؟

فلولن : اسمه الضابط بيستولي.

كوآر : أنا لا أعرفه.

(يدخل بيستولي).

فلولن : ها هوذا الرجل.

بيستولي : أرجوك، أيها الضابط، أن تسدي اليّ معروفاً. ان دوق اكساتر يحبّك كثيراً.

فلولن : نشكر الله. فقد أظهر لي بعض الصداقة.

بيستولي : باردولف جندي نشيط وحازم ولامع، وقد حالفه الحظ السعيد الذي يدور دولابه بدون انقطاع...

فلولن (بقاطعه) : مهلاً، أيها الضابط بيستولي. الرسامون يمثّلون الحظ دوماً شخصاً معصوب العينين ليبرهنوا على أنه أعمى، ويمثلونه أيضاً واقفاً على دولاب، إشارةً الى أنه متقلّب غير مستقرّ وانه دائم التبديل والتغيير، كما يمثّلونه أيضاً واقفاً على حجر كروي الشكل يتدحرج

باستمرار. في الحقيقة، يخص الشاعر الحظ غالباً بأوصاف فخمة، ويقال كذلك ان الحظ صياد طائش، لا يميّز بين أبناء البشر.

بيستولي : لكن الحظ يعادي باردولف وينظر دائماً اليه شذراً. لأنه سرق كأساً ليست ذات قيمة، وبالتالي لا بد له من الشنق. تبًّا للموت، يجب على المشنقة أن تكون على كل حال من نصيب الكلاب المسعورة. لكن لا بد للانسان من أن يظل حرًّا، ولا يليق به أن يعلّق بحبل من القنّب. أمّا إكساتر فقد لفظ حكم الاعدام بحق سارق كأس زهيدة القيمة. أرجوك أن تذهب وتكلّمه في هذا الموضوع، لعلّ هذا الدوق يستمع اليك. فحرام أن يُزهِق روح باردولف حبل يساوي فلسين فقط. هذا أمر فظيع لا يطاق. أرجوك أن تتوسط لإنقاذه، وأنا لن أنسى لك هذا الجميل.

فلولن : أيها الضابط بيستولي، أنا أفهم فكرتك نوعاً ما.

بيستولي : اذاً، إفرح وابتهج من كل قلبك.

فلولن : لا شك، أيها الضابط، ان الأمر لا يدعو الى التفاؤل. لأني، حتى إن كان مصدر الحكم أخي، لن أدع الدوق يشفي غليل نقمته ويرسله الى الاعدام. اذ لا بد من أن يسود القانون ويساوي الجميع بالعدل والإنصاف.

بيستولي : اذاً مُتْ وكن من الهالكين. وسيصبح ذلك اليوم عندي نهار عيد.

فلولن : حسناً.

بيستولي : عيد على الطريقة الاسبانية.

فلولن : هذا ممتاز.

كوآر : طبعاً لأن هذا اللص الخسيس محتال لئيم، أتذكّره الآن جيداً.

فلولن : أؤكد لك انه ألقى على الجسر كلاماً بديعاً كيوم صيف رائع. طبعاً هذا حسن، لأن ما قاله لي جميل... أؤكد لك، عندما تسنح لي الفرصة...

كوآر : هو ثرثار أحمق غبي، يذهب من حين الى آخر الى الحرب ليتهادى عند عودته الى لندن بمظاهر الجندي البطل. وأمثال هؤلاء الفتيان يعرفون بدقّة أسماء أبرز الضباط، ويحفظون غيباً بعض الخفايا التي تحصل في كل خندق وفي كل بقعة وفي كل قافلة، ومن الذي تصرّف ببسالة ومن الذي قُتل بطريقة غامضة، ومن الذي خسر رتبته العسكرية، وما هي أوضاع العدو، ويكرّرون عليك ذلك بطلاقة وبأسلوب عسكري مقرون بأحدث الشتائم. ولا يسعك أن تتصوّر مدى الأثر العجيب الذي يتركه هذا الإعتداد والتبجّح. فخيّل الى السامع ان راويها قائد محنّك يسرد ما خاضه من المعارك الضارية وقد تجرّع بعض الكؤوس المشعشعة فذهبت بوعيه وأتزانه. لكن لا بد من أن تعرفوا هؤلاء الأدعياء الخبثاء الذين يصمون عصرنا الغريب بالعار والشنار، وإلّا كنت من المخدوعين الأغبياء.

فلولن : أريد أن أقول لك، أيها الضابط كوآر، ان هذا ليس ما يُرتجى أن يحصل في هذا العالم العجيب، اذا وجدت ثغرة في حديثه، سأبيّن له رأيي فيه. (يسمع قرع الطبول) اسمعوا. ها هوذا الملك قادم، وعليّ أن أبلغه أنباء الجسر.

(يدخل الملك هنري وكلوستر والجنود).

فلولن : على بركة الله، يا صاحب الجلالة.

الملك هنري: هل أنت قادم من الجسر، يا فلولن؟

فلولن : أجل، يا صاحب الجلالة. فدوق إكساتر دافع عن الجسر بشجاعة نادرة. فانسحب الفرنسيون وبات الطريق اليه سالكاً بحرّيّة تامة. اراد العدو أن يستولي على الجسر، لكنه أُجبر على التقهقر، وأضحى دوق إكساتر سيّد المكان. ويسرّني أن أصرّح لجلالتك بأن الدوق رجل باسل حقاً.

الملك هنري: كم جندياً فقدت، يا فلولن؟

فلولن : خسائر العدو بالأرواح باهظة جداً. وأعتقد بأن الدوق لم يفقد رجلاً واحداً، ما عدا الذي سينفّذ فيه حكم الاعدام عقاباً لأنه سرق معبداً، ويدعى باردولف. ربما تعرفه، يا صاحب الجلالة. وجهه كله بثور ودمامل، وشفتاه تهتزّان تحت أنفه الذي يتوهّج كالخمرة بلون تارة أزرق وطوراً أحمر. حتماً، لا بد من أن ينفّذ فيه هذا الحكم وشيكاً.

الملك هنري: أودّ أن أرى أمثال هؤلاء الأشقياء ينالون نصيبهم من القصاص وسآمر أثناء اجتيازي البلاد بأن لا يأخذ أحد شيئاً عنوةً من القرى. بل أن يدفع ثمنه، وبأن لا يُنزَل أي اذلال وأن لا يُوجّه الى الفرنسيّين أي كلام قارس. اذ عندما تتأرجح الأمور بين اللطف والخشونة، لا بد للّين من أن يكون الفائز.

(تسمع الموسيقى ويدخل مونجوًا).

مونجوًا : هل عرفتني من بزّتي، يا مولاي.

الملك هنري: طبعاً عرفتك. ماذا جئت تُعلِمني ؟

مونجوَا : نوايا سيدي.

الملك هنري: هيا أكشفها لي.

مونجوَا : إليك ما أفصح عنه مليكي : قُلْ لهنري ملك انكلترا اننا مهما ظهرنا كالأموات، كن على يقين بأننا كنا نياماً. ان التروّي في الحرب يجدي أكثر من التسرّع. قل له اننا قادرون على دحره في هارفلور، غير اننا لم نجد خيراً في سحق الإساءة قبل أن تتحرّك، وها قد جاء وقت ردّنا عليكم، وصوتنا كله ثقة بأنفسنا. لا بد للانكليز من أن يندموا على هوسهم أو بالحري على ضعفهم، وان يقدّروا فضل تسامحنا. قل له أيضاً أن يفكّر بدفع الفديّة عن شخصه بنسبة توازي ما حلّ بنا من الخسارة، وما فقدناه من الرعايا وما تحمّلناه من الاهانة التي لحقت بنا، والتكفير بما يعادل الاذلال ويقلّل صغارة مسبّبيه. ولكي يعوّض عن خسائرنا الباهظة سيجد امكانياته زهيدة. اما التعويض عن الدم المسفوك ظلماً فجميع سكان مملكته لا يكفي عددهم لقاء المذلّة، التي لحقت بنا، وركوعه شخصيًّا عند قدميّ لن يكون سوى ترضية غير وافية. وبالاضافة الى هذا التصريح لا تنسَ تحدّياتنا. ثم قل له بالنتيجة انه خان أنصاره وهو يلفظ حكم الاعدام بحقهم. هكذا تكلم مليكي، وهذه هي رسالته الواضحة التي أحملها منه اليك.

الملك هنري: أنا أعرف صفتك، فما هو اسمك؟

مونجوَا : مونجوَا، يا مولاي.

الملك هنري: أنت تقوم بمهمتك بامتياز. عُدْ على جناح السرعة

وقل لمليكك اني في هذه اللحظة لا أسعى اليه، بل أريد الزحف على مدينة كاليه بدون أن يعترض أحد سبيلي. لأن، الحق أقول لك، أي مستهتر يعلن مثل هذه الاعترافات هو عدّو لدود مزعج يضعف موقف جنودي الذين داهمهم المرض. لقد قلّ عدد فرقي، والقليل ممّا تبقى لي من الرجال لا يوازي أبداً أغلب الفرنسيّين. وعندما كان جنودي يتمتعون بصحة جيدة، أؤكد لك، أيها المنادي، ان كل انكليزي كان يعادل ثلاثة فرنسيين. لكن، سامحني الله على موقفي هذا المتشامخ الذي بعثه فيّ مناخكم الفرنسي، وأرجو أن أتخلّص منه قريباً. إذهب اذاً وقل لمولاك اني هنا، وفديتي هي هذا الصندوق الهزيل البائس. وجيشي ليس الآن سوى حرس ضعيف عليل. لكن قل له اننا بعون الله سنواصل تقدّمنا حتى يسدّ طريقنا ملك فرنسا شخصياً أو أحد حلفائه الأقوياء. هذا ما يضايقني، يا مونْجوَا. (يقدم له هدية). اذهب وقل لسيدك أن يفكّر مليًّا في الأمر. إن تركنا نمرّ بسلام كان به، واذا وقف حائلاً يعترض سبيلنا سنمرّ رغم أنفه. واذا حاول أن يمنعنا عن التقدّم سنخضّب تربة أرضكم الصفراء بدمائكم الحمراء. وعلى هذا الأساس أقول لك الوداع، يا مونجوا. بالاختصار، هذا هو ردّي الواضح الصريح الذي لا يحتمل أي تأويل. ففي وضعنا الحاضر نحن لا نبغي القتال، كما اننا في ظروفنا الحالية، لا يسعنا أن نتجنّب هذا الصراع. قل هذا حرفياً لمولاك.

مونجوَا : سأنقل اليه هذا الكلام. أشكرك يا صاحب الجلالة.

(يخرج مونجوا).

كلوسستر : أرجو أن لا يهاجمونا بعد الآن.

الملك هنري: نحن في حراسة الله، يا أخي، لا تحت رحمتهم. ازحفوا على الجسر، فقد هبط ظلام الليل. سنعسكر وراء النهر، وغداً آمر بمواصلة الزحف.

(يخرجون).

المشهد السابع

في المعسكر الفرنسي آزنكور

(يدخل قائد فرنسا وسير رامْبور ودوق أورليان وولي العهد وغيرهم).

القائد : درعي أفضل دروع الدنيا... كم أودّ أن يطلع النهار.

اورليان : فعلاً درعك ممتاز. أرجوك أن تعتني بجوادي.

القائد : هذا أولى جواد في أوروبا.

اورليان : يخيّل اليّ ان الصباح لن يطلع على هذا المنوال.

ولي العهد : يا مولاي اورليان، وأنت أيها القائد الكبير، ما بالكما تتكلّمان عن الجواد والدرع؟

اورليان : أنت على هذين الصعيدين حاصل على أكمل ما في الدنيا.

ولي العهد : ما اطول هذه الليلة. لن أبدّل حصاني بأي جواد آخر، لأنه يقفز فوق الأرض كأنه محشوّ ريش نعام. هو شبيه بالجواد الطائر الذي ينفث النار من منخريه. وعندما أمتطيه أشعر بأني أحوم في الفضاء كصقر كاسر. وحينما أرفرف في الهواء تبتهج الأرض لمجرد ملامسته اياها، وقد أخذ ظلف حافره يُخرج نغماً رخيماً يعجز عن تأديته ناي هرمس.

اورليان : ولونه يقارب لون جوز الطيب.

ولي العهد : أمّا حرارته فتوازي حرارة الزنجبيل. انه حيوان يستحق « برسيه » أن يركبه، لأنه كله نشاط وحيوية. وعناصر الأرض والماء لا تتفاعل في باطنه إلا بهدوء وسكون، ساعة يمتطيه فارسه. هذا هو الحصان الأصيل، بينما يمكنك أن تعتبر سائر الخيول وضيعة الأصل بالنسبة اليه.

القائد : فعلاً، يا مولاي. هذا حصان ممتاز كامل الأوصاف.

ولي العهد : هو حقاً جواد أصيل كأنه أمير، صهيله كأوامر الملك المطاع، ومشيته تفرض تقديره ورشاقته تستقطب محبة الجميع.

اورليان : يكفيه هذا المديح، يا ابن عمي.

ولي العهد : لا، لا. هذا الجواد لا يعصى عليه أمر عسير فمنذ الصباح حتى المساء يليق به أن يكون سيّد الخيل طرًّا. هذا موضوع رجراج كموج البحر، وكحبّات الرمل الناعمة، وكاللغات الفصيحة. وأنا أجد حصاني في حدّ ذاته حجّة تُقْنع بأصالته، وقضيته تستحق أن يعالجها أعظم الملوك. هو جدير بأن يترك كل الناس، المعروف منهم والمجهول، شتى مشاغلهم لكي يتأملوا مزاياه ويُعجبوا بميزاته التي لا تحصى. ذات يوم نظمت قصيدة في مدحه، مطلعها :

عجائب الدنيا كثيرة....

اورليان : لقد سمعت قصيدة بهذا المطلع موجهة الى عشيقة.

ولي العهد : ربما قلّد أحد الشعراء تلك التي بدأتها لوصف مطيّتي. لأن حصاني عزيز عليّ مثل عشيقتي.

اورليان : أرى ان عشيقتك شبيهة بأحلى مطية.

ولي العهد : اجل بالنسبة اليّ. وهذا أمر يستحق الاعتبار بالنسبة الى الكمال الذي تشتمل عليه نعوت العشيقة المليحة الأمينة.

القائد : مع ذلك أعتقد بأن عشيقتك قد تغلّبت عليك في ذاك النهار الميمون.

ولي العهد : ربما كان ذلك ما فعلته عشيقتك أيضاً.

القائد : عشيقتي لا يصدّها أي حاجز.

ولي العهد : قد تكون مرنة وطيّعة وأنت تمتطيها مثل فارس ايرلندي، بكل هدوء وتؤدة.

القائد : كم تبدو خبيراً عليماً بفن الفروسية.

ولي العهد : استمع اذاً الى رأيي : من يمتطي بهذه الطريقة يتصرّف بكثير من التحفّظ وقد يسقط في حفرة غير منظورة. إلّا أني أفضّل أن تكون مطيّتي فرسي الأليفة.

القائد : أمّا أنا فأفضّل أن تكون مطيّتي حصاناً جموحاً.

ولي العهد : أؤكد لك أيها القائد، ان عشيقتي ذات صفات مميّزة.

القائد : أنا أيضاً أقول هذا لو كانت عشيقتي سمكة ترويت.

ولي العهد : عاد الكلب الى نباحه، وسبحت الترويت بالوحل. أراك تستخدم كل ما يقع تحت يدك.

القائد : مع ذلك، انا لا أستخدم حصاني كعشيقتي، ولا أورد هذا المثل في غير محله.

رامبور : سيدي القائد، أرجوك أن تقول لي : هل الدرع الذي أبصرته الليلة في خيمتك تزيّنه النجوم أم الشمس؟

القائد : النجوم، يا سيدي.

ولي العهد : أرجو أن يسقط بعضها غداً.

القائد : مع ذلك سيظل منها عددٌ كافٍ يدور في فلكي.

ولي العهد : ربما لأن لديك الكثير منها، واذا فقدت بعضها يبقى لك شرفك الرفيع.

القائد : هكذا هو حال جوادك الذي تغدق عليه الثناء. لذا سيسير بطريقة غير مستحسنة إن خفّفت بعض تبجحاتك في أوصافه.

ولي العهد : أودّ أن أكيل له المزيد من المديح الذي يليق به... أولن يطلع علينا هذا النهار؟ غداً أريد أن أركبه ليسير بي مسافة ميل، وأتمنّى أن يكون طريقي محاطاً بالانكليز.

القائد : انا لن أقول هذا، خوفاً من أن أتلقّى بعض الاهانات التي تثبّط عزيمتي. بل أتمنى أن يكون قد طلع النهار، لأني عندئذٍ أتمكن من شدّ أذن الانكليز بكل طيبة خاطر.

رامْبور : من يريد أن يراهنني؟ فأنا أراهن على اني سآسر عشرين منهم.

القائد : عليك أولاً أن تجرؤ وتخرج لمقابلتهم.

ولي العهد : الآن انتصف الليل. وعليّ أن أتقلّد أسلحتي.

اورليان : وليّ العهد متشوّق الى رؤية نور النهار.

رامْبور : ويتوق أيضاً الى اقتناص بعض الانكليز.

القائد : أعتقد بأنه قادر على قتل كل من يشاهدهم.

اورليان : بحق يد السيدة البيضاء، أؤكد لك انه أمير عريق في الظرف والكياسة.

القائد : الأحرى بك أن تحلف برِجْلها كي يتسنى لها أن تدوس هذا القَسَم بقدميها.

اورليان : هو بكل بساطة أنشط وجيه عرفته في فرنسا.

القائد : تصرّفه كله حيوية. وفي الواقع يصرّ دائماً على انجاز ما يباشر عمله.

اورليان : لم أعلم يوماً بأنه أتى أيّ عمل سيّئ.

القائد : وغداً لن يُقْدم على إتيان أي شرّ. وهكذا يحتفظ بسمعته الطيبة.

اورليان : انا أعرف جيداً أنه باسل.

القائد : هذا ما قاله لي شخص خبِره أكثر منك.

اورليان : من هو؟

القائد : لعمري، قال لي ذلك هو بذاته. وأضاف انه لا يحبّذ أبداً أن يعلم الناس بأمره.

اورليان : لا حاجة به الى كتمان ما قال. لأن صفته هذه ليست بخافية على أحد.

القائد : بذمّتي، هذا لا شك فيه. لم يبصره أحد سوى خادمه. فقيمته في الواقع متوارية ومحجوبة عن الأنظار. وعندما ينطلق في هذا السبيل ينجو حقاً بنفسه.

اورليان : العمل الرديء يستحق الملامة دائماً.

القائد : على قولك هذا أردّ بما يلي : لا بد من أن يظهر التمليق والرياء في كل صداقة مغرضة.

اورليان : وأنا أضيف قائلاً : يتحتّم منح الشيطان ما تستوجبه أفعاله.

القائد : هذا قول رصين. وهنا يكمن صاحبك الشيطان بعينه. وأنا أجيب على كلامك مؤكداً : ليحصد الطاعون إبليس اللعين كي ننجو من مكائده.

اورليان : أراك الأقوى بيننا في لعبة هذه الردود الخبيثة. وهذا أمر بسيط، فسرعان ما تتبيّن لك ملامح الهوس الذي يودي اليه.

القائد : لقد تجاوزت الهدف المنشود بمراحل.
اورليان : وهذه المرة ليست الأولى التي تتخطّاك فيها الأحداث.

(يدخل رسول).

الرسول : مولاي كبير القادة، الانكليز أمسوا على بعد ألف وخمسمئة قدم من خيمتك.
القائد : ومن قاس هذه المسافة؟
الرسول : مولاي كرانْبْري.
القائد : هو وجيه وافر الخبرة... أتمنى أن يطلع النهار أخيراً. يا للأسف، هذا المسكين هو هنري ملك انكلترا الذي لا يتنهّد نظيرنا عند طلوع الفجر.
اورليان : تبًّا لملك انكلترا هذا من طائش. فلقد أتى من بعيد بصحبة رفاقه الذين فقدوا عقولهم، وجاؤوا لمحاربتنا في برارينا.
القائد : لو كان لدى الانكليز فكر سليم لكانوا هربوا من زمن طويل.
اورليان : أجل، ينقصهم الفكر السديد. لو كان لرؤوسهم دروع عقليّة تحمي أذهانهم لما حملوا مثل هذه السيوف الثقيلة.
رامْبور : لا ننسَ ان جزيرة انكلترا تحوي مخلوقات عجيبة. حتى ان كلابهم تتمتّع بشجاعة نادرة.
اورليان : لا بل هي كلاب سخيفة ترتمي مغمضة العينين بين أشداق الدب الروسي فيحطّم رأسها كتفاحة عفنة. كما انك يمكنك أن تحكم على البعوضة أنها شجاعة حين تجسر على تناول غذاءها على شفة الأسد.
القائد : هذا صحيح. فهؤلاء الرجال يتمسّكون بكلابهم بعناد

وشراسة، بينما هم يضيعون عقولهم في أحضان نسائهم، على أن يحفظن لهم وجبة طعامهم من لحم البقر، ثم يدعن لهم نصال الحديد والفولاذ فيزدردون غذاءهم كالذئاب ويقاتلون كالأبالسة.

اورليان : أجل، لكن هؤلاء الانكليز ينقصهم لحم البقر في أغلب الأحيان.

القائد : في هذه الحالة، تراهم غداً متشوّقين الى الأكل لا الى القتال. والآن حان الوقت لنتقلّد كامل أسلحتنا. هيّا بنا.

اورليان : الآن بلغت الساعة الثانية. لكن سنرى... وقبل الساعة العاشرة سيكون امام كل منا مئة انكليزي.

(يخرجون).

الفصل الرابع

(يدخل المُشرف)

المُشْرِف : تصوّروا في هذه اللحظة كيف تعلو الضجة قليلاً قليلاً ويهبط الظلام غامراً رحاب الكون الفسيح. ومن معسكر الى آخر، من خلال عتمة الليل، سيتصادم صخب الجيشين ثم يهدأ، وأشخاص الحادث يتلقّون بغموضٍ كلمة السر العجيبة التي تهمس بها الشفاه في مواقع العدوّ. والنار تردّ على النار بوهج متصاعد. ولهيب كل جيش مهما كان خافتاً يطال وجوه الآخرين الكامدة. وجياد الحرب تهدد أخصامها بصهيلها المضطرب المتعالي الذي يشق عنان السماء ليلاً. وفي الخيام يبادر الرجال الموكلون بالسلاح الى تجهيز الفرسان برماحهم التي تشدّد السواعد وتطلق اشارة الاستعداد الرهيب للقتال. ديوك الأرياف تصيح والأجراس تقرع معلنة حلول الساعة الثالثة فجراً من خلال الطبيعة المتناومة. وهم فخورون بعددهم وأمان نفوسهم، والفرنسيون المتشامخون يناوئون الانكليز المنبوذين، ويعاركون الليل الدامس البطيء الذي يجرّ

ذاته بتخاذل كأن ظلمته شبح ساحرة عجوز شمطاء. والانكليز المساكين كضحايا محكوم عليهم ظلماً يجلسون بخمول قرب نار معسكرهم صامتين واجمين يفكّرون بأخطار الغداة. كذلك موقفهم الحزين وخدودهم الهزيلة الشاحبة وثيابهم الحربية المهلهلة كالأسمال البالية تتراءى لهم في ضوء القمر كخيالات مخيفة. والآن، من يرى القائد الملكي على رأس هذه العصابة المشهمة المشتتة يتنقّل من متراس الى آخر ومن خيمة الى أخرى وهو يصيح : الحمدلله والمجد لهذه الأرض المباركة. ويتقدّم في الواقع ليزور كل أفراد جيشه متمنيًّا يوماً سعيداً لجميع الأخوة والأصدقاء والمواطنين. وعلى محياه الملكي ليس من علامة تدل على ان جيشاً هائلاً يطوّقه، ولا يبدي أي ارتعاش من جرّاء سهاده طوال هذه الليلة المرهقة. بل بالعكس يظهر مرتاح الجسم والبال وهو يسيطر على مشاعره، ووجهه هادئ ترتسم عليه مسحة الصفاء والجلال، وليس في أنظاره أي دليل على القلق بل تطالعك في قسمات وجهه شجاعة وتصميم، ولا أثر في طلعته لأي انزعاج وارتباك. وفي عينيه البرّاقتين يتجلّى بُعد النظر ويسطع كشمس تذيب أشعتها الوضاحة كل ما يوحيه الموقف الحرج من رهبة وصمود. هكذا يسعكم، أيها الحضور صغاراً وكباراً أن تتأملوا وتُعجبوا بهيئة الملك هنري الذي تُهيمن وسامته الجذّابة على ساحة المعركة وقد سيطرت عليها هينمة النسيم. عذراً، علينا أن لا نهلع بسبب أربع أو خمس زهيرات سحقها عَرَضاً نزاع سخيف عند ضواحي آزنكور. مع ذلك،

أرجوكم أن تجلسوا وتشاهدوا، وأن تتذكّروا الأحداث الحقيقية من خلال أشباح هذه المهزلة المسلّية.

(يخرج المشرف).

المشهد الأول

في معسكر الانكليز بآزنكور

(يخيّم ظلام الليل، ويدخل الملك هنري وكلوسستر ثم بدفورد).

الملك هنري: صحيح، يا كلوسستر، أننا تجاه خطر داهم. لذا علينا أن نعتصم بالصبر والشجاعة. نهارك سعيد، أيها الأخ بدفورد... الله كريم. ففي كل مسألة سيّئة أساس خيّر للناس الذين يعرفون كيف يهتدون اليه. هكذا يجعلنا جيراننا نستيقظ باكراً، وهذه العادة مفيدة وملائمة. بالاضافة الى ذلك هم بالنسبة الينا ضمائر حيّة ومرشدون يسدون الينا النصح القويم كي نستعدّ للساعة الحاسمة. فنستطيع أن نستخلص العسل من الحنظل ونستمدّ الأخلاق الحميدة من ابليس اللعين بالذات، كمن يتعلّم التهذيب من قليل الأدب. (يدخل اربنكهام). نهارك سعيد، يا سرْ توماس ارْبنْكهام. ان الوسادة الناعمة التي يستند اليها هذا الرأس الصالح وقد وخط الشيب شعره، تساوي أكثر من هذا المرج الفرنسي المخشوشن.

اربنكهام : كلاّ، يا مليكي. هذا السرير يلائمني أكثر من سواه،

لأني الآن أستطيع أن أصرّح باني متمدد كملك لآخذ قسطاً من الراحة.

الملك هنري: جدير بنا أن نوفّق بين عذاباتنا الحاضرة ومثال غيرنا في الأمان والاطمئنان. هكذا يتعزّى القلب المُتعب. وإذْ تنشط المخيّلة، لا بد للأجهزة التي كانت هامدة بدون حراك كأنها ميّتة من أن تنهض من قبرها حيث تغطّ في سُبات عميق، وان تنبذ جمودها وتتحرك برشاقة وحماس. أعرني رداءك، يا سرْ توماس. وأنتما أيها الأخوان، أوصيا أمراء معسكرنا بي خيراً. بلّغهم سلامي، وبدون إمهال إستدعِهم كلهم الى خيمتي.

كلوسستر : أنا تحت أمرك، يا مليكي المفدّى.

(يخرج كلوسستر وبدفورد).

اربنكهام : هل تريد أن أرافقك، يا مولايَ؟

الملك هنري: لا، لا، أيها الفارس الشجاع. اذهب بصحبة اخوتي لمقابلة لوردات انكلترا. أمّا أنا فعليّ أن أصغي الى ضميري لأني لا أنوي أن أقبل نصيحة أيٍ كان.

اربنكهام : على بركة الله، يا هنري النبيل.

(يخرج اربنكهام).

الملك هنري: شكراً جزيلاً، يا صديقي. يسرّني أن أستمع الى كلامك.

(يدخل بيستولي).

بيستولي : من القادم الى هنا؟

الملك هنري: صديق.

بيستولي : أوضحْ وضعك. هل أنت ضابط أم مشاغب من عامة الشعب ؟

الملك هنري: انا وجيه وبصحبتي رفيقان.
بيستولي : هل لك أن ترينا شارات رتبتك؟
الملك هنري: طبعاً. لكن من أنت؟
بيستولي : أنا وجيه صالح وأمين نظير الامبراطور.
الملك هنري: اذاً أنت أرفع مقاماً من الملك.
بيستولي : الملك. هذا لقب يخصّ اهالي كورْنْواي. هل أنت منهم؟
الملك هنري: كلاًّ، انا من مقاطعة وايلس.
بيستولي : هل تعرف فلولن؟
الملك هنري: أجل.
بيستولي : قل له اني سأحطّم عصاي على رأسه يوم عيد سان دافيد.
الملك هنري: لا ترفع خنجرك الى قبعتك في ذلك اليوم خشية ان يهشّم لك جمجمتك.
بيستولي : هل أنت صديقه؟
الملك هنري: فضلاً عن ذلك، أنا ابن عمه.
بيستولي : هذا خبر سارّ.
الملك هنري: أشكرك. ربنا يكون في عونك. ما اسمك؟
بيستولي : اسمي بيستولي.
الملك هنري: وهو يناسب كثيراً خشونتك.

(يخرج بيستولي).
(يدخل فلولن وكوآر، كل واحد من جهة).

كوآر (يرفع صوته) : الضابط فلولن.
فلولن : يا صاح، أرجوك أن تتكلّم بصوت خافت. فان أفضل حدث عجيب في كل هذا الكون هو عدم تطبيق

التدابير والقوانين القديمة التي سُنَّت لأيام الحرب. اذا شئت أن تزعج نفسك وتتفحّص حملات الامبراطور الروماني الكبير بومباي، أؤكد لك انك لن تجد توافه ولا كلاماً بذيئاً في معسكراته، بل ستلاقي تشريفات ولياقات الحرب واحتياطاتها وقوانينها وتحفّظاتها وتجميداتها المخالفة لكل ما هو قائم في الوقت الحاضر.

كوآر : ما رأيك في ضجّة العدو الصاخبة، وقد سمعتها أنت طوال الليل؟.

فلولن : اذا كان العدوّ غبيًّا أو مخبولاً أو ثرثاراً أحمق هل يتحتّم عليّ أن أتصرف أنا أيضاً كغبيّ أو كمخبول أو كثرثار أحمق؟ هذا عائد الى طريقة تفكيري.

كوآر : عليّ أن أتكلّم بصوت خافت.

فلولن : أرجوك، بل أتوسّل اليك...

(يخرج فلولن وكوآر).

الملك هنري: وإن كانت حركاته غريبة عن زيّ اليوم، فإن لهذا الوايلسي كثيراً من الكياسة والشخصية البارزة :

(يلوح نور الفجر، ويدخل باتس وكورت وويليامس وثلاثة جنود).

كورت : أيها الأخ جون باتس، أوليس ما أرى نوره الشاحب هو بزوغ الفجر؟

باتس : أظن ذلك. ولكني لست أرغب في طلوع النهار.

ويليامس : أجل، انني أرى تباشير السَحَر. لكني لا أعتقد بأننا سنرى غروب الشمس... من القادم الى هنا؟

الملك هنري: صديق.

ويليامس : تحت إمرة أي ضابط تخدم أنت؟

الملك هنري: تحت إمرة سرْ توماس اربنكهام.

ويليامس : هو ضابط قديم ووجيه محبوب جداً. أرجوك أن تخبرني كيف يرى وضعنا الحاضر؟

الملك هنري: هو ينظر الينا كرجال غرقى قذفتنا أمواج البحر الى شاطئ رملي، ومن المرتقب أن يحملنا الجذْر عمّا قريب الى عرض اليمّ.

باتس : ألم يفصح الملك هنري عن أفكاره؟

الملك هنري: لا، ليس مناسباً أن يكشفها له. أؤكد لك ان الملك شخص مثلي، والأمور تتبيّن له كما تظهر لي، وجميع مشاعره خاضعة للأحوال الانسانية. جرّده من سلطته وامتيازاته ورفاهيته، فيبدو في عريه رجلاً كغيره. ومهما بلغت عواطفه مستوى أعلى ممّا نتمتّع به، فعندما تنحدر نزواته تبلغ قعراً أوطى من مستوانا. بالنتيجة، حينما يرى ما نبصره من أسباب القلق، لا تشكّ بأن همومه عندئذٍ تكون أمرّ مما نشعر به. لذا يجدر بنا ان لا نوقظ قلقه خوفاً من أن يساهم، اذا بدا للعيان، في تثبيط عزيمة الجيش وتخفيض معنوياته.

باتس : لكني أعتقد بأنه أثناء الليل مهما كان بارداً يفضّل أن يغطس في نهر التاميز حتى عنقه. وأنا أتمنى أن أكون بصحبته، على كل حال، بشرط أن نكون كلانا خارج اللعبة.

الملك هنري: بشرفي، سأُبدي لكم رأيي الصريح في الملك. أنا واثق بأنه لا يريد أن يكون في غير هذا المكان، وهو راضٍ بوجوده هنا حاليًّا.

باتس : وأنا أفضّل أن يكون هنا وحده، فيوقن بأنه مستهدف لدفع فدية عن شخصه. وهكذا ينقذ حياة الكثيرين.

الملك هنري: أنا أجرؤ على القول بأنكم لا تضمرون له أي شرّ، عندما تتمنّون أن يكون هنا وحده. وأنتم لا تتكلّمون هكذا إلّا من جرّاء معرفتكم نوايا من يحيطون به. بالنسبة اليّ أظن اني لا أستطيع أن أموت في أي مكان آخر، بصورة أفضل مما يتمّ لي ذلك برفقة الملك، لأن قضيّته عادلة ونزاعه مشرّف.

ويليامس : هذا ما لسنا واثقين منه.

باتس : بل بالحري هذا ما لم نسعَ الى التثبّت منه رغم اطلاعنا على معظم الأمور، بما اننا من رعايا الملك. فاذا كانت قضيته باطلة، يبرّئنا وجوب خضوعنا للملك من كل جرم ويرفع عنا كل مسؤولية.

ويليامس : ثم إذا كانت القضية غير محقّة، فالملك نفسه يضطر الى تقديم حساب رهيب عنها، حينما ستتكتّل هذه الأشلاء من أرجل وسواعد ورؤوس مقطوعة أثناء المعارك، وفي خاتمة المطاف تصرخ كلها بصوت واحد : « لقد مُتْنا في المكان الفلاني ». فيشتُم البعض، ويستدعي البعض الآخر جرّاحاً، وآخرون يبكون ويندبون نساءهم اللواتي ظللن خلفهم يشقَيْن في وهاد البؤس والظلم، وآخرون يتحسّرون على ما لهم من ديون غير مدفوعة، وغيرهم أيضاً ينوحون على أولادهم المشرّدين عراةً على غير هدى. أمّا الذين يموتون خلال المعارك فقليلٌ عددهم، وأخاف أن يقضوا نحبهم بحالة يرثى لها. اذ لا يعقل أن يسعوا الى خلاص ذواتهم

بسلام عندما يكون الهدف إهلاكهم بكل الوسائل واذا لم يمت هؤلاء في حالة النعمة فذلك يشكل قضية مشينة بحق الملك الذي دفعهم بسوء تصرفه الى العصيان بما مهّده لهم من أسباب الخروج على القوانين المسنونة بالأصل للمحافظة على حقوقهم المهضومة، فأدّت الى إحراجهم وإذلالهم وإزالتهم من حيّز الوجود.

الملك هنري: اذا أرسل والد ابنه لتعاطي التجارة وهلك في البحر بطريقة مريبة تعود مسؤولية انحرافه حسب مبدإكم إلى أبيه الذي أرسله وزجّه في هذه المغامرة التعيسة. واذا نقل أحد الخدم بأمر سيده مبلغاً من المال وهاجمه اللصوص أثناء الطريق وحاولوا قتله بقصد السرقة وأتّهم بعدم الأمانة يُعتبر تكليف السيد خادمه سبباً للحكم على هذا الأخير كمجرم، لكن الأمر في الواقع ليس كذلك. فالملك ليس مسؤولاً عن مقتل جنوده، كما ان الأب ليس مسؤولاً عن موت ابنه، ولا السيد عن إتهام خادمه بالسرقة وهو ضحية القدر الغاشم. لأن الواقع فعلاً لا يفرض على الرجل أن يموت عندما تدعو الحاجة الى الاستفادة من خدماته. من جهة أخرى ليس ملك مهما كانت قضيته عادلة ومحقّة، اذا فرضت الظروف لجوءه الى السلاح يمكنه الدفاع عنها بواسطة جنود لا غبار على أمانتهم. فقد يكون البعض مذنبين بتصميمهم وإقدامهم عمداً على اقتراف بعض جرائم القتل، وغيرهم بإغرائهم العذارى والتغرير بهنّ متوسّلين الغدر والخداع، وآخرون يبحثون عن التستّر بمقتضيات

الحرب لاقتراف السرقات في ظلّ تدابير إتُخذت لتوطيد الأمن والسلام. فاذا عرف هؤلاء الرجال ان يتجنّبوا عقوبات بلادهم، فمهما تحاشوا سُخط البشر لا يسعهم أن يتهرّبوا من العدالة الإلهية. فالحرب هي الضربة القاسية التي تنزلها السماء بالبشر بغية الانتقام للضحايا البريئة. وهكذا يُعاقب الأشخاص الذين يعصون قوانين الملك ويُناوئون سلطته. فحيث كانوا يخشون الموت سلمت حياتهم وحيث سعوا إلى سلامتهم لاقوا حتفهم. عندئذ اذا ماتوا بدون أن يندموا على زّلاتهم، فالملك ليس مسؤولاً عن اجرامهم اكثر من مسؤوليتهم الشخصية عن تمرّغهم في حمأة الفساد. ان خدمات كل واحد من الرعايا تخصّ الملك، لكن نفس كل فرد لا تخص إلّا صاحبها. كذلك على الجندي أن يتصرّف في الحرب كما يفعل المريض على سرير نزاعه أي أن يندم على اخطائه ويغسل نفسه من ادرانها. واذا مات هكذا فوفاته هي بمثابة نعمة بالنسبة الى خلاصه. واذا لم يمت يجب عليه أن يبارك إتّساع الوقت الذي أتاح له الفرصة بهذه الحيوية ليعوّض عما ضاع من عمره بالمعاصي. ومن ينجو هكذا من الهلاك يحق له أن يفكّر بأنه اذا نذر نفسه لخدمة الله بدون تحفّظ قد مُنح هبة العمر الطويل ليمجّد عظمة خالقه ويُعطي درساً لسواه كي ينقذ نفسه من عذاب الجحيم.

ويليامس : لا شك في ان الانسان يموت معنوياً عندما يخطئ لأن للذنوب عقاباً ينهال على رأسه وليس الملك بمسؤول عنها.

باتس : انا لا أريد أن يكون الملك مسؤولاً عني، مع اني مصمّم على القتال في سبيله.

الملك هنري: لقد سمعت جلالته يقول انه لا يريد أن يدفع أية فدية.

ويليامس : أجل صرّح بذلك ليَدَعنا نحارب بثقة أقوى. لكن عندما تُقطع أعناقنا يستطيع أن يدفع الفدية بدون أن يكون لنا في ذلك أية فائدة على الاطلاق.

الملك هنري: حتى إن عشتُ ورأيت تحقيق هذا الأمر بأمّ عيني، لن أثق أبداً بكلامه.

ويليامس (هازئاً) : سنحاسبه طبعاً على هذا الحديث... تصوّروا مفعول انطلاق رصاصة من بندقية قديمة معطوبة، فتدركوا كيف ينفّس الغضب الهزيل عندما ينصبّ على رأس الملك... وعلى هذا المقياس يمكنكم أن تجعلوا من الشمس قرص جليد حين تروّحون عليه بريش طاووس. « لا تثقوا أبداً بكلامه ». هيا، هيا. إن ما تتلفظون به لهو كذبة جسيمة فاضحة.

الملك هنري: اعتراضكم نوعاً ما هو في غير محله الآن. فلو كانت الظروف ملائمة لما ترددت عن الاستياء من تصرّفكم.

ويليامس : اذاً سنتشاجر معاً، اذا بقيت أنا على قيد الحياة.

الملك هنري: لا مانع لديّ.

ويليامس : وكيف سأتعرّف اليك؟

الملك هنري: أعطني علامة كي أضعها على قبّعتي.

ويليامس : هذا هو قفازي. واعطني أنت قفازك.

الملك هنري: ها هوذا.

ويليامس : أنا أيضاً سأضع قفازي على قبعتي. واذا جئتني غداً

وقلت لي ان هذا قفازك، سأصفعك بهذه الكفّ الضخم.

الملك هنري: اذا عشت لأرى ذلك سأستوضحك نتيجة الأمر.

ويليامس : أملي أن تقوم بوعدك. الوداع.

باتس : ظلاّ صديقين، أيها الانكليزيان السخيفان. ظلاّ صديقين، ولا تنسيا أن نزاعاتنا والفرنسيين تكفينا اذا لم تخنكما الذاكرة.

الملك هنري: الفرنسيون فعلاً يسعهم أن يراهنوا على عشرين تاج فرنسي مقابل واحد فقط، لأنهم سينتصرون علينا، ما داموا لا يبالون بنا بتاتاً. بينما نحن الانكليز لا نحابي لنحظى بالتيجان الفرنسية، والملك ذاته ينوي أن يتناول بعضها غداً. (يخرج الجنود. فيواصل الملك كلامه وحده)... لنضع في عهدة الملك أرواحنا وديوننا ونساءنا وهمومنا وأولادنا وذنوبنا. علينا أن نكون مسؤولين عن كل ما يتعلّق بنا. تبًّا لهذه الأحوال القاسية التي تبدو لنا هي والآلام توأمين. كم من سعادة غير محدودة يتحتّم على الملوك أن يتغاضوا عنها بينما يتمتع بها سائر أفراد شعوبهم. وكم من نِعَمٍ يتمتع بها الملوك ولا يحظى بها أفراد شعوبهم، لا سيّما البذخ والأبّهة. فما أعظم سلطانك أيها الجلال المعبود، ومن أية فئة من الآلهة أنت، يا من تقاسي الآلام والعذابات البشرية أكثر من الذين يكرّمونك ويبجّلونك. فيا أيها الجلال الشامخ بيّن لنا سموّ جبروتك. ما هو فحوى كل هذه التقوى؟ وكم تبلغ عائداتك؟ وما هي أرباحك الطائلة؟ هل أنت إلّا وضعيّة ووصف وهيئة تفرض

الخوف والإحترام على البشر في هذه الدنيا الفانية؟ أنت أقلّ سعادة عندما توحي بالرهبة التي يشعرون بها في أعماق ضمائرهم، وبدلاً من المودّة الصادقة نلمس التمليق الخدّاع الذي ينبع عادة من مراوغة أنانيّتكم. ألاَ امرضي، أيتها العظمة الفارغة، ثم اذيعي انك شفيت من علتك. هل يظن أحد ان الحمّى الشديدة الوطأة تزول مع تردّي الألقاب الطنّانة والتزلّف والمراءاة في وهدةِ النسيان؟ هل يخف غليانها امام الركوع والانحناء المزيّف؟ هل تستطيع أنت الذي تتمنّع عن الخضوع والتوسّل أن تضمن سلامة نوايا حسّادك؟ كلا، هذا حلم خلاّب يداعب بدهاءٍ راحة بال الملك الحائر. أنا ملك، وأنا أحكم عليك بتردّد ووجل. وأعرف جيداً ان الكوخ والصولجان والكرة والسيف والجمهور والتاج الامبراطوري والوشاح المقصب المزركش بالذهب واللآلئ واللقب العريق الذي يتهافت على نيل رضى الملك، والعرش الذي يجلس عليه ووسائل البهرجة التي يزهو بها بفخامة مثلّثة التبجيل، جميع هذه المظاهر المحيطة بجلالته وهو مستلقٍ على سرير مع الهمّ لا يتسنّى لها أن تمنحه النوم الذي ينعم به العبد الشقي وهو خالي الذهن، مخدّر الحواسّ بآلام الحزن والأسى، يستسلم الى النوم المريح بدون أن يعرف هول ليالي السهاد الطويلة كأن صاحبها يتقلّى على جمر العذاب في أعماق الجحيم. بينما هذا المسكين يسبح بعرق التعب من شروق الشمس الى غروبها تحت أنظار الإله فابوس وهو يغطّ في النوم من شدة النعاس. وفي اليوم التالي

عند بزوغ الفجر، ينهض ليضع الشمس في عجلتها النيّرة كي تجوب أرجاء الفضاء متممةً مهمّتها اليومية. وهكذا بارتباط كوكب النهار لإداء عمل مفيد، تتابع طوال السنة جريها السريع الى مقرّها المرتقب وقد كرّست أيامها للعمل ولياليها للنوم الذي حرم منه الملك. أما العبد وهو فرد في مجتمع مسالم فيتمتع بهذه النعمة، لكنه يجهل بسبب جمود تفكيره كم يتحمّل الملك من عذاب السهاد بدلاً من راحة النوم الهادئ الذي يسعد بها الفلاح والعامل.

(يدخل اربنكهام).

اربنكهام : النبلاء، يا مولاي، وقد أقلقهم غيابك، يبحثون عنك في المعسكر.

الملك هنري: أيها الفارس الباسل، إجمعهم كلهم في خيمتي حيث سأكون قبل أن تصل أنت اليها.

اربنكهام : سمعاً وطاعة، يا مولاي.

(يخرج).

الملك هنري: يا إله الحرب، شدّد قلوب جنودي. أبعد عنهم الخوف والتردد. احرمهم موهبة الحسبان، اذا كان عدد أخصامي سينتزع منهم شجاعتهم... وليكن ذلك، يا الهي، في غير هذا اليوم. أرجوكم أيها النبلاء أن لا تفكّروا الآن بالجريرة التي ارتكبها والدي يوم اغتصب التاج. لقد أعدت دفن جثمان ضحيّته رتشرد، وسكبت على فقدانه دموع الندم والتوبة أكثر مما استنزف العنف من دمه الذكي. اني أعيل خمسمئة فقير وأُطعمهم

مرّتين يوميًّا كي يرفعوا أذرعهم الهزيلة بالدعاء الى السماء لاستمطار الغفران عن دمه المسفوك. ولقد شيّدت ديرَيْن حيث يرفع النسّاك أدعيتهم وترانيمهم بخشوع وبدون انقطاع لاستدرار رحمة الله على نفس من غدر برتشرد. انا أريد عمل أكثر من هذا، لكن كل ما يسعني أن أفعله هو قليل بالنسبة الى ما قاساه هذا الملك المظلوم من جور لأن توبتي تظلّ مقصّرة تجاهه مهما التمست من صفح وغفران.

(يدخل كلوسستر).

كلوسستر : يا مليكي المعظّم.

الملك هنري: هذا صوت أخي كلوسستر... نعم أنا عالم بما أتى بك الآن الى هنا، وأنا أنوي مرافقتك. اليوم، يا اصدقائي تنتظرني أمور كثيرة.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في المعسكر الفرنسي

(يدخل وليّ العهد وأورليان ورامبور وغيرهم)

اورليان : ها هي أشعة الشمس تعكس لون الذهب على دروعنا. وقوفاً اذاً، أيها السادة.

ولي العهد : إمتطوا جيادكم. أين حصاني، أيها الخادم؟

اورليان : ما هذا النشاط الفائق؟

ولي العهد : هيا، الى الأمام. فالمياه والأراضي...
اورليان : لا شيء حولنا غير هذا... الهواء والنار...
ولي العهد : السماء، يا ابن عمي أورليان...

(يدخل القائد).

ولي العهد (يواصل كلامه) : ما الخبر، أيها القائد الشجاع؟
القائد : أتسمعون صهيل جيادنا ينطلق بفروغ صبر؟
ولي العهد : هيّا امتطوا الخيل، وخدّشوا جِلْدها بمهمازكم حتى يتفجّر الدم الساخن من أجسام الانكليز ويطفئ شعلة بسالتهم، هيّا...
رامْبور : ماذا تقول؟ هل تريد أن يسيل دم جيادنا بدل الدمع؟ فكيف عندئذٍ نميّز الدموع الطبيعية؟

(يدخل رسول).

الرسول : يا سادة فرنسا، نزل الانكليز الى ساحة الوغى.
القائد : هبّوا اذاً الى جيادكم، أيها الأمراء الشجعان. هيا أسرعوا الى خيولكم... وجّهوا نظراتكم الى هذه العصابة الحقيرة الجائعة، فتحطّم رؤيتكم ما بقي لهم من قوة، وأنتم مدجّجون بالسلاح، على أتمّ الاستعداد لخوض المعركة الحاسمة، وتخور عزيمتهم ويقضي عليهم قنوطهم من التغلّب عليكم. ألا ترون ان أمامنا القليل القليل كي نشلّ حركتهم نهائياً بسواعدنا المفتولة؟ يكاد منذ الآن أن لا يبقى في عروقهم من دم شحيح يكفي لردّ السكاكين التي ينتضيها هؤلاء الفرنسيون البواسل ولا يلبثون أن يعيدوها الى أغمادها من جراء عدم وجود مجال لاستعمالها. لننفخ فقط على أبدانهم الهزيلة فيجندلهم عزم أنفاسنا الجبارة ويطرحهم على الأرض

عاجزين. لا شك، يا سادة، في أن الفائض من خدمنا، وهذه الشرذمة من الدجالين الذين يعجّون حول مجموعات محاربينا لكفيلة بتطهير هذا السهل من زمرة بائسة من الأعداء على هذا النحو. بينما نحن كالمتفرّجين نظلّ عاطلين عن كل حركة، واقفين بالمرصاد نترقّب عند أسفل هذا الجبل. لكن شهامتنا لا تطاوعنا على إتيان عمل كهذا. ماذا أقول لكم بعد؟ ليس أمامنا إلّا بذل جهد ضئيل وكل هذه القصة تنتهي. دعوا الأبواق تنفج ايذاناً بهجومنا. لأن اقتحامنا مواقعهم سيلقي الرعب في قلوبهم وسط الميدان حيث سينبطح الانكليز هلعاً ويستسلمون.

(يدخل كرانْبري).

كرانْبري : لماذا تأخرتم هكذا، يا سادة فرنسا؟ ان هؤلاء القادمين كالجِيَف من الجزيرة الانكليزية قد بدّد نشاطهم قلق اليأس على مصيرهم المحتوم وهم يهمّون بمغادرة السهل باكراً. أعلامهم الممزّقة تتدلى فوق رؤوسهم المثقلة بالهموم. والهواء الذي نتنشّقه نحن يهزّهم كالقصبة المرضوضة حين نمرّ بهم باحتقار. يبدو أن إله الحرب قد هجر صفوفهم المبعثرة، وهو يلقي نظرة إشفاق على خوذهم المحطّمة. بينما يبدو فرسانهم كمشاعل خافتة النور توشك أن تنطفئ، وأجسامهم ترتعش وعيونهم تغور في عتمة انكسارهم كما يسيطر الارهاق على خيولهم المتعبة. وفوق قوّاتهم المشتّتة تحوم أسراب الغربان تترقّب ساعة ارتمائهم على الأرض لتنقضّ على أجسامهم الهزيلة وتنهش لحمانهم. في الحقيقة صدّقوني إن قلت لكم إنّ منظرهم الكئيب

لا يوصف من شدة ما نالهم من الاعياء والجمود الذي طغى على مجموع جيشهم المهزوم المطارد.

القائد : لقد تلوا صلاتهم الأخيرة وهم ينتظرون بروز شبح الموت ليخطف أرواحهم ويبلغوا نهايتهم المشؤومة.

ولي العهد : ما رأيكم في أن نرسل اليهم بعض الأغذية والعتاد، وأن نقدّم بعض الشعير لجيادهم الجائعة المنهوكة القوى، قبل أن نهاجمهم وننزل بهم الضربة القاضية.

القائد : انا لا أنتظر الآن سوى إشارة واحدة. فإلى الأمام، أيها الشجعان. سأستعير راية أحد فرساننا وأسارع الى الانقضاض عليهم. هيا اذاً. ها قد مالت الشمس نحو المغيب، وإن لم نتحرّك فوراً أضعنا يومنا المجيد هذا سدىً.

المشهد الثالث

في المعسكر الانكليزي

(يدخل الجيش الانكليزي، وكلوسستر وبدفورد وإكساتر وسالزبري وويستمورلند)

كلوسستر : أين الملك؟

بدفورد : الملك امتطى جواده وذهب ليكشف مواقع الأعداء.

ويستمورلند : صفوفهم تضمّ ما لا يقلّ عن ستين ألف مقاتل.

إكساتر : أي خمسة مقابل كل واحد منا. وفضلاً عن ذلك، أرى ان جميع فرقهم شديدة الهمة.

سالزبري : ليعيننا الله على مقاتلتهم. فالنسبة بين أعدادنا وأعدادهم غير متكافئة. ربنا يقوّينا جميعاً، أيها الأمراء. أنا منطلق

الى موقعي. فاذا لم يُقدّر لنا أن نتلاقى ثانية إلّا في السماء، علينا أن نفترق فرحين... أيها اللورد النبيل بدفورد، وأنت، يا عزيزي لورد كلوسستر، ولورد إكساتر... (لويستمورلند) وأنت يا نسيبي العزيز، وسائر المحاربين، أقول لكم الوداع.

بدفورد : الوداع، يا سالزبري الكريم. أرجو أن يحالفك الحظ على الدوام.

إكساتر : الوداع، أيها اللورد الشجاع. عليك أن تخوض المعركة ببسالة وتنتصر. أعذرني لأني أقلّل من تقديري لك، وأنا أناشدك هكذا. وأنت مجبول بأرفع الصفات والمزايا الحميدة.

(يخرج سالزبري).

بدفورد : هو يتمتع معاً بالقيم والمكرمات التي تليق بأمثاله الأمراء.

ويستمورلند : كم أتمنّى أن يكون هنا الى جانبنا عشرة آلاف مقاتل انكليزي هم اليوم لا يبدون حراكاً حيث يمكثون بعيداً من هذا المكان.

(يدخل الملك هنري).

الملك هنري: من الذي أعلن هذه الأمنية؟ ابن عمي ويستمورلند؟ لا، لا، يا ابن العم العزيز. اذا كان مصيرنا الموت، علينا واجبات لدرء هذه الكارثة عن وطننا. واذا قدّر الله لنا أن نعيش، فكلما بذلنا نفوسنا، كلما عظم شأننا، وبرزت شهامتنا. أستحلفك بالله العليّ، وأرجو منك أن لا تتمنّى أن يكون الى جانبك رجل واحد أكثر

من الموجودين حاليًا. بحقّ الإله المشتري، انا لست طامعاً بالذهب، ولا أبالي إن عاش الكثيرون على نفقتي. ولا أكترث إن ارتدى غيري ملابسي، لأن هذه الأمور الثانوية لا تأثير لها على رغباتي. لكن اذا أُعتُبِر ذنباً أن يقصد الانسان التحلّي بالشرف والمروءة، فأنا أكثر الناس ذنوباً. لا، لا، بذمّتي، يا ابن عمي العزيز، لا تتمنَّ أن يكون الى جانبك انكليزي واحد أكثر من الموجودين هنا. يشهد الله على اني لا أريد أن أفقد اعتزازاً كبيراً كهذا يحتّم عليّ أن أشارك فيه أي رجل يضاف الى الموالين لشخصي، ولا لأجل تأمين مستقبل أفضل. لا، لا، لا تتمنَّ رجلاً زيادة عما حولنا، يا ويستمورلند. بل أعلن بين صفوفنا إن الذي لا يريد أن يقاتل يمكنه أن ينصرف ويمضي في سبيله بأمان. وأنا أزوّده بجواز مرور وأمنحه نفقة سفره. أنا لا أريد أن أموت بصحبة من لا يودّ أن يكون رفيقي في هذه التضحية الواجبة. اليوم عيد القديس كريبان. فمن يحيا الى ما بعد هذا النهار ويعود الى بيته سالماً سيفتخر ويعتزّ كلما دار الكلام على هذا اليوم المشهود. وسيكبر قدره لمجرّد ذكر عيد هذا القديس. ومن أبصر نور هذا النهار مراراً عديدة سينادي أصدقاءه ويهتف بهم : غداً عيد القديس كريبان. حينئذٍ سيشمّر عن ساعده ويُري آثار جراحه ويقول : لقد أُصِبتُ بهذه الجراح في مثل هذا اليوم السعيد. الانسان المسنّ عادةً ينسى، ولكنه لن ينسى أبداً مآثره في هذا النهار المجيد الذي سيذكّره دائماً بمفاخر هذه المناسبة التاريخية النادرة. ولن ينسى أحد

أسماءنا التي سيلهج بها كل لسان كأنها اسماء سحرية، نظير الملك هنري وبدفورد وإكساتر ووروپك وتالبوت وسالزبري وكلوسستر، لأن هذه الأسماء لها رنين عذب كرنين الكؤوس حينما تتلامس عند شرب الأنخاب. وسيبلغ الأب ابنه هذه النبذة التاريخية. وسيتكرّر هذا اليوم العظيم الى منتهى الدهور. وستذكر الأجيال القادمة ما أتته زمرتنا الصغيرة من عمل جبّار، لأننا كالإخوة نشكل حزمة مرصوصة يصعب كسرها. فمن يبذل دمه في سبيلي هو أعزّ من أخي، ومهما كانت منزلته متواضعة فهذا النهار سيمنحه كل الشرف والنبل. أما الوجهاء الذين ينامون اليوم في أسرّتهم فتحلّ عليهم اللعنة الى الأبد، لأنهم أبوا أن يرافقونا الى هذا النضال وستهان شيبتهم عندما يدور الحديث على من حاربوا وانتصروا في يوم عيد القديس كريبان.

(يدخل سالزبري).

سالزبري : يا مولاي الملك، أرجوك أن تتأهب بسرعة، لأن الجنود الفرنسيين على وشك بدء القتال وسيهاجموننا بحدّة وشراسة.

الملك هنري: كل الاستعدادات متمّمة، ما دامت نفوسنا متأهبة.

ويستمورلند : ليخسأ اليوم كل انسان متخاذل.

الملك هنري: ألم تعد تتمنّى، يا ابن عمي، وصول النجدة من انكلترا؟

ويستمورلند : الله معنا، يا مليكي. ما أتمناه الآن هو أن تكون، يا صاحب الجلالة مثلي لا تترقّب أية نجدة لنخوض وحدنا هذه المعركة الملكية.

الملك هنري: هيّا بنا. حيّاك الله، لأنك بتّ تعتمد على زندك. وإن

كان عددنا أقلّ خمسة آلاف رجل عمّا كنا ننتظر أن يساندونا. وأنا مسرور لأنك لم تعد تطلب المزيد من الأنصار المسلحين لمساعدتنا. أنت تعرف جيداً مواقع قوّاتنا، والله القدير يعيننا جميعاً وينصرنا.

(تسمع الموسيقى ويدخل مونجوا).

مونجوا : مرة ثانية جئتك، أيها الملك هنري، لأسألك اذا كنت ترغب في المفاوضة بموضوع دفع فديتك، قبل أن تحلّ بك الخسارة الفادحة والدمار الأكيد. لأنك حتماً تقترب من الهاوية التي ستبتلعك مع رجالك. فضلاً عن ذلك، ومن قبيل الشفقة والرحمة، يلتمس القائد منك أن تدعو رفاقك الى التوبة كي يتسنّى لأرواحكم أن تنسحب من أجسادكم في ميدان هذه المعركة الفاصلة حيث ستسقطون قتلى لتتدحرجوا الى هوّة الهلاك والعدم.

الملك هنري: من الذي أرسلك هذه المرة؟

مونجوا : قائد فرنسا.

الملك هنري: أرجوك أن تبلغه جوابي السابق، وأن تقول له ان يقضي عليّ أوّلاً ثم أن يندب حظي إن أمكنه ذلك. يا الهي، لماذا يضايقني هذا البليد؟ هل نسي ان المتهوّس عندما باع جلد الدب حيًّا قد مات قبل أن يصطاده. كثيرون بيننا بدون شك سيجدون في بلادهم قبوراً ذُكر على بلاطها ما أتوا به من مآثر في هذا النهار المجيد بالذات. والذين سيموتون بشجاعة على أرض فرنسا، وإن دفنوا تحت القنابل عندما يقضون كالأبطال سيظلّ ذكرهم مجيداً الى الأبد لأن الشمس ستحيّي بطولتهم

وستعلن مجدهم على الملأ وتذيع مآثرهم في أعالي السماوات، وإن بقيت رفاتهم في تربة فرنسا مجهولة لا يأبه لها أي إنسان. ولن تلبث مهارة الجنود الانكليز أن يفوح منها شذى الزهور وإن سقطوا أثناء المعركة على أرض فرنسا، فالقنبلة ستنفجر بقوّة وتدمّر وتقتل متمّمة وظيفتها الأساسية. لنتكلّم بافتخار، وها أنا أسألك أن تبلغ القائد أننا سنحارب ونحن على أتمّ الأهبة، وإن إتّسخت بذّاتنا وتمزّقت وكسا الغبار والوحل أحذيتنا وأعتدتنا من جراء سيرنا الطويل في سهولكم الوعرة. وإن لم يبقَ ولا ريشة واحدة في أجنحة كل جيوشنا، أرجو أن لا يكون ذلك دليلاً على تباطؤنا وتأخرنا، بل على فوزنا وانتصارنا في خاتمة المطاف. لقد نالت الأيام من مظاهرنا، لكن، والله لا تزال نفوسنا وقلوبنا في أفضل أحوالها. وجنودنا يؤكّدون اننا قبل هبوط الظلام ستتبدّل ملابسنا وتصبح حُلَلاً زاهية، لأننا عازمون على انتزاع الضفائر من اكتاف الجنود الفرنسيين الذين سينهزمون حتماً أمام جحافلنا، ومتى انتصرنا بعونه تعالى يكون رجالنا قد دفعوا فديتي بشجاعتهم وشدة بأسهم. أيها الرسول، أُقسم لك أن جنودنا بإذن الله لمنتصرون. وأنا على رأس صفوفهم الجرّارة سأشدّد عزائمهم، ولن يكون نصيبنا على يدهم إلّا الغلبة والظفر. إذهب اذاً وبلّغ قائدك ما أُعلنه لك بحزم وثقة.

مونجوا : أنا ذاهب، أيها الملك هنري. فالوداع. ولن تسمع بعد الآن صوتي كرسول.

الملك هنري: أخشى أن لا يتسنى لك أن تعود مرة ثانية لتحدثني عن الفدية.

(يخرج مونجوا)

(يدخل دوق يورك).

يورك : ألتمس منك، يا مولاي، بكل وداعة، وأنا راكع على ركبتيّ أن تمنحني قيادة مقدّمة الجيش.

الملك هنري: هي لك، أيها الباسل يورك. والآن ازحفوا، أيها الجنود. وأنت يا الهي، أرجوك أن تعيننا وتأخذ بيدنا.

(يخرجون).

المشهد الرابع

على اطراف معسكر المعركة في آزنكور

(يسمع صوت الانذار، يتحرك الجنود، ويدخل جندي فرنسي، ثم بيستولي ومرافقه).

بيستولي (للجندي) : إستسلم أيها الكلب.

الجندي : أظنّ انك الوجيه الممتاز.

بيستولي : تقول الممتاز؟ استمع اليّ. هل أنت وجيه؟ ما اسمك؟ أوضح لي وضعك.

الجندي : يا الهي.

بيستولي : يا إلهي أنا. لا بد من أن يكون هذا الرجل وجيهاً. هيا اعتبر كلامي، واسمع ما أقوله لك. وإلّا مُتَّ بحد سيفي أو دفعتَ عن نفسك فديةً لا بأس بها.

الجندي : يا رحوم، أشفق على حياتي.

بيستولي : أتلتمس ذلك مني؟ ستدفع لي أربعين مُدًّا من القمح أو أستخلصُ الفدية من نحرك دماً قانياً.

الجندي : أوليس من سبيل لانتزاع القوّة من ساعدك؟

بيستولي : تذكُر ساعدي، أيها الكلب اللئيم، يا تيس الجبل الوقح. ماذا تعرض علي هكذا؟

الجندي : أرجوك أن تسامحني.

بيستولي : هل تكلّمني؟ هل تعرض علي طنًّا من القمح؟ تعال، يا مرافقي واسأل باللغة الفرنسية هذا المحتال عن اسمه.

المرافق (للجندي) : اسمع، قل لي ما اسمك؟

الجندي : اسمي السيد لوفار.

المرافق (لبيستولي) : إسمه المعلّم فار.

بيستولي : وأنا سأعرف كيف أجعله لا يفرّ. سأقيّده جيداً، وأشدّد عليه الحراسة. إشرح له ذلك بالفرنسية.

المرافق : انا لا أعرف كيف أقول له ذلك بالفرنسية.

بيستولي : قل له اذاً أن يندم على ماضيه القبيح لأني سأقطع له عنقه.

الجندي : ماذا يقول، يا سيدي؟

المرافق : سألني أن أقول لك ان تستعدّ. لأن هذا الجندي عازم على قطع عنقك.

بيستولي : نعم، نعم. أنا سأقطع عنق هذا المحتال، اذا لم يعطني كم قطعة من الذهب البرّاق الرنّان. وسأقطعه إرباً إرباً بحدّ هذا السيف البتّار.

الجندي : ألتمس منك بل استحلفك بالله العظيم أن تسامحني وتعفو عنّي. أنا وجيه من أسرة عريقة. صُنْ حياتي وسأعطيك مئتين من القطع الذهبية.

بيستولي : ماذا يقول هذا الدجّال؟

المرافق : إنه يلتمس منك أن تصون حياته، لأنه من أسرة كريمة. وكفدية سيدفع لك مئتي قطعة ذهبية.

بيستولي : قلْ له أن غضبي قد هدأ، واني مستعد لأن آخذ منه قطعه الذهبية.

الجندي : أيها السيد الفاضل، ماذا يقول؟

المرافق : انه خلافاً لقسمه بأن لا يعفو عن أي أسير، سيأخذ مع ذلك منك الذهب الذي وعدته به، وهو سعيد بأن يمنحك الحرية ويعتقك من الأسر.

الجندي : سأجثو على ركبتيّ وأشكره ألْف مرة، وأنا سعيد بأن أكون قد وقعت بين يديْ فارس شهم مثله، بل أشجع فارس رأيته في حياتي، وأنبل وجيه في انكلترا.

بيستولي : اشرح لي ماذا قال، أيها الفتى.

المرافق : سيركع على ركبتيه ويقدّم لك ألف شكر. وهو يعتبر نفسه أسعد خلق الله لأنه وقع بين يديك ويعتبرك أشجع وجيه بين نبلاء إنكلترا.

بيستولي : سأضبط أعصابي، وأتظاهر بالحلم والرحمة. (للجندي) إتبعني.

(يخرجان).

المرافق : هيا اتبع الضابط الهمام (يخرج الجندي. ويواصل المرافق كلامه وحده) لم أسمع في حياتي أبداً صوتاً مليئاً بالرفق هكذا يخرج من قلب كهذا فارغ لا يعرف معنى الشفقة. كم يصح القول السائر هنا إذْ يعلن أن « كل اناء رنّان لا بد من أن يكون فارغاً، كما أن الاناء ينضح بما فيه ». يا باردولف ويا نيم، أنتما أكبر قدراً من جميع الأبالسة النبّاحين في المهزلة القديمة التي

عند مشاهدتها قصّ كل الحاضرين أظفارهم بمدية مثلّمة. ثم شُنِقوا كلهم دفعة واحدة، كما سيُشنق هذا الخبيث أيضاً، لأنه تجاسر وأقدم على سرقة جنونية. يجب عليّ أن لا أبقى في صحبة الخدم لحراسة عتاد المعسكر. اذ سيطوّقنا الفرنسيون اذا علموا بوجودنا. لأن من يُفترض أن يردّوهم ليسوا في مستوى الدفاع عنا والمحافظة على كرامتنا.

(يخرج).

المشهد الخامس

في ميدان القتال

(تُسمع موسيقى الانذار. يدخل ولي العهد وأورليان وبوربون والقائد ورامبور وغيرهم)

القائد : تبًّا للشيطان من لعين رجيم.

اورليان : يا إلهي، ضاع هذا النهار، وفقدنا كل أمل بالنجاح.

ولي العهد : وأنا خسرت حياتي. لأن كل المعطيات انقلبت رأساً على عقب وأصبح مصيرنا على كفّ عفريت. ها هو عار الاندحار يلوّث سمعتنا وكرامتنا. تبًّا لحظّنا المشؤوم الذي لازمنا طوال هذه الأيام العصيبة. لا تهربوا، أيها الأصحاب.

(تُسمع موسيقى إنذار وجيزة).

القائد : جميع صفوفنا قد تشتّتتْ.

ولي العهد : تبًّا لهذا الخزي الذي لا يُمحى. هل وصلنا الى حدّ

أن نضطر الى طعن ذواتنا بالخنجر للتخلّص من ورطتنا؟ هذا منتهى البؤس والشقاء، اذ قلب لنا الدهر ظهر المجنّ وبتنا من الخاسرين.

اورليان : هل هذا هو الملك الذي طلبنا منه أن يدفع الفدية عن نفسه؟

بوربون : هكذا يحملنا الفساد الدائم المتفشّي في كل مكان على الموت بشرف. فلنعد الى الهجوم مجدّداً. من لا يتبعني أنا بوربون في هذه اللحظة عليه أن ينصرف عنا. وليمسك قبعته بيده نظير قوّاد حقير، وليحرس الباب، بينما الدجّال الخبيث مثل كلبي الخسيس يلطّخ طهارة أجمل بناته.

القائد : أرجو أن ننجو من الفوضى السائدة الآن بعد أن هدمت وجودنا. هيّا نقدّم حياتنا بالجملة لهؤلاء الانكليز الغزاة أو نرحل عن هذه الدنيا بشرف وإباء.

اورليان : نحن الأحياء لا نزال عديدين في هذا السهل لنسحق الانكليز بكثرة أفراد جيشنا اذا توصّلنا الى إعادة القليل من النظام الى صفوفنا.

بوربون : ليذهب أهل النظام الى الجحيم في هذه الآونة الحرجة. عليّ اذاً أن أبادر الى خوض المعركة. فما أهون تقصير أعمارنا بغية أن لا يطول زمن عارنا.

(يخرجون).

المشهد السادس

في ناحية أخرى من ميدان القتال

(تُسمع موسيقى الانذار. يدخل الملك هنري وجنوده، ثم إكساتر وغيرهم).

الملك هنري: كان تصرّفنا اليوم ممتازاً، أيها المواطنون الكرام. لكن الأمر لم ينقضِ بعد، لأن الفرنسيين لا يزالون مسيطرين على السهل.

إكساتر : دوق يورك يؤيد جهودك.

الملك هنري: ألا يزال هذا الصديق على قيد الحياة، يا عمّاه؟ منذ ساعة من الزمن رأيته يسقط ثلاث مرّات وينهض ثم يعود الى القتال، وهو من قمة رأسه الى أخمص قدميه مضرّج بدمائه الغزيرة.

إكساتر : يا له من جندي باسل. ها هو ممدّد على المحمل وقد سقى أرض المعركة بدمه الذكي، والى جانبه زميله في الشرف والجراح، وهو أيضاً مضرّج بدمه، أقصد كونْت سوفولك النبيل الممدّد هو أيضاً على محمل. لقد قضى سوفولك نحبه أوّلاً. فما كان من يورك وهو مهشم الأطراف، إلا أن دنا من صديقه هذا الغارق في الدم الجافّ واحتضنه وقبّل جراحه المفتوحة النازفة في وجهه وصاح : « انتظرني يا ابن عمي سوفولك، لترافقك نفسي إلى السماء. انتظرني، أيها الروح الطاهر، كي نطير معاً جنباً الى جنب كما كنا في هذه المعركة المجيدة التي جمعتنا ووحّدتنا تحت شعار الفروسية ». ولدى تلفّظه بهذه الكلمات وصلتُ أنا ووجّهت اليه عبارتي المشجّعة. فابتسم لي

ومدّ اليّ يده. وإذْ عانقني بضعف، قال لي : « عزيزي اللورد، أرجوك أن تبلغ الملك اني دوماً في خدمته » ثم حوّل وجهه نحو سوفولك وطوّقه بذراعه، وطبع قبلة على خدّه، وأسلم هكذا روحه واسماً بدمه مودّته الحميمة النبيلة. فما كان مني إلاّ أن سالت دموعي على وجنتيّ لدى هذا المشهد الرائع المؤثر الذي أردت أن أطبعه في ذهني الى الأبد. غير أن تجلّدي كرجل كان قد انهار، وظهرت لي والدتي أمام ناظرَيّ فانهمرت الدموع السخيّة من مآقيّ.

الملك هنري: انا لا ألومك على حنوّك، لأني وأنا أصغي الى وصفك أكاد لا أقوى على إمساك دمعي الذي يجول في عينيّ ويغشى بصري كأني وسط ضباب كثيف، وما لبثت عبراتي أن تدحرجت على خدّيّ. (تُسمع موسيقى الانذار). لكن انصتوا، يا أصحابي، أي نبأ مشؤوم تحمل الينا نبرات هذا الانذار؟ هل جمع الفرنسيون قوّاتهم المشتّتة؟ على كل جندي أن يقتل اذاً ما لديه من أسرى. عمّموا هذا الأمر، وشدّدوا على تنفيذه فوراً.

(يخرجون).

المشهد السابع

في مكان آخر من ساحة المعركة.

(تُسمع موسيقى الانذار. يدخل فلولن وكوآر).

فلولن : قُتل الشبّان وأُتلِف العتاد. وهذا يخالف قوانين الحرب السارية المفعول. هذا عمل خسيس مُشين لا يُقدم

عليه إلّا الرعاع الذين لا يردعهم أي ضمير. أليس كذلك؟

كوآر : لا شك في أن جميع هؤلاء الشبّان لم يبقَ منهم أحد على قيد الحياة. ولا بد من أن يكون هذا عمل الأشقياء الجبناء ممّن هربوا من ساحة المعركة. فضلاً عن انهم أحرقوا أوْ سرقوا كلّ ما كان في خيمة الملك. لذلك أمر جلالته جنوده بأن يقتلوا جميع من لديهم من الأسرى. في الحقيقة هذا الملك جريء جداً.

فلولن : لقد ولد في مونموث، أيها الضابط كوآر. كيف تدعى المدينة التي مات فيها الاسكندر الضخم؟

كوآر : تريد أن تقول الاسكندر الكبير.

فلولن : أجل، أليس الضخم معناه الكبير؟ الضخم الكبير القدير الهائل العظيم جميعها ذات معنى واحد. غير أن ألفاظها مختلفة.

كوآر : أعتقد بأن الاسكندر الكبير ولد في مقدونية. وكان أبوه يدعى فيليب المقدوني، على ما أظن.

فلولن : أعتقد أنا أيضاً ان الاسكندر وُلد في مقدونية. واذا نظرت الى خريطة العالم، أيها الضابط، أؤكد لك انك ستجد في مقارنتك بين مقدونية ومونْموث أن أوضاع كلتيهما متشابهة تماماً. ففي مقدونية يجري نهر، وفي مونموث كذلك يجري نهر. نهر مقدونية يُدعى « واي » وقد غاب عن بالي اسم نهر مونموث. لكن هذا غير هام. فكلا النهرين متشابهان كما تتشابه أصابع يدي، وفي كليهما يسبح السمك السلموني بكثرة. واذا تفحّصت حياة الاسكندر وحياة هنري مونموث

تراهما تتشابهان في العديد من النواحي. أنت تعرف الاسكندر جيداً في ساعات غضبه وحدّته ومزاجاته ونزواته وملذّاته واستعلاءاته. وبما ان انتصاراته قد أسكرته وأفقدته رشده في أغلب الأحيان فقد دفعه غيظه وامتعاضه من بعض أحواله الى قتل أخلص أصدقائه وأعوانه وأشدّهم ولاءً له ألا وهو كلايتوس.

كوآر : غير أن ملكنا لا يشابهه في هذه النقطة الهامّة، لأنه لم يقتل أحداً من مساعديه الأوفياء.

فلولن : هذه بادرة غير محمودة أفلتت منك. وهي أن تقاطعني وأنا أتكلم قبل أن أنهي حديثي وأختم موضوعي. أنا لا أتحدّث إلا بالمقارنة والمعادلة. وبما ان الاسكندر قضى على صديقه كلايْتوس أثناء احتسائهما بعض المسكر، هكذا طرد هنري مونموث رغم رصانته وتعقّله صديقه الفارس الكبير ذي الرداء الأرجواني صاحب الروح المرح والنكات الظريفة وحفلات المجون وجميع ما يبدر منه من استهزاء، وقد نسيت اسمه.

كوآر : سرْ جون فالستاف.

فلولن : هو بالذات. لن أكون متطفّلاً إن ذكرت لك ان أشخاصاً مرموقين قد ولدوا في مونموث.

كوآر : ها هو جلالته قادم.

(تُسمع موسيقى الانذار).

(يدخل الملك هنري مع قسم من القوات الانكليزية ثم ورويك وكلوسستر وإكساتر وويليامس وغيرهم).

الملك هنري: منذ وصولي الى فرنسا، هذه أول مرة اشعر فيها ببعض

الانزعاج... خُذْ بوقاً، أيها المنادي، وامتطي جوادك واذهب الى هؤلاء الفرسان الواقفين على تلك التلّة. فإذا كانوا يريدون مقاتلتنا، قل لهم ان ينحدروا الينا بدون تأخير. وإلّا عليهم أن يُخلوا السهل. لأنهم يضايقون نظرنا. واذا رفضوا سنصعد نحن اليهم وسننقضّ عليهم أسرع من الحجارة التي كان يقذفها الآشوريّون القدماء بمقلاعهم. وفضلاً عن ذلك سنقطع رؤوس أسرانا، ولن يحظى برحمتنا أحد ممّن نقبض عليهم. اذهبْ وبلّغهم هذا بحذافيره.

(يدخل مونجوَا).

إكساتر : ها هو منادي الفرنسيين قد أقبل، يا مليكي.

كلوسستر : نظرته متواضعة أكثر من المعتاد.

الملك هنري: وما معنى ذلك، أيها المنادي، أولا تدري اني لست مستعداً لدفع أية فدية عن شخصي. هل أنت قادم لتحدّثني أيضاً عن الفدية؟

مونجوَا : يا مليكي الكبير، جئت لألتمس منك السماح بأن نجتاز هذا السهل الدامي، وان نحصي أمواتنا ثم أن ندفنهم بعد أن نكون قد فرزنا جنودنا النبلاء عن سائر جنودنا البسطاء. لأن عدداً كبيراً من أمرائنا قد غطسوا وغرقوا في دماء المرتزقة، بينما الدجّالون بيننا تسبح أشلاؤهم المبعثرة في دم الأمراء. والخيول الجريحة تخوض حوافرها في بركة من الدم وتتهيّج وتطلق رفسات أليمة بنعالها الحديدية في أبدان أصحابها المجندلين على الأرض جثثاً هامدة، فتنزل بهم هذه الضربة القاضية وكأنهم يُقتلون هكذا مرّتين. فاسمح

لنا أيها الملك الكبير بأن نجتاز بأمانٍ ساحة المعركة لنلمّ موتانا.

الملك هنري: أجيبك بكل صراحة، أيها المنادي، أني لست أدري إن كان هذا اليوم لنا أو علينا. لأن قسماً لا بأس به من فرسانكم لا يزال يجوب أرجاء السهل.

مونجوَا : هذا النهار المجيد لكم، يا مولاي.

الملك هنري: نشكر الله على هذه المنّة التي أولانا إياها، لأننا انتصرنا بعونه تعالى لا بفضل قوّتنا. ما اسم هذا القصر الذي نبصره قريباً من هذا المكان؟

مونجوَا : اسمه آزنكور.

الملك هنري: سأدعوا هذه المعركة اذاً معركة آزنكور، وقد خضناها يوم عيد القديسيْن كريبان وكريبنْيان.

فلولن : إسمح لي، يا مولاي، بأن أذكرك بأن جدّك السعيد الذكر وعمّك الأكبر ادوارد الأسْود أمير وايلس، حسب ما قرأت في كتب التاريخ، قد ربحا معركة مشرّفة هنا في فرنسا.

الملك هنري: في الحقيقة، انا لم أنسَ ذلك أبداً، يا فلولن.

فلولن : قولك هو عين الصواب، يا صاحب الجلالة. واذا تذكّرت أيضاً بأن أهالي وايلس قدّموا خدمات جليلة في حقل الكرّاث، لن تنسى أيضاً أنهم جميعهم زينوا قبعاتهم بالكراث في مونموث. وأنت تعلم، يا صاحب الجلالة أنهم حتى الوقت الحاضر يحملون هذا الشعار كذكرى خدماتهم. واعتقد أن جلالتك لا تقبل مطلقاً بأن لا تحمل الكرّاث كشعار لا سيما يوم عيد دافيد.

الملك هنري: أجل سأحمله كتذكار مجيد، لأني مولود في وايلس كما تعرفون كلّكم يا رفاقي الأعزاء.

فلولن : أؤكد لك ان جميع مياه نهر « واي » لا تكفي لغسل دم وايلس من جسم جلالتك. بارك الله شخصك الحبيب وحفظك ذخراً لنا على الدوام.

الملك هنري: شكراً، أيها المواطن الكريم.

فلولن : يسرني أن أكون مواطناً في مملكة جلالتك وخادمك الأمين، ولا يهمّني إن علم الآخرون بذلك، لأني مستعد لأن أصرّح به على رؤوس الأشهاد وأنا أفتخر بولائي لجلالتك لأنك ملك جليل وقور.

الملك هنري: أنا اطلب من الرب أن يحفظني كذلك طوال عمري. (يشير إلى مونجوا) ليرافق بعضكم منادينا، ثم اعلموني بالعدد النهائي الذي بلغه الموتى في كلا الجيشين. (يخرج مونجوا مع منادي الجيش الانكليزي — يشير الى ويليامس وإكساتر) استدعوا اليّ الرجلين الموجودين هناك.

إكساتر : أيها الجندي، إقترب نحو الملك.

(يتقدّم ويليامس وعلى قبعته قفاز).

الملك هنري: لماذا وضعت، أيها الجندي، هذا القفاز على قبعتك؟

ويليامس : يا صاحب الجلالة، هذه علامة ليعرفني من أنوي مقاتلته اذا كان لا يزال حيًّا.

الملك هنري: هل هو انكليزي؟

ويليامس : اسمح لي بأن أقول لجلالتك انه أحمق تجاسر وشاجرني الليلة الماضية. فإذا كان لا يزال حيًّا وتجرّأ على مطالبتي بهذا القفاز، اصارحك بأني أقسمت أن أصفعه، أو اذا شاهدت قفازي على قبعته وقد أقسم

بشرفه العسكري أن يحمله اذا كان لا يزال حيًّا، ان أنتزعه بسيفي من قبعته بأسلوب عنيف.

الملك هنري: ما رأيك بما سمعت الآن، أيها الضابط فلولن؟ هل يجدر بهذا الجندي أن يفي بوعده ووعيده؟

فلولن : إسمح لي يا مولاي، بأن أقول انه منافق جبان، إذا لم ينفّذ تحدّيه.

الملك هنري: لا أستغرب أن يكون خصمه وجيهاً رفيع المقام كي يتسنى له أن يُقدم على مجابهة رجل من هذا النوع.

فلولن : مهما كان وجيهاً ماهراً كإبليس أو لوسيفوروس أو بعل زبوب رئيس الشياطين لا بدّ من أن أصارح الملك بأنه ملتزم بالوفاء بوعده. فان نقضه يكون من أحطّ الدجّالين وأكثرهم قلّة حياء على وجه البسيطة. أُعلنُ ذلك وأنا على أتمّ الثقة بأن أنعته هكذا.

الملك هنري: لذا، يا صديقي، يجب أن تفي بما وعدت وتوعّدت به حالما تلتقي بهذا الفتى.

ويليامس : سأكون عند حسن ظنك بي، يا مولاي، ما دمت لا أزال على قيد الحياة.

الملك هنري: من هو رئيسك؟

فلولن : الضابط كوآر، وهو متضلّع من العلوم والآداب وفنون الحرب.

الملك هنري (لويليامس) : قلْ له ان يأتي اليّ، أيها الجندي.

ويليامس : أمرك مطاع، يا صاحب الجلالة.

(يخرج).

الملك هنري: هذا فلولن. (الملك يسلّم فلولن قفّاز ويليامس) : احمل هذا القفاز بدلاً عني، وضعه على قبعتك. لأني عندما كنت

انا برفقة ألآنْسون على تلك الأرض، ربطتُ هذا القماز الى خوذته الكبيرة، فمن يطلبه منك يكون صديق ألآنْسون وعدوّي شخصيًّا. واذا صادفتَ هذا الرجل، عليك أن تتهدّده، إن كنت حقاً تحبّني وتُكرمني.

فلولن : هذا شرف عظيم توليني اياه، يا صاحب الجلالة، ويتمناه أكبر شخص من رعاياك. أنا أريد أن أواجه هذا الرجل الذي يقف كالقرد على قائمتيه الخلفيتين والذي يغيظه حمل هذا القفاز. لكني أودّ أن ألمحه مرة واحدة لأُفهمه مقدار نفسه، بل أتوق الى الإلتقاء به.

الملك هنري: هل تعرف كوآر؟

فلولن : هو من أعزّ أصدقائي.

الملك هنري: اذهب اذاً واجلبه حالاً الى خيمتي.

فلولن : ها أنا ذاهب، يا مولاي. (يخرج).

الملك هنري: مولاي ورويك، وأنت يا أخي كلوسستر، إتبعا فلولن عن كثب. لأن القفاز الذي سلمته إيّاه ربما سبّب له تلقّي صفعة أليمة. فهذا القفاز يخصّ الجندي الذي حسب اتفاقي واياه، كان عليّ أن أحمله أنا شخصياً. إتبعه، يا ابن عمي العزيز ورويك. واذا ضربه الجندي، وأنا على يقين بأنه سينفّذ وعيده، أخشى أن يلحق به بعض الأذى. لأني أعرف جيداً ان فلولن فتى شجاع شديد البأس سريع الغضب، يهبّ كالبارود، ولا يتردّد لحظة في ردّ الاساءة بإساءة أفظع منها. إتبعه، واجتهد أن تمنعه من انزال أي ضرر به. وأنت، يا عمّاه إكساتر، أرجوك أن ترافقني.

(يخرجان).

المشهد الثامن

في خيمة الملك هنري

(يدخل كوآر ووِيليامس)

ويليامس : أراهن، أيها الضابط، على أنه سيرقّيك الى رتبة فارس.

(يدخل فلولن).

فلولن (لكوآر) : أستحلفك بالله أن تمضي بأسرع ما يمكن الى خيمة الملك. وهذا لصالحك أكثر مما تتصوّر.

ويليامس (يشير الى القفاز الذي يضعه فلولن على قبعته) : هل تعرف هذا القفاز، يا سيدي؟

فلولن : هذا القفاز؟ أجل أنا أعرفه.

ويليامس : وأنا أيضاً أعرفه. لذا أطلبه منك هكذا.

(يضربه).

فلولن : يا الهي، هذا أشرس مشاغب في فرنسا وفي انكلترا، بل في جميع أقطار الدنيا.

كوآر (يقف بينهما ويوجّه كلامه الى ويليامس) : ما هذا الكلام، يا سيدي؟ أراك لا تقلّ عنه شغباً.

ويليامس : هل تظنّ أني سأنقض وعدي؟

فلولن : إبتعد قليلاً، أيها الضابط كوآر، فأنا أؤكد لك اني سأدفع له ثمن تطاوله بعملته ذاتها.

ويليامس : أنا لا أعتدي على أحد.

فلولن : أنت أخطر كذّاب في الكون أجمع (لكوآر) باسم جلالته أسألك أن تحذره، لأنه صديق دوق ألانسون.

(يدخل ورويك وكلوسستر).

ورويك : ما الأمر؟ ماذا يجري هنا؟

فلولن : مولاي وارويك، اني أشكر الله الذي كشف لنا ما دُبِّر هنا من خيانة بانت لنا كالشمس المشرقة في يوم صيف رائع. ها هوذا صاحب الجلالة قادم.

(يدخل الملك هنري وإكساتر).

الملك هنري: ما الخبر؟

فلولن : يا مليكي، هذا دجّال ماكر. أرجو من جلالتك أن تتجنّبه. فقد رمى الى الأرض بالقفاز الذي انتزعته جلالتك من خوذة آلانْسون.

ويليامس : أيها الملك المعظّم، هذا القفاز يخصّني، واليك مثيله. لكن الذي أعطيته اياه كبديلٍ عن قفازه وعدني بأن يضعه على قبعته. وأنا وعدته بأن أصفعه اذا فعل ذلك، غير أني صادفت هذا الرجل وقد وضع قفازي على قبعته. فكان عليّ لزاماً أن أقوم بتنفيذ وعيدي.

فلولن : أرجوك، يا صاحب الجلالة، أن تعترف الآن، مع احترامي مقامك الرفيع، بأن هذا المحتال الجبان ليس سوى دجال خبيث. وآمل من جلالتك أن تؤكد وتثبت ان هذا القفاز يخصّ ألانْسون، وأنك يا صاحب الجلالة قد سلّمتني اياه، لأن شهادتك حق هي وحاسمة في هذا الموضوع.

الملك هنري (لويليامس) : أعطني قفازك، أيها الجندي، وهذا مثيله. اما الذي وعدت بأن تضربه فأنا هو، وقد وجّهت اليّ كلاماً قارساً لا يُحتمل.

فلولن : أرجو عفو جلالتك، وآمل أن يكون هو الذي سينال عقاب هذا الاشكال، اذا كان هناك من قانون عسكري

لا يزال يُطبَّق في هذا العالم الغارق في الفوضى.

الملك هنري (لويليامس) : كيف يمكنك أن تعوّض عليّ شخصيًّا؟

ويليامس : أرجوك أن لا تنسى، يا صاحب الجلالة، ان جميع الاهانات تنطلق من القلب. أما قلبي أنا فلم يضمر أبداً أية اهانة لجلالتك.

الملك هنري: لكنك أهنتني شخصياً في الصميم.

ويليامس : لا ننسَ أن جلالتك لم تكن الرجل المقصود، وقد ظننتك جندياً بسيطاً. أؤكد لك، يا صاحب الجلالة، ان ملابسك كانت وضيعة ومظهرك عاديًّا. فكل ما تحمّلته، يا صاحب الجلالة، في هذه الهيئة المتخفّية، أرجوك أن تصدّقني، كان بسببه لا بسببي أنا. اذ لو كنتَ حقاً من إفترضتُ أنا أن تكون، لما وجدت هناك أية إهانة اطلاقاً. على كل حال ألْتمس من جلالتك أن تسامحني.

الملك هنري: خذ، يا عمي إكساتر، هذا القفاز واملأه دنانير، واعطه هذا الرجل. (لويليامس) خذه، يا رجل، وعلّقه بقبعتك كعلامة شرف الى أن أطلبه منك. (لإكساتر) أعطِهِ الدنانير. (لفلولن) وأنت أيضاً، أيها الضابط، عليك أن تصالحه.

فلولن : صدّقني إن قلت لك ان قلب هذا الفتى في بطنه لا في صدره. (لويليامس) وهذا مبلغ اثني عشر فلساً لك. وأنا أدعوك الى مخافة الله والى تجنّب جميع أسباب الشغب والشجار والنزاع والجدال، وأؤكد لك انك ستكون أحسن حالاً مما كنت عليه سابقاً.

ويليامس : انا لا أريد دراهمك.

فلولن : اني أمنحك اياها بكل طيبة خاطر. ثق بأنها ستنفعك لإصلاح حذائك. هيا أقلع عن هذا التجبّر، فان حذاءك في حالة يرثى لها. وأنا على يقين بأن الشلن الذي أعطيك اياه يفيدك كثيراً.

(يدخل منادي الانكليز).

الملك هنري: هل أحصيت الأموات، أيها المنادي؟

المنادي : هذا هو عدد قتلى الفرنسيين.

(يسلّم الملك ورقة).

الملك هنري (لإكساتر) : من هم الأسرى البارزون، يا عمّاه؟

إكساتر : شارل دوق أورليان ابن شقيق الملك، وجان دوق بوربون وسير بوسيكو، ومئة وخمسون من السادة الآخرين والوجهاء والفرسان والخيّالة، ما عدا الجنود البسطاء.

الملك هنري: هذه اللائحة تشير الى عشرة آلاف فرنسي ظلوا جثثاً هامدة على أرض المعركة. وضمن هذا العدد امراء ونبلاء يحملون ألْوية تحوي مئة وستة وعشرين رجلاً، يضاف اليهم الفرسان والخيّالة والوجهاء المميّزون وعددهم يناهز ثمانية آلاف واربعمئة رجل، بينهم خمسمئة رُفّعوا الى رتبة فارس يوم أمس بالذات. وهكذا نلاحظ ان على عشرة آلاف مقاتل فُقدوا لا يوجد إلّا ألف وستمئة من المرتزقة. والبقية تشتمل على امراء ووجهاء وسادة وفرسان وخيّالة ونبلاء من أُسر عريقة الحسب والنسب وحميدة الخصال. بين هؤلاء، القائد الفرنسي الكبير، وجاك شاتيّون أميرال

فرنسا وسيّد قنّاصة القوس المولى دي رامبور والسيد الفرنسي الكبير الشجاع سير كيشار دوفان شقيق دوق بوركوني، وانطوان دوق برابان شقيق دوق بوركوني، وإدوارد دوق دي بار، وبين النبلاء الممتازين كرانْبْري وروسّي وفوكنبرك وفوَا وبومون ومارل وفوادمون ولاسْترال. هؤلاء كلهم أموات يخصّون الأسرة المالكة. أين لائحة الانكليز الذين هلكوا؟ (يقدم له المنادي ورقة أخرى) ادوارد دوق يورك، وكونْت سوفولك، وسرْ رتشرد كاتْلي، وأيْفي كام الخيّال العادي. وبين الجنود خمسة وعشرون قتيلاً فقط. يا الهي، لقد اتّكلنا عليك في نضالنا، والفضل ليس فضل قوّتنا بل فضل كرمك ورعايتك وحده الذي أحرز لنا كلّ هذا النصر، بدون تخطيط مسبق بل في اصطدام مفاجئ، وبوسائل حرب فعّالة ومجدية بدون أن نُمنى بخسارة جسيمة في صفوفنا نسبيًّا، بينما خسائر اعدائنا تعتبر باهظة. الفضل والحمد لك اللّهمّ لاننا بدونك لا حول ولا قوّة لنا.

إكساتر : هذا في الحقيقة استخلاص رائع.

الملك هنري: هيا عودوا بصحبتي الى القرية في موكب فخم لنعلن حكم عقوبة الموت في جيشنا بحق كل من يدّعي انه ساهم في إحراز هذا الظفر، ولا يقرّ بفضله تعالى علينا لأنه هو وحده سبحانه أضفى علينا هذا المجد العظيم.

فلولن : ألا يجوز لنا أن نذكر عدد القتلى، إن شئت، يا صاحب الجلالة؟

الملك هنري: نعم يجوز، أيها الضابط، ولا مانع من ذكر ذلك بشرط

الإعتراف بأن الله جلّ جلاله، قد قاتل عنّا.

فلولن : أجل، بكل ضمير حي، أقرّ بأنه سبحانه وتعالى كان لنا العون الأكبر.

الملك هنري: لنُقِمْ جميع الاحتفالات الدينية الواجبة في هذه المناسبة. وليشهد الكل بفضل المولى الذي نصرنا. وبعد أن نواري الثرى قتلانا بتقوى وخشوع، سنذهب الى مدينة كاليه، ثم نعود الى انكلترا حيث لم يبقَ من رجال في فرنسا أسعد حالاً منا.

(يخرجون).

الفصل الخامس

(يدخل المُشرف)

المُشْرِف : ليسمح لي جميع من لم يقرأوا كتب التاريخ أن أهمس في آذانهم وقائعه العجيبة. أما الذين قرأوها فأرجوهم بتواضع أن يعذروني على اختصار الأوقات والأعداد وسيْر الأمور الطبيعي الذي يتيسّر سرده هنا أثناء إصغائهم الى الوقائع. الآن ننقل الملك الى كاليه، وهذه مسألة لا خلاف عليها. ثم انتقلوا أنتم على أجنحة خيالكم عبر المحيط. انظروا الى الشاطئ الرملي الانكليزي الذي يزدحم بأفواج من جماهير الرجال والنساء والأولاد الذين تطغى هتافاتهم وتصفيقاتهم على ضجيج الأمواج المتلاطمة، كما يفعل مرافق الملك المهاب عندما يمهّد له طريقه، ثم دعوا الملك هنري ينزل من سفينته الى البرّ، وتأملوه كيف يتقدّم في موكبه بأُبّهة نحو لندن. بينما يساعدكم فكركم السريع على تصوّره في منطقة بلاك هيث. هناك يسأله لورداته أن يضع خوذته الفخمة على رأسه وقد تهشّمت، ويتقلّد سيفه الذي تثلّم حدّه بسبب كثرة ما أنزل من الضربات، وليس أمامه عند عبوره المدينة ما رفض أن يتقدّمه من غنائم الحرب المجيدة متحاشياً أي

ادّعاء باطل بفخر هزيل، وكلّ امتياز وكل مظهر من مظاهر العظمة المنحصرة بالله وحده. لكن انظروا الآن الى العنصر السريع الذي يقود الفكر، وتأملوا كيف توجّه لندن موجات مواطنيها لاستقباله: من المحافظ الى جميع زملائه الوجهاء في هندامهم الرسمي الجميل نظير شيوخ مجالس روما القديمة يسير وراءهم الأعيان كقفير النحل يواكبون قيصر المنتصر. هكذا نلمس التقارب المتواضع المحبّب عندما يعود القائد العام الذي يرافق الامبراطورة الراجعة من ايرلندا، كما يتسنى لها أن تفعل في بعض الأيام السعيدة، وقد سحق التمرّد وأعاد النظام الى سابق وضعه الطبيعي بحدّ سيفه اللامع، وتأملوا ضخامة عدد الأهالي الذين بادروا الى الترحيب به والهتاف بحياته أثناء عودته المظفّرة. وكلما كانت قضية هنري محقّة كلما ازداد ولاء مؤيديه الكُثُر في صفوف الشعب. وفيما حداد الفرنسيين على قتلاهم يضاعف حماس الإنكليز للهتاف بحياة ملك انكلترا ويلتمسون منه إطالة مكوثه عندهم، بينما الامبراطور يتوسط لرعاية مصالح الفرنسيّين بغية إعادة السلام الى بلادهم. ثم لننسَ كل هذه الأحداث الفريدة مهما كانت مؤلمة الى حين رجوع هنري الى فرنسا. إذ يتحتّم الآن علينا أن نرجعه الى هناك، وأنا بذاتي قمت بالمهمة حين ذكّرتكم... بما مضى. اعذروني على هذا الإيجاز المفروض عليّ، ودعوا أفكاركم تتتابع وأنظاركم تتّجه الى هذا الواقع المحتّم، أثناء العودة رأساً الى فرنسا.

(يخرج المشرف).

المشهد الأول

وسط فصيلة من الحرس في فرنسا

(يدخل كوآر ويتبعه فلولن وهو يزيّن خوذته بالكرّاث)

كوآر : بربّك، لماذا تحمل اليوم الكرّاث؟ فعيد القديس دافيد قد مضى.

فلولن : هناك مناسبات وأسباب، وكذلك أسئلة وأجوبة تحيط بكل أمر. وها أنا أقول لك كصديق، أيها الضابط كوآر : هذا الدجال المحتال، هذا الأجرب النتن بيستولي الذي تعرفه جيداً كما يعرفه معظم الناس، لا قيمة لشخصه ولا اعتبار، وقد جاء اليّ يوم أمس وجلب لي معه خبزاً وملحاً وطلب اليّ أن آكل من الكرّاث، وكان ذلك في مكان لا يمكّنني من مخالفة رجائه. لكني سأسمح لنفسي أن أضع هذا الكرّاث على قبعتي الى أن أشاهد بيستولي ثانية. عندئذٍ أكشف له عن بعض رغباتي.

(يدخل بيستولي).

كوآر : ها هوذا قادم وهو منتفخ الأوداج كالديك الرومي.

فلولن : عنتريّاته لا تهمني، لأنه حقاً كالديك الرومي... الله معك، أيها الضابط بيستولي. مهما كنتَ خبيثاً أسألُ المولى مع ذلك أن يباركك.

بيستولي : هل أنت خارج من مستشفى المجانين؟ ما هذا التصرف الأرعن أيها اللعين؟ إبتعد عني فان رائحة الكرّاث تفوح منك وتسبّب لي القيء.

فلولن (يقدّم الكرّاث لبيستولي) : أرجوك، أيها الغبي، نزولاً عند إلحاحي وإصراري، ان تأكل من هذا الكرّاث لأنك لا تحبّه ولا يلائم ذوقك وشهيتك أرجوك مرة ثانية أن تأكل منه.

بيستولي : لن اطاوعك حتى ولا اكراماً لأعزّ الناس لديّ.

فلولن : سأرغمك على ذلك. (يضربه ويقدّم له الكرّاث) ستأكله، أيها الأحمق وأنت مسرور.

بيستولي : تبًّا لك من خسيس، موتاً ستموت.

فلولن : ربما صحّ ما تقوله. ولكني أريد منك أن تعيش وتأكل ما يُقدّم لك من طعام. واليك ما تستحقّ على هذا الرفض (يضربه ثانية). بالأمس دعوتني الخيّال الجبليّ. واليوم أجعلك أنا خيّالاً من أحطّ الفئات. أرجوك أن تطاوعني وتأكل. حتى إن كنت تكره الكراث أسألك أن تأكل منه.

(يضربه أيضاً).

كوآر : كفى، أيها الضابط، فقد أفقدته صوابه.

فلولن : أريد أن يأكل من الكرّاث، وإلاّ حطّمت له رأسه طوال أربعة أيام. هيّا أُقضمْ، لأن هذا ينفع جراحك الحديثة العهد، ويحرّك الدم في عروقك.

بيستولي (يأخذ من الكراث) : هل عليّ أن أعضّه؟

فلولن : طبعاً بدون شك ولا مناقشة أو إمهال.

بيستولي (يأكل) : بهذا الكراث بالذات يتمّ انتقامي. فأنا آكل منه، ومع ذلك أشتمه...

فلولن (يرفع عصاه) : عليك أن تأكل. هل تريد أن تضيف الى الكراث ملحاً وزيتاً وحامضاً؟ هكذا لن يبقى لك من ذريعة للسباب، وأنت تقضم بقيّة الكراث.

بيستولي : هدّئ روعك واضبط أعصابك. ألا تراني آكل؟

فلولن : حسناً، أيها الدجال المحتال. الآن أتمنّى لك الخير من كل قلبي، بشرط أن لا ترمي شيئاً. فحتى قشرة الكراث تساعد على دمل الجراح. وبعد اليوم، إذا رأيت بعض الكرّاث، لا تتردّد في تناوله، لأنه يشفي من أوجاع عديدة.

بيستولي : حسناً.

فلولن : أجل، الكراث مفيد جداً. هذه قطعة أخيرة لشفاء آلام رأسك.

بيستولي : لديّ قطعة أخرى.

فلولن : لا بأس في الحقيقة ستتمسّك بالكرّاث بناءً على توصيتي. وإلّا اضطرت الى أكل قطعة أخرى منه موجودة في جيبي.

بيستولي : سأحسب هذه الأخيرة كخاتمة انتقامي.

فلولن : اذا كنت أنا مديناً لك بشيء سأدفعه بضربات من عصاي، فتتاجر هكذا بالخشب ولن ينوبك مني سوى الضرب بالقضيب. حفظك الله وشفاك من ألم رأسك.

(يخرج).

بيستولي : هيّا، هيّا، أيها الجبان الخبيث، أراك تهزأ بتقليد قديم يستند الى تذكارات مشرّفة تتكرّر نظير جائزة مكتسبة لقاء قيمة مدفونة، وأنت لا تستطيع أن تدعم أفعالك بكلمة واحدة تقولها في هذه المناسبة. لقد شاهدتك تجادل مرّتين أو ثلاثة وجيهاً محترماً لأنك ظننت انه لا يعرف كيف يتحدّث بالانكليزية حسب لهجة هذا البلد، وحكمت عليه بأنه لا يسعه أن يستخدم

قضيباً انكليزيًّا. أنت لا تجهل انك مخطئٌ، وأرجوك أن تصحّح ما قلته بلغةِ أهالي وايلس، وان تعلم كيف تعبّر عن أفكارك بلغةٍ انكليزية سليمة. الوداع.

(يخرج).

بيستولي : أوَيعاندني الحظ في هذه الآونة؟ لقد بلغني ان هيلانة ماتت في المستشفى، وقد سرت اليها عدوى المرض الفرنسي. فها هوذا ملاذي الوحيد ينسدّ في وجهي الى الأبد. فأنا أتقدّم في السنّ وشهامتي لم تعد تردعني عن الإساءة، كما كانت سابقاً. اذاً، ما عليّ إلاّ أن ألجأ الى الحيلة، وأن أستسلم الى نهب أكياس النقود. سأسرع في العودة الى انكلترا، وهناك سأسرق. أمّا جراحي فأضع عليها ضمّادات، وأُقسم باني تلقيتها أثناء خوضي المعارك في بلاد فرنسا.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر ملك فرنسا، داخل مدينة طروادة في مقاطعة شمبانيا.

(يدخل من أحد الأبواب الملك هنري وبدفورد وكلوسستر وإكساتر ووررويك وويستمورلند ولوردات آخرون. ومن باب آخر يدخل ملك فرنسا والملكة إيزابو والأميرة كاترين وسادة وسيدات، ثم دوق بوركوني وحاشيته).

الملك هنري: أتمنى أن يخيّم السلام على هذه الجمعية الملتئمة ها هنا لدعم السلام، ولأخي في فرنسا، وكذلك لشقيقتي

الف تحية وسلام، مع أخلص تمنياتي القلبية بالسعادة والازدهار لابنة عمي الفاتنة الأميرة كاترين. ولك أيضاً أيها الغصن النضير والعضو الكريم في الأسرة المالكة، دوق بوركوني الذي مهّد لهذه المقابلة الهامّة، أهديك أطيب تحياتي. كما أتمنّى الصحة والعافية لأمراء فرنسا ووجهائها.

ملك فرنسا : انا سعيد بمقابلتك وجهاً لوجه، أيها الأخ الانكليزي الفاضل. أهلاً بك وسهلاً، وبكل واحد من الأمراء الانكليز.

الملكة إيزابو : أيها الأخ الانكليزي العزيز، أرجو أن تكون مرتاحاً في نهاية هذا النهار البهيج الى هذه المقابلة السعيدة وأن تسمح لي بأن أعجب بنظرتك التي كانت حتى الآن غير راضية عن الفرنسيّين، وقد واجهتْهم هذه الهجمة المشؤومة التي صوّبتْ الينا مدافعكم المدمّرة. أرجو من صميم فؤادي أن يتبدّل غضب هذه الوثبة وأن ينقلب حقد هذا النهار الحافل بالألم والشقاء الى محبة صادقة دائمة.

الملك هنري: في الحقيقة جئت انا الى هذا المكان لأقول لك آمين.

الملكة إيزابو : ارحّب بكم جميعاً، أيها الأمراء الانكليز.

بوركوني : اني أحفظ لكليكما مودّة فائقة، يا ملكا فرنسا وانكلترا. ولقد لجأت الى كل اخلاصي وفطنتي وحيويّتي لجلب جلالتكما الى هذه المفاوضات الملكية. ويسعكما كلاكما أن تشهدا لي بحسن نيتي وبمساعيّ الحميدة التي أدّت الى جمع شملكما جنباً الى جنب في هذه الخلوة الملكية الفريدة. أعذراني اذا سألت أثناء

حضوركما هنا : أي عائق أو أية عقبة عسيرة كئيبة تعترض سبيل السلام الذي عكّرته الظروف وبلغ مرحلة عصيبة مزعجة، هذا السلام الذي يشجّع على ازدهار الأجيال في أجمل بقاع العالم الرحيب، لا سيما في فرنسا بوجهه المشرق الصبوح؟ يا للأسف، غاب هذا السلام عن فرنسا منذ عهد بعيد، وقد نما العشب على درب عودته. كذلك يبست الكرمة وطُمست معالم الكرامة الانسانية. والأسيجة التي كانت في الماضي مخضرّة، أضحت الآن سجينة الشوك والعلّيق الذي خنق عروقها المتفرّعة وسط الفوضى السائدة في البراري المهملة. وسكّة المحراث قد صدأت ولم تعد تقتلع جذور الزؤان والأعشاب البرّية. والحقول التي كانت تعبق فيها عطور الأزهار المتفتّحة الأكمام على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها طغى عليها الكسل والخمول في غياب المنجل الذي كان يستعمل لتشذيبها وتقويم اعوجاجها. فلم يعد لزهوها من أثر بعد أن سيطرت عليها آفات الاستهتار والاهمال كما يحصل في مجتمعات البشر والأُسَر بسبب عدم قيامها بواجباتها تجاه أفرادها وأولادها الذين ينساقون وراء جشعهم وأطماعهم وأهوائهم الفاسدة، خلافاً لما كنا نأمل بأن تكون العلوم والثقافات رائدة الشعب والمسؤولين عنه في هذه البلاد. فرحنا نتوغّل في متاهات الشر والأذى، لا نفكّر إلّا في أغراضنا الشخصية التي تناقض مجمل المصالح العامة في أغلب الأحيان. وتكون نتيجة هذه الفوضى كوارث وأحزان يجد الانسان نفسه في غنى عنها لو كبح جماح شهواته

الطائشة. والآن، ونحن في صدد إصلاح فساد هذا الماضي المؤسف، قد اجتمعنا عسانا نرجع كلنا الى السبيل القويم ونتفيّأ في ظلال السلام المريح وننعم بهدوئه وخيراته بعد أن كوتنا نار الحرب وسامتنا ويلاتها مرّ العذاب.

الملك هنري: يا دوق بوركوني، اذا أردت عودة السلام الذي جرّ علينا غيابه جميع المحن والمصائب، عليك أن تدفع قيمة هذا السلام مهما غلا ثمنه، وأن توافق على منحنا مطالبينا المحقّة حسب تفاصيل ظلامتنا التي عرضناها لك في الجدول الموجود بين يديك.

بوركوني : لقد إطلع الملك عليها، ولم يفدنا بعد عن رأيه فيها.

الملك هنري: أجل، فالسلام الذي تطالبون به متعلّق الى حدّ بعيد بالرد الذي سيعلنه صاحب الجلالة، اخي ملك فرنسا.

ملك فرنسا : لم يتّسع لي الوقت إلّا لإلقاء نظرة عاجلة على بنوده. فأرجو من جلالتك أن تعيّن بعض المفاوضين للبحث بانتباه شديد في القضايا المطروحة. باختصار، حالما يتوصّل الطرفان الى التفاهم والاتفاق على جوهر الأمور، سأبدي رأيي وأعلن جوابي النهائي في هذا الموضوع.

الملك هنري: بكل ممنونية، إذْ لا مانع لديّ، أيها الأخ العزيز، ولا اعتراض. أرجوك أن تذهب، يا عماه إكساتر، وأنت أيضاً يا أخي كلارانس، وأنت كذلك يا أخي كلوسستر مع ورويك وهنْتِنْكُدن، أرجوكم أن تذهبوا برفقة الملك. لديكم مطلق الصلاحية لأن تمحّصوا وتصدّقوا أو تغيّروا اذا اقتضى الأمر، جميع الطلبات حسب ما ترتإيه حكمتكم لصالح كلا الطرفين. أضيفوا أو احذفوا

ثم قرّروا. وأنتِ، يا أختي الحبيبة، إمضي بصحبة الأمراء
أو إبقي معنا هنا، كما تشائين.

الملكة إيزابو: أخي العزيز، انا أفضّل أن أذهب معهم. لأن صوت المرأة قد يخفّف ويلطّف بنعومته وطأة بعض الشروط.

الملك هنري: على الأقلّ دعي لي ابنة عمي كاترين. لأنها العامل الرئيسي الذي يؤثّر على ما يدور في الأذهان.

الملكة إيزابو: هي حرّة في أن تختار ما تشاء.

(يخرج الجميع ما عدا هنري وكاترين وأليس).

الملك هنري: يا كاترين الفاتنة، أرجوكِ أن تتنازلي وتعلّمي جندياً مثلي بعض الكلمات الحلوة التي تنساب كالنسيم الى الآذان وتدافع عن قضية حبيب يحنّ الى قلب حبيبته.

كاترين : هل تنوي جلالتك أن تسخر منّي، وأنا لا أعرف كيف أخاطب أهالي بلدك انكلترا بلغتهم.

الملك هنري: اذا شئتِ، يا كاترين الفاتنة، ان تحبّيني من كل قلبك الفرنسي، يسرّني أن أسمع اعترافك في هذا الموضوع بلغتك الانكليزية وإن كانت متعرّجة. بربّك صارحيني كيف أبدو لكِ، يا كايْت؟

كاترين : أعذرني اذا سألتك ماذا تعني بعبارة «كيف تبدو لي».

الملك هنري: الملاك طبعاً يشبهك، يا عزيزتي كايْت. لذا أنتِ تبدين لي كملاك نزل من السماء.

كاترين (لأليس): ماذا يقول؟ هل أنا أشبه الملائكة؟

أليس : أجل، هكذا يقول حقاً.

الملك هنري: نعم قلت ذلك، يا عزيزتي كاترين. وأنا لا أحمرّ خجلاً من ترديد ما قلت.

كاترين : يا إلهي، كم تلهج ألْسِنة الرجال بالثناء والخداع؟

الملك هنري (لأليس) : ماذا قالت، أيتها المرأة الجميلة؟ أليس أن ألْسِنة الرجال تلهج بالخداع؟

أليس : نعم، ان ألْسِنة الرجال تلهج بالثناء والخداع. هذا ما قالته الأميرة.

الملك هنري: مع ان هذه الأميرة لا تقول دائماً سوى الحقيقة. غير ان كلامي الذي ينتمي حتماً الى لغة العشّاق، يجب أن لا يخفى عن ادراكك. انا مسرور لأنك لا تجيدين لغتنا. اذ لو كنت تتقنينها لكنت وجدتِ فيّ ملكاً بسيطاً، وما ظننتِ اني بعتُ طيشي لأشتري تاجي. أنا لا أعرف التحفّظ في الحب، وأبوح بصراحة : « اني أحبك ». وإن سألتِني أن أضيف على هذه عبارة أخرى، لما ترددت في سؤالك : « وهل أنت تحبينني »؟ أنا لم أعد أطيق صبراً على كتمان لواعج مهجتي، وما يزخر به قلبي من أشواق نحوك. فأرجوك أن تردّي على تصريحي هذا. ثم هاتِ يدكِ، لأن الأيدي تجيد التعبير غالباً عمّا لا يُحسن اللسان الافصاح عنه من عواطف صريحة. فهل تعتبرين مثْلي ان الصفقة قد تمّت بيننا بجلاء ووضوح؟ ما قولك، يا سيدتي الحبيبة؟

كاترين : أرجوك أن تعذرني على تقصيري في هذا المجال، وأن تعلم اني فهمت كل ما تبوح به لي.

الملك هنري: لعمري، لو شئتُ أن أخاطبك شعراً أو أن أراقصك، لكي ترضي عني، لرميتِني حقاً في مأزق حرج. لأن الشعر لا تدين لي أوزانه ولا قوافيه. وكذلك الرقص لا أتقن إيقاعه ولا حركاته، ما دمت لا أفهم إلا

لغة القوّة والعنفوان. فلو كنت أنا من البارعين في الهيمنة على قلب حسناء تمتطي جواداً أصيلاً، لما تأخّرت عن القفز حالاً الى متن حصاني، وأنا أرتدي درعي الثقيل بدون أن أتبجّح بتعداد انجازاتي، بل بادرت فوراً وبأسرع من البرق الى نيل الحظوة في عين المرأة التي سحرتني. ولو كان عليّ أن أقبض على كفّ حبيبتي أو أن أقوم بحركات بهلوانية على ظهر جوادي لأنال رضاها، أجل لما تأخرت لحظة في المبادرة الى صهوة حصاني وتشبّثت بعُرف رقبته كالقرد طبعاً بدون أن أقع أبداً. لكن وقاني الله من هذه التجربة، يا كايْت، لأني لا أصلح للمغازلة، ولا لدعم شعوري بالتنهّد، ولا أودّ أن ألجأ الى دهاء المراوغة. أرجوكِ أن تعلمي اني عند الضرورة القصوى أبوح بكلمتي الحلوة ولا أطيق إخفاءها تحت تأثير أي كبت أو إضطرار. إذا أمكنكِ، يا كايْت، أرجوك أن تحبّي فتى من هذا النوع لا يحتاج محياه الى الإحتراق في وهج الشمس وهو يلقي نظرة على مرآته ليرى فيها أي وجه كان. فلا تبخلي بعطفك على متيّم بهواكِ. أنا أتحدّث اليك بلغة الجندي الصريح. فاذا شئتِ أن تحبّيني هكذا، إقبلي بي، وإلاّ اذا قلت لكِ اني سأموت غمًّا أكون أصدق العاشقين. لكن بما اني هائم بك، أسأل الله أن لا يحدث ما يعكّر صفو قلبينا. لأني أحبّك فعلاً ولا أرضى عنكِ بديلاً. اسمحي لي بأن أقدّم لك نصيحة، يا عزيزتي كايْت : إياكِ أن تقبلي برفيق يقلّ عنك طيبة عنصر وبهاء محيّا اذ انه سيقصّر في تخصيصك بأحسن معاملة

نظراً الى ما يفوح منك من عبير الأخلاق السامية.
وما أنتِ في الواقع سوى زهرة فوّاحة زاهية الألوان تسبّح الخالق المبدع الذي صنع منك آية في الروعة والجمال. أرجوك أن لا تغترّي بثناء المتزلفين الخدّاعين الذين يحصرون همّهم في المراوغة من المرأة لنيل رضاها وعطفها بدون أن يردعهم منطق سليم أو مروءة شهمة. فالمتحدّث اللبق غالباً ما يتذرّع بالشعر والكلام المنمّق والمديح المزيّف لاقتناص عواطف الحسناء. وكم من كنز جميل انكشف وكم من ظهر مستقيم إنحنى، وكم من لحية سوداء شابت، وكم من رأس مجعّد الشعر حلّ به الصلع، وكم من وجه صبوح ذوى، وكم من عين برّاقة فقدت سحرها، وكم من فؤاد نقيّ أدركته الخيبة، يا كايْت. أنتِ الشمس والقمر، بل أنتِ شمس فريدة لا قمر يقف لها بالمرصاد كالعزول. وميزة الشمس انها تشعّ وتضيء ولا يخبو نورها، وتسير في درب لا يسدّه أي عائق. إن شئتِ فعلاً رجلاً كهذا إرضيْ بي، تمتلكي جندياً باسلاً ينعم دائماً في اسعادك، وتتسلّطي على قلب ملك لا يرضى عن حبك بديلاً. والآن ما رأيكِ في ما أقدّمه لك من الهوى الخالص؟ ما قولك، يا حبيبتي، بأن تتربعي على عرش قلبي؟ تكلمي بصراحة، يا أميرة كل الحسان. أرجوك أن تردّي عليّ بصراحة وإيجابيّة.

كاترين : هل يُعقل أن أحبّ عدوّ فرنسا؟

الملك هنري: كلاّ. هذا غير معقول، بل مستحيل. حقّاً، لا يسوغ لك أن تهوَيْ عدوّ فرنسا، يا كايت. لكنك عندما تحبينني، تحبّين صديق فرنسا الوفي، لأني أحب فرنسا

الى حدّ أني لا أريد أن أخسر قرية واحدة منها. لأني أريد أن أمتلكها بأجمعها نظيرك. ثم، يا كايْت، حين تصبح فرنسا لي، وأنا أصبح لك، تكون فرنسا خاصتك الشرعية تماماً كما تخصّينني أنتِ.

كاترين : لم أفهم بعد ما تعنيه.

الملك هنري: كيف لا تفهمين، يا كايْت؟ سأشرح لك ذلك بجملة فرنسية، انا واثق بأنها ستظلّ عالقة على شفتيّ كما تتعلّق العروس بعنق عريسها ولا تريد أن تتخلّى عنه. عندما امتلك انا فرنسا وتمتلكينني أنت... يا الهي ساعدني، ويا أيها القديس دانيس أعنّي، حينئذٍ تصبح فرنسا ملكك نظيري انا هنري الذي لا ينازعك إياه أحد. إذْ ذاك يهون عليّ فتح ممالك برمّتها، يا كايت. كما لو كنت أفصح عن ذلك باللغة الفرنسية لأثير مشاعرك، لا لكي أجعلك تهزإين بي.

كاترين : أرجوك أن تعلم ان الفرنسية التي تكلمت بها هي أفضل بما لا يقاس من الانكليزية التي أتكلّمها أنا.

الملك هنري: لا، لا، والله، يا كايْت، لا. لكني لا بد لي من الإقرار بأن ما نقوله كلانا، أنت بلغتك وأنا بلغتي، مهما كانت غير سليمة، هي في نظرنا مقبولة بالنظر الى أوضاعنا الخاصة. فهل أدركتِ، يا كايْت، هذا الواقع الثابت؟ وهل يسعك أن تحبيني على هذا الأساس؟

كاترين : لست أدري بماذا يجب عليّ أن أردّ.

الملك هنري: بربّك، هل تستطيع إحدى جاراتك أن تفيدني في هذا الموضوع الدقيق، يا كايْت؟ أنا مستعد أن أطرح عليها السؤال ذاته. هيّا انا موقن بأنك تحبّينني. وهذا المساء عندما تختلين بنفسك في مخدعكِ تسألين هذه الآنسة

عن رأيها في شخصي. وأنا عالم، يا كايْت، بأنك أمامها ستنكّتين عليّ. ومع ذلك ستلوذين وتعتصمين بشغاف قلبي الذي تهوينه منذ هذه اللحظة. فأرجوك أن تنكّتي عليّ برفق ولين، بقدر ما يفيض به قلبك من رقة وحلاوة، يا أميرتي الفاتنة. أنا واثق، يا كايْت، من حبك لأني واثق بأني غزوت فؤادك بشجاعتي العسكرية. ولا بدّ لك من أن تصبحي في يوم قريب أمّ جنود مرموقين. أوَلاَ نستطيع أنا وأنتِ، بين القديسَيْن دانيس وجاورجيوس أن ننجب صبياً نصفه فرنسي ونصفه انكليزي، يمكنه أن يذهب بعيداً حتى القسطنطينية ليجرّ السلطان العثماني الكبير من لحيته. أوليس هذا ممكناً؟ ما قولك يا زنبقتي الجميلة العطرة؟

كاترين : لست أدري ما أقول لك.

الملك هنري: لكنك ستعرفين في المستقبل القريب. وأنت تستطيعين منذ الآن أن تعديني بتحقيق أمنيتي. فبالله عليك، عديني في هذه اللحظة، يا كايْت، بأنك ستجتهدين في العمل لصالح القسم الفرنسي العائد الى هذا الصبي. اما القسم الانكليزي، فأرجوك أن تقبلي وعدي كملك وكفارس شاب شهم لا يزال عازباً حتى الآن. فما هو جوابك على إلحاحي، يا أحلى كاترين في الدنيا ويا أعزّ حوريّة فاتنة أسرت قلبي المتيّم بهواك؟

كاترين : جلالتك تتقن أردأ لغة فرنسية كافية لتخيّب أمل أعقل آنسة وجدت في فرنسا.

الملك هنري: تبًا لفرنسيّتي المغلوطة. أؤكد لك بشرفي أني أحبك بلغة انكليزية صحيحة، يا كايْت. وأنا لا أجسر على

أن أُقسم لك بشرفي انك تحبينني. لكن قلبي يشعر بما تكنّينه لي رغم ما تخبئه ملامح وجهك العاجزة عن البوح بما أود أن أسمعه من شفتيك الساحرتين. ما أبغض مطامح والدي الذي كان يفكّر في الحرب عندما انجبني. لذا وُلدتُ وأنا بهذا المظهر الخشن والنزعة الحديدية الى حدّ اني حين أودّ مغازلة السيدات يُخيّل اليّ اني أُخيفهن. لكني في الحقيقة، يا كايْت، كلما تقدّمت في السنّ كلما تحسّنت طباعي وطلعتي. وعزائي الوحيد عن هذه النقيصة هو أن الزمان الذي يذهب بمعالم الجمال لم يعد له القدرة على العبث بقسمات وجهي. ستقبلين بي وستوافقين على الاقتران بي، كما أنا بما فيّ من نقائص ومساوئ. لكن على مدى استخدامي، اذا رضيت بأن تستخدمي مواهبي، ستجدينني في تحسّن مستمرّ. لذا قولي لي، يا عزيزتي كاترين الفاتنة، هل ترضين بي زوجاً لك؟ ضعي احمرارك العذريّ الخجول جانباً، وارفعي أفكارك وقلبك الى مستوى الامبراطورة كما ستصبحين قريباً، وخذي يدي وقولي لي : يا هنري ملك انكلترا، أنا لك. وبذلك لا تسحرين اذني فقط بهذه الكلمة العذبة على قلبي، بل ترينني أجيبك بصوت عال : انكلترا بأجمعها لكِ وايرلندا أيضاً كلها لكِ، كما ان فرنسا هي لك، ولا سيما انا هنري بلانْتّاجيني لك. وهنري هذا، انا أجرؤ على القول لك بحضوره، إن لم يكن رفيق أعظم الملوك، فهو بالدرجة الأولى، كما ستعرفينه جيداً، ملك أحسن الرفاق طرًّا. هيا أجيبيني بصوتك الناعم المتهدّج، لأن صوتك انشودة عذبة ولغتك

الانكليزية المتعرجة حلوة جداً على مسمعي. وهكذا تصبحين ملكة الملكات. فافتحي قلبك لحبّي ورغم لغتي المتعرجة، اكرر عليك التماسي أن تقبلي بي زوجاً لكِ.

كاترين : سأفعل ما يرضي والدي الملك.

الملك هنري: هيا، سيرضيه قراننا كثيراً، يا كايْت، سيرضيه حقاً للغاية.

كاترين : اذاً سأكون أنا أيضاً سعيدة.

الملك هنري: وبناءً على قرارك هذا، دعيني أُقبّل يدك وأدعوكِ، يا مليكتي ويا ملاكي.

كاترين : لا تفعل، يا مولاي، أرجوك أن لا تفعل. وربّي، انا لا أريد أن تتنازل جلالتك الى تقبيل يد أصغر خادماتك. ألتمس منك أن تعذرني، أيها الملك العظيم، على تمنعي حسب عاداتنا.

الملك هنري: اذاً دعيني أقبّل شفتيك، يا كايْت.

كاترين : العادة لا تسمح في فرنسا بتقبيل السيدات والآنسات.

الملك هنري (لأليس) : يا سيدتي الترجمانة، ماذا قالت مولاتك؟

أليس : ان عاداتنا هنا لا تسمح بتقبيل سيدات فرنسا. وأنا لا أعرف كيف تقال كلمة قبلة بالانكليزية.

الملك هنري: القبلة قبلة في جميع اللغات...

أليس : جلالتك تفهم أفضل مني.

الملك هنري: ليست من العادات المتّبعة هنا أن تُقبَّل آنسات فرنسا قبل الزواج. هل هذا ما تقصد أن تفصح عنه فاتنتي؟

أليس : نعم، بالضبط.

الملك هنري: صدّقيني، يا كايْت، أنّ أصلب العادات تنحني أمام كبار الملوك. يا عزيزتي كايْت، انا وأنتِ لا يسعنا أن نتقيّد بإلتزام العادات القديمة المتبعة في هذه البلاد. فنحن نسنّ القوانين، يا كايْت، ونحن نتمتّع بكامل الحرية التي تليق بنا، ونكمُّ أفواه المنتقدين. كم وددت أن أطبع على شفتيك القبلة التي أتمناها، وتمنّعت عنها بسبب ما تحظّره العادات في بلدك. فما علينا إلّا الصبر والخضوع. (يعانقها). شفتاك سحرتاني، يا كايْت، لأن فيهما بلاغة وفصاحة أكثر من أي اتصال بليغ بجميع شفاه أعضاء مجلس فرنسا. وهما قادرتان على إقناعي، انا هنري ملك انكلترا، بفعاليّة تفوق كل توسّلات ملوك الأرض مجتمعين. ها هوذا والدك قد أقبل.

(يدخل ملك فرنسا والملكة إيزابو ودوق بوركوني وبدفورد وكلوسستر وإكساتر وويستمورلند ووريك وسادة آخرون فرنسيون وانكليز).

بوركوني : حفظ الله جلالتك، يا ابن عمي الملك، أراك تعلّم اللغة الانكليزية أميرتنا الحبيبة.

الملك هنري: وددت، يا ابن عمي العزيز، ان أعلمها كم أنا أحبها بهذه اللغة الانكليزية الشيقة.

بوركوني : وهل وجدت لديها الاستعداد اللازم؟

الملك هنري: لغتنا خشنة، يا ابن العم. وأنا طبيعتي بعيدة عن أن تكون ليّنة، بشكل يجعلني لا أملك اللهجة ولا غريزة التمليق. لذا لا أستطيع أن أحرّك فيها مشاعر الحب، ولا أن أدعها تميل الى الظهور بمظهر العاشقة الحقيقية.

بوركوني : أعذرني على صراحتي النزيهة اذا أجبتك بمثل هذا الردّ. فاذا أردت أن تحرّضها على الامتثال، لا بد من أن ترسم لها خطّة ملائمة. واذا شئت أن توقظ فيها الميل الى الحب لا بدّ لك من أن تبدو مجرداً وأعمى. فهل يسعك أن تلومها هي التي لا تزال عذراء يعلو محياها خفر الحياء العذري بلونه الأرجواني الوردي اذا رفضت أن تبصر ذاتها مجرّدة عارية كالطفل الذي لا يفقه من أمور الدنيا شيئاً؟ هذا التصرّف، يا مولاي، يفرض ظروفاً قاسية على عذراء بريئة مثلها

الملك هنري: جميعهن يُغمضن عيونهن ويستسلمن لقدرهن، لأن الحب أعمى لا يخضع لأي عرف.

بوركوني : اذاً، لا بد من أن تعذرها، يا مولاي، لأنها لا ترى ولا تدري ماذا تفعل.

الملك هنري: عليك اذاً أن تتطوّع، يا مولاي، لتشرح لها فكرتي. لأن العذارى اللواتي دفّأت حرارة الصيف قلوبهن هنّ كالنحلات حول عيد القديس برتيليمي، لا يُبصرن مع ان عيونهن مفتوحة، ويتحمّلن كل اللمسات، هنّ اللواتي لا يُطقن عادةً مجرد النظر اليهن.

الملك هنري: هذا الارشاد الاخلاقي يضطرني الى انتظار حرارة الصيف لأتذوّق عسل النحل في نهايته، لأن ابنة عمك لا تزال بحكم ظروفها عمياء تماماً.

بوركوني : نظير العاشق، يا مولاي، قبل أن يستطعم حلو الحب ومرّه.

الملك هنري: هذا صحيح، يا مولاي. وكثيرون عليهم أن يشكروا الهوى الذي يعمي بصائرهم ويمنعهم من رؤية عدد

كبير من مدن فرنسا الجميلة التي وقفت عذراء حسناء حائلاً بيني وبينها.

ملك فرنسا : فعلاً، يا مولاي، اذا نظرت بموضوعيّة. فكل واحدة من هذه المدن تبدو لك كالعذراء، لأنها كلها مصوّنة بأسوار عذراء لم تتمكّن الحروب من أن تطغى عليها وتخترق حصانتها.

الملك هنري: هل ستكون كاترين زوجتي؟

ملك فرنسا : كما تشاء.

الملك هنري: يسعدني أن تصبح رفيقة حياتي بشرط أن تصحبها المدن الرائعة التي حدثتني عنها. وهكذا تكون العذراء الفاتنة التي اعترضت سبيلي وشوّقتني الى جعلها قرينتي قد مهّدت الطريق الى تحقيق أمنيّتي.

ملك فرنسا : انا موافق على جميع الشروط المعقولة.

الملك هنري: هل سمعت اذناي الحقيقة التي أنشدها انا ملك انكلترا، يا مولاي؟

ويستمورلند : لقد منحك الملك كل ما تتمنّاه. أولاً ابنته وبالتالي كل البنود المقترحة في كامل نصوصها.

إكساتر : المسألة الوحيدة التي لم يوافق بعد عليها هي ما طلبته منه، يا صاحب الجلالة : أن يشير ملك فرنسا في كل مناسبة الى مقام جلالتك على أن يذكر لقبك التالي باللغة الفرنسية : « ابننا العزيز هنري ملك انكلترا، وريث عرش فرنسا ». وكذلك هذا اللقب ذاته باللغة اللاتينية.

ملك فرنسا : لم أرفض هذا الأمر، يا أخي، وأنا مستعد لتكراره في كل المناسبات اذا أصْرَرْتَ على ذلك.

الملك هنري: أرجوك باسم المودّة والوثاق العزيز اللذين يربطان الآن بيننا أن تضمّ هذا البند الى سواه من النصوص المتفق عليها. وبناء على ذلك إسمح لي بيد ابنتك.

ملك فرنسا: انا أمنحك اياها، راجياً أن تمنّ علي بنسل يجعل من الممالك التي تعادي فرنسا وانكلترا وتحسدهما على ما يغمرهما من السعادة المشتركة، أن تضع حدًّا لحقدها ومناوأتها. أتمنى لهذا الزواج أن يوطّد الهناء وعهد الأخوّة والوئام الصادق بيننا بشكل يحول دون نشوب أية حرب من الآن وصاعداً بين انكلترا وفرنسا الجميلة.

الجميع: آمين.

الملك هنري: والآن، يا كايْت، أهلاً بك وسهلاً... أشهدوا جميعكم على تقبيلي اياها أمامكم بصفتها مليكتي وشريكة حياتي ومالكة قلبي.

(يعانق كاترين. ثم تصدح الموسيقى).

الملكة إيزابو: ليبارك الله القدير، وهو جامع القلوب في القران المبارك، وليدمج قلبيكما في فؤاد واحدٍ، ومملكتيكما في دولة واحدة، كما يصبح الرجل والمرأة في الزواج شخصاً واحداً، لا يفرق بينهما أي عامل فساد ولا سيما الحسد والحقد الشرسين. وهكذا تتّحد مملكتانا على الدوام ولا يفصل بينهما أي مغرض، متمنّيةً أن يظلّ هذ االزفاف سعيداً لا يتسلّل اليه أي هاجس شرّ، على غرار الدول المصمّمة على التعايش والتفاهم بسلام كما يجري في كل قران موفّق، بعيداً عن فكرة الطلاق التي تهدم كل اتحاد متين الروابط. وهكذا

تتبادل المصالح فينعم الانكليز والفرنسيون بالحقوق والواجبات المشتركة ذاتها. وما علينا إلا أن نصادق على هذا التمنّي ونقول آمين.

الجميع : آمين ثم آمين.

الملك هنري: والآن لنهيّئ جدّيًّا كل ما يقتضيه هذا الزواج المبارك من مراسم. اليوم، يا مولاي بورْكوني، أنا أحظى برضى جميع المسؤولين كضمانةٍ توطّد اتّحادنا. (يلتفت نحو كاترين) ثم أُقسم لكايْت، كما تُقسمون أنتم لي، راجياً أن يكون حلْفانا جميعاً ضمانة سعادة وازدهار لصيانة خير كل فرد منّا.

(يخرجون).

* * *

المُشْرِف : الى هنا قامت الريشة المتواضعة التي رسم بها كاتبنا القليل البراعة، والمتمسّك بمتابعة سياق التاريخ العامّ وهو يجمع عظماء الرجال في فسحة ضيّقة، ويَقْسِم الى أجزاء صغيرة مجال امجادهم الفخمة. لقد اختصرت بإيجاز عمق حياة الملك هنري نجم انكلترا الساطع، وقد حالف الحظ السعيد سيفه اللامع، هذا السيف الذي فتح أجمل حقل في الدنيا ليترك لابنه امبراطورية فسيحة. بينما هنري السادس الذي توّج وهو لا يزال طفلاً في قماطه، ملكاً على فرنسا وانكلترا معاً عندما خلف أباه الملك موضوع مسرحيتنا هذه حين وافاه الأجل. لكن حكومات عديدة تعاقبت على ادارة هذه الدول، فخسرت فرنسا وأدْمت بانكسارها شعب انكلترا. وكم أبرز مسرحنا من لوحات هذه المشاهد

المتنوّعة المتعاقبة بتواتر. فأملنا وطيد بأن يجود علينا المشاهدون برضاهم عن سعينا لعرض الأمور الهامّة كما جرت، آملين بأن يشملونا بروح سماحهم وسعة حلمهم.

(تمّت)

هنري الثامن

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

الملك هنري الثامن.
الكردينال وُلْسي.
دوق بوكنْكهام.
دوق نورْفولْك.
دوق سوفولْك.
كونْت سوراي.
لورد شمبلّان : مرافق الملك.
لورد مستشار.
الكردينال كمبايوس : موفد بابا روما.
كابوسيوس : سفير شارل كَنْت.
كارْدينر : أمين سرّ الملك، ثم اسقف ونْشسْتر.
اسقف لنْكولْن.
لورد آبركافيني.
لورد سانْدْز.
سرْ هنري كيلْفورْد.
سرْ توماس لوفال.
سرْ أنطوني داني.
سرْ نيكولاس فاو.

كرانْمر : أسقف كَنتِرْبري.
كرومْويل : خادم ولْسي، ثم أمين سرّ الملك.
كريفيت : وجيه وحاجب الملكة كاترين.
الدكتور بوتْس : طبيب الملك.
وكيل دوق بوكنكهام.
براندون، ورجل أمن.
أمين سرّ ولْسي.
وجيه من حاشية الملك.
وجيه من حاشية الملكة.
ثلاث وجهاء .
حاجب مجلس المستشارين.
بوّاب ومساعده.
حاجب كاردينر.
حاجب المحكمة.
الملكة كاترين أراكون : زوجة هنري الثامن، ثم مطلَّقته.
آن بولان : وصيفة كاترين، ثم ملكة.
سيدة مسنّة من البلاط : صديقة آن بولان.
بشْيانْس : مرافقة الملكة كاترين.
ارواح : تظهر على كاترين.

لوردات ووصيفات ومرافقات الملكة كاترين.
وكتبة وحرس، وحجّاب، إلخ...
تجري الأحداث في لندن وفي وستْمِنْستر
وفي قصر كمْبولْتون.

مقدّمة

أنا لا آتي لأضحككم. اذا اصبحت الامور الآن أكثر جدّيّةً واسمى وأهيب، وحافلة بالجلال والكآبة. لأن هناك مشاهد تستدرّ الدموع من العيون، سأقدّمها لكم فيما يلي. فمن تزداد رقّة قلوبهم، اذا احسنوا التفكير، تسيل دمعة على خدّهم، لأن الموضوع يستدعي البكاء. ومن يدفعون مالهم آملين سماع قصّة تستند الى الصدق والأمانة يسعهم ان يجدوا هنا الحقيقة الأكيدة. أمّا من يأتون فقط لمشاهدة لوحة أو لوحتين ويحكمون على الرواية بأنها عادية، إن تحلّوا بالصبر والهدوء، أؤكد لهم أنهم يلاقون ما يساوي قيمة تذاكرهم ويلهون مدة ساعتين معنا. لكن من يأتون لحضور هزلية متبّلة بالملح والبهار أو مصحوبة بصليل السيف والترس، أو لرؤية ظريف متسربل برداءٍ أصفر مخطّط، فلن يلاقوا سوى الخيبة وضياع الوقت. اذ عليكم ان تعلموا، أيها الحضور الكرام، ان مسرحيتنا تاريخيّة تتخلّلها ضحكات ومعارك يتوالى فيها ما نبثّه من روح الدعابة وما اشتهرنا به من التغلغل بمهارة الى الأذهان لإبراز موضوع يدور حول صديق لامع الذكاء. وهكذا نُقْسِم لكم بحق السماء انكم أوّل من ينعمون بمشاهدة فصولنا على مسرح هذه المدينة بشكل يستحقّ ما نودّ ان نوحي به اليكم من التهيّب والتقدير. فتصوّروا أنكم ترون أشخاص مسرحيّتنا النبيلة كما

كانوا في أيام حياتهم. وتخيّلوا انكم تبصرونهم في صولة سلطتهم، وتأمّلوا في ما كانوا يفرضونه، ضمن محيطهم اللـلاهث، على اصحابهم العديدين من سطوتهم وعنفوانهم. ثم لاحظـوا كيـف يصطدم، باسرع من لمح البصر، هناؤهم وسرورهم بالحزن والأسى. واذا حافظتم مع ذلك على صفائكم حيال هذه التقلّبات المريرة، أوافق معكم ان الانسان يستطيع البكاء والنحيب حتى في ليالي عرسه.

الفصل الاول

المشهد الاول

في قاعة من قصر لندن

(يدخل من بابٍ دوق نورفولك، ومن باب آخر دوق بوكنْكهام ولورد آبركافيني).

بوكنكهام : نهارك سعيد. ما هذه الصدفة المباركة ؟ كيف أصبح حالك منذ تلاقينا في فرنسا ؟

نورفولك : الحمد لله. صحتي جيدة، وانا معجب بك باستمرار، لما أراك فيه من عافية.

بوكنكهام : لا يغربُ عن بالك ان الحمّى اضطرتني الى ملازمة غرفتي كأني سجين، عندما اجتمعتْ هذه الشموس الساطعة بهذين الكوكبين البشريّين في وادي أرْدر.

نورفولك : كنت أتنقّل بين مدينتَيْ غينيس وأرْدر في تلك الاثناء، فرأيتهما يحيّي احدهما الآخر وهما على ظهر الخيل. ثم شاهدتهما راجلين يسيران على العشب الاخضر. وما لبثا ان تعانقا طويلاً بلهفة حتى خلْتُهما شخصاً واحداً. واذا تمّ ذلك حقيقة، فماذا يحلّ بالعروش

الاربعة التي حافظت على توازنها في هذه المملكة الموحّدة ؟

بوكنكهام : كنت أنا ملازماً غرفتي طوال هذه المدة كالسجين.

نورفولك : اذاً فاتك مشهد تتمجّد به أراضينا. حتى ذلك الحين كان بوسعنا ان نصرّح بان الابهة الفرنسية كالفتاة البكر المدلّلة المقترنة بمن يفوقها رفعة ومقدرة. وفي كل نهار كانت تزداد تألقاً عمّا سبقه الى ان احتكرت في النهاية كل الامتيازات والبراعات مجتمعة. واليوم بات الفرنسيون يتقلّدون المجوهرات الذهبية كأنهم آلهة وثنية، ولم يعد للانكليز من مهابة، وما لبثوا ان ساووا بريطانيا العظمى بالهند، وأضحى كل منهم ينبري من مكانه كأنه لغم على وشك الانفجار. وبدت الملائكة كأنها أقزام متسربلة بحلل ذهبية. وكذلك السيدات اللواتي لم يألفن سوى اليسير من التعب كنّ يتصبّبن عرقاً تحت وقر زيناتهنّ المبالغة، وقد صبغ الجهد خدودهنّ باحمرار طبيعي. فتبيّن ان هذا التبرّج منقطع النظير وبدا في الليلة التالية كأنه لا ينطوي إلا على التصنّع والتفاهة. واذا بالعاهلين المتعادلين يخسران ويربحان حسب مظهرهما، وكان المديح يُوجَّه دائماً الى من تقع عليه انظار الجمهور، إلّا عندما يكون كلاهما حاضرَيْن، لم يكن يبرز إلا واحد منهما. ولم يجسر أحد من النقّاد على تحريك شفتيه للجهر بأية مقارنة بينهما. وفيما كان كل من هذين القمرين، كما يُدْعيان، يدفع رفيقه الى تأليب مجمل النبلاء على اخصامه، كان يقوم بانجازات لا

تصدّق حتى ان الأسطورة العجيبة أضحت واقعاً مألوفاً. ومنذ ذلك الحين، صدّقه الناس واعتبروه جباراً يثير الإعجاب والذهول.

بوكنكهام : ما بالك قد ذهبت هكذا بعيداً في سردك ؟

نورفولك : اني أبحث عن الكرامة والعزّة بين مباهج الشرف والجمال وسط هذه الأبّهة التي تدور عليها هذه الرواية المشوّقة وتعبّر عن أصدق وصف شمل هذه الأحداث برمّتها. فكل ما جرى كان ملكياً بكل معنى الكلمة. وليس هناك ما يناقض الترتيبات السامية، لأن النظام وضع كافّة الأمور في نصابها الحقيقي وفي أنسب الاحيان. فأفضت غالبيّة المواقف بأدقّ تفاصيلها إلى أفضل النتائج المرتقبة.

بوكنكهام : ومن دبّر وأدار كل هذا ؟ أعني من حقّق مجمل الانجازات وتفاصيلها في إقامة هذه الحفلة الرائعة ؟

نورفولك : ألا يمكنك ان تحزر ؟ هو بكل تأكيد شخص لم تظهر عليه المهارة والأهلية لعمل مماثل.

بوكنكهام : أرجوك يا مولاي، ان تفصح لي عن اسم هذا الشخص القدير.

نورفولك : الفضل كله في وضع هذه الترتيبات يعود الى كردينال يورك الكلّي الوقار.

بوكنكهام : لا شك في أن الأبالسة قد ساعدته. اذ ليس من قضية معقّدة لم تمتدّ اليها يده العابثة. وما الداعي الى تدخّله في هذه الأباطيل المستهجنة ؟ انا استغرب كيف تسنى لهذا الرجل البدين ان يحتكر لشخصه كل الاضواء ويحرم منها جميع منافسيه.

نورفولك : لا بد من الاعتراف، يا سيدي، بانه يملك مقدرة نادرة حتى أحرز كل هذا النجاح الباهر. وبما انه لا ينحدر من أجداد عريقي النسب ليمهّدوا له طريق التفوّق، ولا يتمتّع برضى الجالس على العرش ولا يحظى بمساندة حلفائه، تراه كالعنكبوت يستدرج اخصامه بحيله البارعة ويوقعهم في حبائل نسيجها الواهي ويشقّ طريقه بمهارته ووسائله الخاصة. هذه موهبة حبتْه إياها السماء، فأوصلته الى تبوّء المقام الاول لدى جلالة الملك.

آبركافيني : انا لا أدري بما منّت عليه الطبيعة من دهاء، وأترك أمر اكتشاف سرّه الى من هو أخبر مني. لكنني أجد ان العجرفة تسيطر على جميع مزاياه. فمن أين له هذا النفوذ الكاسح؟ طبعاً هو لا يستمدّه من الجحيم لأن الشيطان ليس كريماً الى هذا الحدّ. فهل اغتصب هذه المقدرة اغتصاباً من الأبالسة وكوّن لنفسه جحيماً جديداً خاصاً به ؟

بوكنكهام : انا أتساءل كيف استطاع خلال هذه الرحلة الى فرنسا ان يعيّن بدون علم الملك، من رافقوه في هذه الحملة وساندوه ؟ لأنه هو ذاته اختار اسماء مرافقيه من الوجهاء وانتقى بوجه عام جميع من شاء ان يكلّفهم بعبء ثقيل مقابل شرف زهيد، وبموجب رسالة بسيطة من قِبَله أملاها على مجلس المستشارين، ثم حمل كلًّا منهم على مغادرة مقرّه والإلتحاق به.

آبركافيني : انا اعرف ثلاثة على الأقلّ من اقربائي، انفقوا ثرواتهم

في سبيله وضحّوا بالكثير من راحتهم ورفاههم لخدمة مصالحه.

بوكنكهام : عديدون هم الذين أجهدوا أنفسهم وحملوا معهم أثمن ما في قصورهم للقيام بهذه الرحلة الفريدة. فماذا أفادتهم هذه التصرفات الحمقاء التي لم تسفر إلّا عن نتيجة تافهة ؟

نورفولك : انا على يقين بأن الحرب بيننا وبين الفرنسيين كلّفت اكثر بما لا يقاس مما تستحقّ.

بوكنكهام : كل انسان شعر بعد عبور هذه العاصفة الصاخبة بأنه منقاد. وبدون ابداء أي رأي سابق توقّع الجميع هبوب العاصفة التي طغت على مسيرة السلام وأوقعت القطيعة المفاجئة بين كافة الأطراف.

نورفولك : هكذا انفجر الوضع. لأن فرنسا لم تتقيّد بالمعاهدة، وصادرت جميع أرزاق تجّارنا في مرفأ بوردو.

آبركافيني : وهل لهذه الأسباب أُبعِد سفير فرنسا ؟

نورفولك : اجل، على ما أظن.

آبركافيني : كانت معاهدة السلام رائعة. لكنها كلّفت ثمناً باهظاً.

بوكنكهام : كل هذه المشكلة خلقها صاحبنا الكردينال المحترم.

نورفولك : لقد لاحظ الجميع ما نشب من خلاف بينك وبينه. وأنا الآن أسألك بصفتي أحد اصدقائك، متمنّياً لك حظاً سعيداً ومستقبلاً زاهراً، أن لا تنسى ما للكردينال من تسلّط وبطش وما يضمره من حقد حمله على الوصول دوماً الى أغراضه الدنيئة. وانت لا تجهل ما في طبيعته من حب السيطرة والإبتزاز. كما أعرف انا

جيداً ان سيفه طويل ومرهف الحدّين، ولا يتردّد في اشهاره ليغدر بكل من لا يعجبه من قريب أو بعيد. فأرجوك ان تعمل بالنصيحة التي أوجّهها اليك للحفاظ على سلامتك، وانت الآن أمام عقبة كأداء أوصيك بأن تتجنّبها.

(يدخل الكردينال ولْسي، ويقدّم له ختم الملك، ثم يرافقه حرّاس وأمينا السرّ بيدهما أوراق. عند مرورهما يوجّه الكردينال أنظاره الى بوكنكهام، وهذا الأخير يُلقي على الكردينال نظرة إزدراء).

ولسي : أين تقرير دوق بوكنكهام ؟

الأمين الأول : ها هوذا.

ولسي : هل صاحبه جاهز شخصياً ؟

الأمين الأول : أجل، يا سيدي، وهو ينتظر إشارتك.

ولسي : حسناً. سنطّلع على مزيد من التفاصيل، وسيخفف بوكنكهام من غلوائه.

(يخرج ولسي في موكبه).

بوكنكهام : كلب اللحّام دائماً متخوم وعضّته مؤذية. وانا لا سلطة لي كي أكمّ شدقه. فالأوْلى ان ندعه نائماً، ما دام السكوت عن السفيه يحقن الدم النبيل.

نورفولك : ما هذا ؟ أراك محتدّاً. أسأل الله ان يهدّئ روعك. فهذا أنجع دواء لعلّتك.

بوكنكهام : عيونه اوحت اليّ انه ينوي معاكستي. لأنه نظر إليّ شذراً باحتقار. كما لو كنت متّهما بشرّ الفساد، وأخشى ان يسدّد اليّ ضربة حاقدة. فقد ذهب لمقابلة الملك. لكني سأتبعه وأجعله يغضّ طرفه ندماً.

نورفولك : أرجوك ان تتريّث، يا مولاي، وان تغلّب عقلك على غضبك في ما تقدم على فعله. فالمرء، لكي يتسلّق المرتفعات المتعرّجة عليه ان يسير ببطء. لأن الغضب حصان حرون جامح، اذا تركتاه يمعن في هياجه، لا تلبث قواه ان تخور وتنهار. لا احد في انكلترا يجمل به ان يسدي اليّ النصح نظيرك. فتصرّف تجاه نفسك كما تتصرّف تجاهي أنا صديقك الودود.

بوكنكهام : اني ذاهب لمقابلة الملك. وفي سبيل نصرة الشرف الرفيع سأحطّم حماقة غبيّ أُنْسْويتْشْ هذا. وسأعلن أنّ لا تفاوت بين الرجال المتعادلين مثلنا.

نورفولك : ارجوك ان تفكّر مليّاً بالأمر. لا تتحْ لعدوّك ان يشعل ناراً قد تكويك انت شخصيّاً. اذ يمكننا ان نبلغ بسرعة جنونية ما نسعى اليه من هدف، ولكن غالباً ما نُخفق بسبب مضاعفة سرعتنا. ألا تعلم ان الجمر الذي يجعل المرق يغلي ويفور يدعه ايضاً يطفح ويندلق خارج القدر. ارجوك ان تفكّر مليّاً. واكرر عليك ان ليس في انكلترا من يستطيع ان ينصحك ويوجّهك افضل من نفسك، إذا شئت ان تطفئ او تخفّف وهج رغباتك المتأجّجة.

بوكنكهام : أشكرك، يا سيدي، وانا اقدّر تبصّرك، وأعدك بأن أتبع توجيهاتك. لكن هذا المغرور الوقح، وانا لا اتكلّم عنه هكذا بمرارة بل بتأثّر عميق، تدعمه المعلومات والبراهين الواضحة والشفافة كماء الساقية المترقرقة في شهر تموز، كما نراها ونتبيّن من خلال حبّات رمال

مجراها، قبائحه وفساده الوبيل لأنه في الحقيقة خائن ساقط.

نورفولك : اياك أن تنعته بالخيانة.

بوكنكهام : سأنقل ذلك للملك وسأدعم كلامي بحجج دامغة. فان هذا الثعلب المحتال، بل هذا الذئب المفترس، وهو يشتمل على قبائح كليهما، لأنه خبيث وشرس معاً، ولا يتورّع عن الإقدام على أحطّ التصرّفات، ما دامت نفسه الدنيئة لا تردعه عن ارتكاب الموبقات، ولا هدف له سوى الاستبداد بشؤون فرنسا كما يفعل ها هنا، وقد نصح مولانا الملك بإجراء هذه المقابلة، وتبنّي بنود معاهدة باهظة الثمن على الخزينة، ما لبثتْ ان تحطّمت نظير كأس ماء بعد غسله.

نورفولك : هذا صحيح.

بوكنكهام : اسمح لي، يا سيدي، ان أبوح لك بأن هذا الكردينال الموتور قد حشا الاتفاقية شروطاً تناسب مآربه، ولم يصادف اي عناء في حمل المسؤولين على تصديقها بتواقيعهم. وبالنتيجة جاءت هذه المعاهدة كعكّاز يساند جثة هامدة. المهمّ ان كردينالنا المعارض هو الذي حقّق هذه الاتفاقية، فأتت طبق مرامه. لأنها من صنع يدَيْ ولسي الوقور المعصوم عن الشطط والخطأ. والآن هاك تابع ما تمّ وهو نوع من شعوذات الساحر العجوز الأشمط مصدر كل خيانة. فالملك شارل، بحجة مشاهدة عمّته الملكة جاء ليتحدث الى ولسي على انفراد، وقام بزيارة هذه المكان، وهو يخاف ان يؤدّي اجتماع ملكَيْ انكلترا وفرنسا الى تحالف يضرّ

بمصالحه الشخصية. لأنه رأى في هذا الحلف خطراً يهدّده بفشل مكائده، فاتّصل سرّاً بكردينالنا. يسعني ان أؤكد لك انهما اتفقا معاً على ان يدفع الملك الأموال اللازمة بدون أن يؤمّن صاحبنا تسديدها، وعلى استجابة طلباته قبل معرفة تفاصيلها. فالطريق كان معبّداً ومفروشاً بالذهب، وقد ألحّ الملك على ولسي بأن يغيّر سياسة منافسه الملك لتبديد السلام المشار اليه. على الملك ان يعلم، وسيعلم حتماً بواسطتي، ان الكردينال يتاجر هكذا بشرف جلالته على هواه ولخدمة مآربه الخاصة.

نورفولك : يسوؤني ان اطّلع على ذلك، وأتمنّى أن تكون مخطئاً في ما تنقله عنه اليّ.

بوكنكهام : لا، لا. انا لست مخطئاً ابداً. بل أحكم على الشخص كما يبدو لي حقيقة.

(يدخل براندون وأمامه رجل أمن واثنان أو ثلاثة من الحرس).

براندون : ارجوك أن تنفّذ مهمتك، يا رجل الأمن.

رجل الأمن : سيدي دوق بوكنكهام كونت هيرفورد ونورْثمْتون، إني أُلقي القبض عليك بأمر مولانا الملك بتهمة الخيانة العظمى.

بوكنكهام (لنورفولك) : أتسمع ما يقوله هذا، يا مولاي ؟ ها قد أطبقت الشبكة عليّ، وأنا ضحية مؤامرة خسيسة.

براندون : يؤسفني ان أشاهد حرمانك من نعمة الحرية. فاحتجازك في سجن البرج العالي يبهج قلب جلالته.

بوكنكهام : لا فائدة من الاحتجاج ومن التمسّك ببراءتي، لأن بعض الظنون أُثيرت حولي وقلبتْ بياض صفحتي

سواداً حالكاً. فما عليّ إلا الخضوع لمشيئة الله في هذا المكروه كما في سواه. ها انا ازعن، يا مولاي آبركافيني، فالوداع.

براندون : كلّا. لا بدّ لي من مرافقتك. (لآبركافيني) كما قلت لك، لا تنسَ ان احتجازك في البرج يسرّ قلب الملك الى ان تطّلع على قراره النهائي في شأنك.

آبركافيني : كما قال الدوق، لتكن مشيئة الله. وها انا اخضع لإرادة الملك.

براندون : هذا امر صادر عن الملك لإلقاء القبض على لورد مونتاكيوت، وهذا بلاغ الى مرشد الدوق جون دي لاكار ينقله اليه مستشاره جلبرت باك.

بوكنكهام : ها، ها. هؤلاء هم المشتركون في المكيدة. أرجو أن يقف الأمر عند هذا الحدّ.

براندون : وبينهم راهب شارترو.

بوكنكهام : مَن ؟ نيكولاس هوبْكينْز ؟

براندون : هو بذاته.

بوكنكهام : وكيلي أصبح خائناً عندما عرض عليه الكردينال ذهبه الوهّاج، وقد مالت شمسي الى المغيب، ولم أعد سوى ظل شخصي انا بوكنكهام، وخيالي يوشك ان يتوارى خلف الغيمة التي حجبت نور شمسي بعد ان سطعت فيما مضى. الوداع، يا مولاي.

المشهد الثاني

في قاعة مجلس المستشارين.

(تُسمع موسيقى. يدخل الملك هنري والكردينال ولسي ولوردات مجلس المستشارين وسرّ توماس لوفال وضبّاط وحجّاب).

الملك هنري : أشكركم جزيل الشكر من اعماق قلبي على هذه الغيرة النادرة. كنت هدفاً لمؤامرة أوشكتْ ان تنفّذ، وأنا ممتنّ جداً لأنكم أوقفتم مفعولها. ليأتِ الى هنا وجيه آل بوكنكهام. لأني أودّ ان اسمع بأذني تثبيت إقراره وتكرار ما يبيّته لي من خيانات معلمه واحدة فواحدة.

(يجلس الملك على عرشه. ويأخذ لوردات مجلس المستشارين أماكنهم، ويجلس الكردينال الى يمين الملك).

(وتُسمع ضجّة في داخل المسرح. ويعلو صراخ : « أفسحوا الطريق للملكة ». تدخل الملكة والى جانبها دوق نورفولك ودوق سوفولك. تجثو على ركبتيها. ويقف الملك وينهضها ويعانقها ثم يجلسها بقربه).

الملكة كاترين : لا، عليّ ان أظلّ راكعة لأرفع توسّلاتي.

الملك هنري : إنهضي واجلسي الى جانبي. لا تعلني نصف طلبك، لأنك تمتلكين نصف سلطتي، والنصف الآخر أتنازل عنه لك قبل ان تطلبيه. هيا، أفصحي عن رغبتك.

الملكة كاترين : أشكر جلالتك، وأرجو ان لا تهمل الاهتمام بشخصك، وأثناء اهتمامك بنفسك أن لا تنسى كرامتك الملكية. هذا كل ما أرجوه من جلالتك.

الملك هنري : أكملي حديثك، يا سيدتي.

الملكة كاترين : لقد اتصل بي العديد من الأصحاب والنبلاء الذين يشكون من ان رعاياك باتوا ضحية إساءات لا تُحصى. وقد جاءت لجان تمثّلهم لتأكيد ولائهم... ومهما كان هذا الموضوع شائكاً، أرجوك ان تعلم، ايها الكردينال الطيب القلب انهم يوجّهون اليك أمرّ اللوم لكونك انت الذي أثرت القلاقل والمشاكل بحق مولانا الملك. فأنا أسأل السماء ان تحفظ عزّته من كل شائبة. لأنه هو أيضاً لم يسلَم من بعض الامتعاض وقلّة الاحترام بصورة مفضوحة كادت تنقلب عليه تمرداً مكشوفاً.

نورفولك : لا تقولي أوشكت بل باتت ثورة وقحة. لأن أصحاب معامل النسيج بصورة خاصة، تحت وطأة الضرائب الباهظة لم يعد في وسعهم دفع اجور عمالهم فصرفوا الحائكين وبعض العمال الآخرين. وبما ان هؤلاء الرجال لا يحسنون صناعةً غير هذه اضطرّهم الجوع بسبب نقص مواردهم الى التخلّص من الازمة الخانقة في محاولة يائسة لم تَحُل دون تورّطهم في مشاغبات خطرة على جميع الأصعدة.

الملك هنري : هل ذكرت الضرائب ؟ لكن أوضح لي أيّ نوع منها ؟ ما هي هذه الضرائب بالضبط ؟ أرى أن الملامة تطالني كما تقع عليك مباشرة انت أيضاً، يا سيدي الكردينال. فهل انت على علم بتفاصيلها ؟

ولسي : أرجوك أن تتمهّل، يا صاحب الجلالة. أنا لا أعرف سوى ما هو من اختصاصي في شوؤن الدولة. وليس

لي في هذه القضية إلّا رتبتي. فكثيرون غيري هم مسؤولون مثلي عما جرى.

الملكة كاترين : في الواقع، يا مولاي، انت لا تدري بحقيقة الأمور اكثر من سواك. لكنك اساس كل هذه المشاكل التي يعرف الجميع انها تضرّ بمصالح أغلب الناس الذين يتمنّون ان لا تكون قد حَصَلَتْ، وهم مطّلعون عليها بطبيعة الحال. أمّا المسائل التي يطلب صاحب الجلالة ان يقف عليها، فان مجرّد الادلاء بها مؤلم ومنهك. فمن يجسر على تحمّل مسؤوليّتها لا بدّ له من ان ينحني ظهره تحت وقر أعبائها. يُقال انها من تدبيرك انت. وان لم يكن الامر صحيحاً فانت تتحمل القسم الاكبر من المسؤولية والملامة بسبب وقوعها.

الملك هنري : هناك مشاكل أخرى. فما هو نوعها ؟ أصدقوني، ما هي هذه القضايا ؟

الملكة كاترين : اعذرني إن تجرأت على ازعاجك واستنفاذ صبرك. لكني طامعة بعفوك. إن اساس القضية التي اثارت تذمّر رعاياك هي تشكيل اللجان التي فرضت على كل انسان دفع سدس ثروته على ان يسدده فوراً بدون إمهال. والداعي الى جباية هذه الضريبة هو محاربتك فرنسا وما تتطلّبه من اكلاف مرهقة. لذا انطلقت الهمسات ثم الاعتراضات الصاخبة، وقد أطلقت ألوف الألسنة أحطّ التنديدات والإهانات العلنية وجرّدت القلوب من محبتها ووفائها. فمن كان يرفع الدعاء الحارّ في الماضي راح يقذف أشنع اللعنات. وبالنتيجة اضحى الجميع يتصرّفون بما تمليه عليهم مصالحهم

الشخصية رافضين التقيّد بالقانون، منساقين وراء نزواتهم الغاضبة. أرجو من سموّك ان تهتمّ سريعاً بهذه المشكلة التي اصبحت في طليعة المستلزمات.

الملك هنري: أقسم بحياتي ان هذا مغاير تماماً لما أتمناه.

ولسي : انا لست مسؤولاً عن كل هذا، لأني لم أوافق عليه إطلاقاً، ولم أسمح إلّا بما أوصى به مجلس القضاة المتّزنين. فاذا اتهمني بعض الجهلة المغرضين بدون ان يعرفوا مدى صلاحياتي ومزايا شخصيتي، ويدّعون ان لي ضلعاً في هذه الاضطرابات، إسمح لي يا مولاي بأن أصارحك بأن على من يمسك بزمام الحكم تقع مسؤولية إجراء الاصلاح المرغوب. فلا بدّ اذاً من عمل حازم لمواجهة هذا التمرّد الذي يشبه سرباً من السمك الجائع يهاجم سفينة كاملة المؤن والتجهيزات، ولكن بدون ان يُشبع منها شهوته الجامحة. كثيراً ما نرسل انتقادات هزيلة وأحياناً سخيفة كما بيّنته الاحداث. وكم وكم ظننّا ان ما بدر منا من تقصير هو أفضل ما قمنا به من المساعي. واذا شئنا ان نقوم بعمل مُجْدٍ، لا نقبل بأن يكون موضوع انتقاد حادّ وسخرية لاذعة. يجب علينا ان نتشبث بما عزمنا على الالتزام به وعلى اعتباره كسند لمقوّمات الدولة.

الملك هنري: الانجازات الخيّرة والمتقنة هي دوماً في منأى عن الاخطار. امّا التي تتمّ بدون سابق إعداد فهي عرضة لأخطار كثيرة. وهل لديك ضريبة اخرى تفضي الى الغاية المنشودة ؟ لا اظنّ. علينا اذاً ان لا نحمل

رعايانا على معارضة مشيئتنا. لأن دفع سدس كل تروة هو مساهمة تجعل الجميع يتهرّبون من تأديتها لكونها تنتزع من الشجرة اغصانها الحيّة وتسلخ عنها قشرتها الواقية. وإن تركنا الجذور سليمة، فالهواء حين تتعرّى الأغصان يجفف نسغها. لا بد من توصية مسؤولِ كل مقاطعة تقوم بجباية هذه الضريبة، بأن يسامح باسمي من قاوم وعارض تلبية هذا الطلب. أرجوك ان تسهر على تطبيق رغبتي الملكية.

ولسي : (بصوت خافت لأمين السرّ) : لي كلمة أخرى أقولها. لا بد من إرسال تحارير إلى مسؤول كل مقاطعة تعلن تساهل الملك في هذا الموضوع الهامّ. فالأشخاص المقصّرون كوّنوا عني فكرة غير مرضية. وليعلم الجميع ايضاً ان فرض هذه الضريبة والغاءها ثم عفو الملك، كلها قرارات ناجمة عن سعيي الشخصي. وسأوافيكم قريباً بأنباء جديدة في هذا الشأن.

(يخرج امين السرّ). (يدخل وكيل دوق بوكنكهام).

الملكة كاترين : أنا مستاءة من تدخّل دوق بوكنكهام بمعارضة رغبتك.

الملك هنري : كثيرون أحزنهم هذا الأمر. انه وجيه طلق اللسان ورجل مُتّزن لا يضاهيه أحد، لأن أوسع الأساتذة علماً يستنيرون بمعارفه بدون ان يحتاج الى الاستعانة بمعلومات غيره. لكن عندما نرى جميع هذه التوجيهات لا تمتّ بصلة الى مبادئ الصدق والرصانة، نجدها تنقلب الى أحطّ الرذائل التي تطغى

على كل صالح ومفيد. ان هذا الشخص الوافر الصفات الذي ارتفع الى مصاف العباقرة والذي سحر الالباب بحديثه الطليّ الى حدّ جعل سامعه يظن ان الساعة بقربه تمرّ كأنها دقيقة واحدة، هو، يا سيدتي، من حمل العديدين على التمرّد بمجرّد فصاحته وبلاغته، فأصبحت صفحته البيضاء حالكة السواد، كأنه آتٍ من أعماق الجحيم. إجلسي الى جانبي لتسمعي ما يُنسب اليه من مساوئ على لسان هذا الرجل الذي كان يحظى بثقته الغالية ويروي عنه ما يندى له الجبين خجلاً. أطلبي منه ان يكرّر ما قد فضحه من مكائده التي سننجو من حبائلها لأن أمرها بات مكشوفاً.

ولسي : (للوكيل) : تقدّم نحوي وأفدني بشجاعة عما فهمته من دوق بوكنكهام في هذا الموضوع بصفتك أحد أنصاري المخلصين.

الملك هنري : تكلّم بحرّيّة.

الوكيل : كان من عادته ان يقول، وهو يتحدّث كل يوم بكلام مسموم، ان الملك اذا مات بدون وريث سيدبّر امر انتقال الصولجان الى يده هو. وقد سمعته يردّد هذا الكلام عينه لصهره لورد آبركافيني الذي أكّد له انه سينتقم من الكردينال.

ولسي : ارجو سموّك ان تتفضّل وتلاحظ هنا مدى عداء مساعيه. فبعد أن طغت أطماعه على ارادته أضحى يضمر الغدر لجلالتك ويتهدّد أصدقاءك من بعدك.

الملكة كاترين : يا سيدي الكردينال، ارجوك ان تفسّر كل هذا بوضوح وحسن نيّة.

الملك هنري : تكلّم. ماذا دعاك الى حصر رغبته في انتزاع التاج بعد سقوط ملكيّتي ؟ هل سمعته يشرح الامر من هذا المنطلق ؟

الوكيل : لقد استند الى نبوءة مهووسة أذاعها نيكولاس هوبْكينْز.

الملك هنري : ومن هو هوبْكينز هذا ؟

الوكيل : هو أخ من رهبنة شارتْرو، كان يحشو رأسه دائما بالأوهام ويعده بإجلاسه على العرش.

الملك هنري : وكيف علمت أنت بالأمر ؟

الوكيل : قبل ذهاب جلالتك الى فرنسا بوقت وجيز، كان الدوق في قصر الوَرْد قرب معبد سان لوران بولْتْني فسألني عمّا يقال في لندن عن السفر الى فرنسا. فأجبته ان هناك خشية من خطر عداء الفرنسيين للملك هنا. فأجاب الدوق حالاً ان هذا الخوف في محله وأنه سمع أحد الرهبان يتحدّث في هذا المعنى. وأضاف قائلاً : ان هذا الراهب غالباً ما أرسلني الى المرشد جون دي لا كار لأتلقى منه وعوداً وعهوداً تتعلّق بأمانته ووفائه. فأقسم هذا علناً ان لا يبوح بحرفٍ لأيٍّ كان، ما عدا الملك. وهذه هي الكلمات عينها التي فاه بها : « لن أفسح للملك ولا لذرّيته مجال ازدهار شؤونهم. ارجو ان تؤكّد ذلك للدوق وأن تحمله على كسب مودة الجميع هناك، لأن الدوق هو الذي سيحكم انكلترا. »

الملكة كاترين : ان لم تخنّي ذاكرتي، انت كنت وكيل الدوق. وقد فقدت وظيفتك هذه على اثر شكاوى قدّمها اعوانه.

فاحذر من أن تتّهم شخصاً نبيلاً، فتكون أنت الخاسر الأكبر، أيها الرجل الكريم. اكرّر عليك رجائي ان تكون دائماً على حذر من هذا القبيل.

الملك هنري : دعه يكمل حديثه. تفضل وتابع كلامك.

الوكيل : بذمّتي، لن أنطق بسوى الحقيقة. سأعلن لمولاي الدوق أنّ أمل الراهب سيخيب بالنسبة الى ما يزيّنه له شيطان طمعه، وأنّ الخطر يكمن في ما يحلم به بخصوص ما جرى، وأنّ عليه ان يخاف رسم الخطط الجهنمية في باطنه وأن يتجنّب تنفيذها. وقد أجاب هذا الراهب : « أظن ان هذا لن يعود عليّ بأيّ ضرر ». ثم أضاف، « ان الملك قد نفض يديه من كل رجاء في الشفاء من مرضه الوبيل، وان رأس كل من الكردينال وسرْ توماس لوفال سيتدحرج الى الحضيض ».

الملك هنري : ما هذا التشبث وهذا الإصرار ؟ أرى بوضوح أن هذا الماكر دجّال خطر. هل لديك المزيد من تعداد قبائحه.

الوكيل : اجل، يا مولاي.

الملك هنري : تابع اذاً كلامك.

الوكيل : ذات يوم عندما كنت، يا صاحب الجلالة، في كرينْويْتش ووبّخت سرْ وليم بلومر...

الملك هنري : أتذكر جيداً هذه المناسبة. ومع أنه كان موالياً لي، نقله الدوق الى خدمته. تابع قولك. ماذا جرى بعدئذٍ ؟

الوكيل : صرخ الدوق : لو أُرْسلتُ بسبب ذلك الى البرج كما

توقعت، لكنت قمت بما فعله والدي حيال المغتصب ريتشرد يوم زرت سالْزبري، حين طلب المثول امام ريتشرد. فلو لبّى دعوته لبدا عليه كأنه قدّم احترامه ولغافله وسدّد اليه بسكينه طعنة نجلاء أودت بحياته.

الملك هنري : تبًّا له من خائن ساقط.

الوكيل : (للملكة) : هل يكون جلالته في مأمن، يا سيدتي، عندما يظل هذا الثعلب حرّاً طليقاً خارج السجن ؟

الملكة كاترين : الله يلطف بعباده.

الملك هنري : يبدو ان لديك ما تصرّح لنا به. فأرجوك أن تواصل كلامك.

الوكيل : بعد ان تحدّثْ عن ابيه الدوق وعن سكّينه، انتصب واقفاً ووضع يمينه على قبضة خنجره ودق بيسراه على صدره ورفع عينيه الى فوق، ثم صدرت عنه صيحة مدوّية وأقسم انه اذا أسيئت معاملته سيفوق والده عنفاً وشراسةً بما لا يقاس، ويعمد الى إظهار الفرق الشاسع بين الإقدام على تنفيذ الوعيد وضعف الارادة والميوعة.

الملك هنري : ها هوذا استنتاجه : كان ينوي ان يغمد خنجره في قلبي. لكنه اعتُقِل، وستجري محاكمته فوراً. فاذا شاء ان يطلب ما يجوز له من العفو قد يناله. وإلّا عليه ان لا يأمل بأية بادرة من قبلي في هذا الموضوع. وهكذا سيظل خائنا يستحق أقصى العقوبة.

(يخرجان).

المشهد الثالث

في داخل القصر.

(يدخل لورد شمبلّان ولورد سانْدْز).

لورد شمبلان : هل يتمكّن سحر فرنسا من زجّ جماهير الناس في أعمال هكذا مريبة؟

ساندز : الازياء الجديدة، مهما كانت سخيفة وغير لائقة، لا يمتنع الانسان عن تفضيلها.

لورد شمبلان : على ما ألاحظ، ان كل ما جناه الانكليز من فوائد اثناء آخر رحلة قاموا بها الى فرنسا، ينحصر في مهزلة أو مهزلتين. غير ان ذلك هو منتهى السخف، إذ لا يلبث المتفحّص ان يؤكّد ان انفهم قد عبق بما فاح من أعمال بيبان وكلوتار من رائحة حب العظمة والجلال.

ساندز : كلهم أضحوا مجهّزين بأرجل عرجاء، يظنها من لم يبصرهم يمشون من قبل، أنهم خُلقوا على هذه العاهة المتفشّية بكثرة فيما بينهم.

لورد شمبلان : من جهة أخرى أؤكّد لك أيضاً، يا مولاي، ان ملابسهم غريبة الزيّ الى حد جعلتهم يبدون منحرفي الذوق.

(يدخل سِرْ توماس لوفال).

والآن ما وراءك من الاخبار، يا سِرْ توماس لوفال ؟

لوفال : ليس لدي أي نبأ، يا مولاي، سوى البيان الجديد الذي أُلصِق على باب البلاط الملكي.

لوفال : وما مفاده ؟

لوفال : إصلاح حال مسافرينا الظرفاء الذين يملأون الدنيا بمشاداتهم وكلامهم البذيء اثناء مهاتراتهم.

لورد شمبلان : لا أخالفك بذلك. والآن أرجو من هؤلاء السادة ان يوافقوا على أن لا احد من حاشية ملك انكلترا يمكنه أن يكون صاحب ذوق سليم إلا اذا شاهد قصر اللوفر في باريس.

لوفال : لا بدّ لهم الآن، وهذا من جملة نصوص البيان المذكور، من ان يلقوا الى سلّة المهملات بكل الريشات التي تزيّن قبعاتهم مع أنهم جلبوها من فرنسا، وكذلك الإقلاع عن جميع العادات الحقيرة التي اكتسبوها هناك، نظير المبارزات والالعاب النارية. وعليهم ايضاً ان يكفّوا عن إهانة من يفوقونهم قدراً ومكانة، وهم يتشامخون بسبب ما جمعوه من معارفهم الغربية التافهة. كما ان عليهم ان يقلعوا كليّاً عن ممارساتهم الخاصة ويستبدلوا ملابسهم الشاذة، وان يعودوا الى مواقفهم القديمة الشريفة التي تمسّكوا بها فيما مضى. وهنا أفترض ان عليهم كذلك أن يُقلعوا عن تصرفاتهم المستهترة ومجونهم وعربداتهم، كي يتوقف منتقدوهم عن الهزء والاستخفاف بهم.

ساندز : اجل، حان الوقت لفرض العلاج الذي يفتقرون اليه، لأن مرضهم بات سهل الانتقال بالعدوى الى سواهم من الأصحّاء.

لورد شمبلان : كم ستكون خسارة سيداتنا كبيرة بحرمانهن من خزعبلاتهم السخيفة ؟

لوفال : نعم، سيسببون لهنّ الكثير من الأحزان هكذا، يا

مولاي. لأن لأولاد الحرام هؤلاء أساليب خاصة في استمالة السيدات وإغرائهن بسحر أنغام اغنية فرنسية ونبرات الكمان الشجية التي لا تضاهيها أية وسيلة من وسائل الطرب.

ساندز : لتحمل الشياطين كمانهم وانغامهم الى الجحيم. سأكون سعيداً للغاية بدون شك حين يرحلون. إذ لم يبقَ هناك من أداة لردعهم عن غيّهم. والآن أراني انا القروي البسيط الشريف، بعد أن أُقصيتُ ردحاً من الزمان عن وطني، قادراً على العودة اليه بأغنية متواضعة ساخرة وعلى استرعاء الانتباه مدة ساعة من الزمان، فيعتبرني السامعون موسيقيّاً مقبولاً.

لورد شمبلان : ليس أروع من ذلك،يا لورد ساندز. لأن نموذجك لم يتعثّر ولم يسقط بعد.

ساندز : كلا، يا مولاي. لن يسقط ما دامت جذور الشجرة المكسورة لا تزال صامدة في أعماق الأرض.

لورد شمبلان : الى أين أنت ذاهب، يا سرْ توماس ؟

لوفال : الى مقرّ الكردينال حيث دعيت انت ايضاً، يا صاحب السموّ.

لورد شمبلان : هذا صحيح. فانه يقيم حفلة عشاء فخمة هذا المساء لمجموعة من اللوردات والسيدات. وأؤكّد لك ان كافة حسان البلاط سيحضرون بدون استثناء.

لوفال : رجل الدين هذا رحب الصدر وكريم الكف نظير الأرض التي نعيش من خيراتها، فضلاً عن ان سخاءه يشمل الجميع.

لورد شمبلان : بدون شك، هو آية في الكرم، ولا بدّ من ان يكون

المرء عاقّاً حتى ينكر أفضاله الوافرة.

ساندز : ربما كان سخياً، يا مولاي. غير أنه يتّصف أيضاً بتقتير أقبح من وقوعه في الهرطقة. وها هي تصرفاته خير برهان على ذلك.

لورد شمبلان : هذا صحيح. لكن قليلين هم الذين يوزّعون إحساناتهم نظيره. مركبتي تنتظرني خارجاً فأرجو من سيادتك ان ترافقني في جولتي... تفضّل اذاً، يا سرْ توماس. وإلّا تأخرنا في الوصول، وهذا ما اودّ ان اتجنبه. لأني وسرْ هنري كيلْفور قد عُيِّنّا كمناظرين في هذه السهرة الحافلة.

ساندز : انا رهن إشارتك، يا مولاي.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في القاعة الكبرى من قصر يورك.

(يُسمع صوت مزمار. هناك مائدة صغيرة تحت مظلّة من القماش تخيّم على الكردينال، ثم مائدة اكبر منها للمدعوين. تدخل آن بولان من باب، يرافقها بعض اللوردات والسيدات وحسناوات من الطبقة العليا، وجميعهم مدعوّون. ومن باب آخر يدخل سرْ هنري كيلْفوْرد).

كيلفورد : اهلاً بكن، يا سيداتي. أنقل إليكنّ جميعاً تحيات صاحب الغبطة. فالكردينال قد خصّص هذه الحفلة لأصحاب الذوق الرفيع أمثالكم. آمل ان لا يكون احد منكم، ايها الحفل الكريم، قد جلب همومه معه الى هنا. لأن

صاحب الغبطة يتمنى لكم أسعد الاوقات في هذا الاجتماع البهيج. وها هيذا الخمرة المعتّقة ستفرح قلوبكم السمحة.

(يدخل لورد شمبلّان ولورد ساندز وسرْ توماس لوفال).

أراك قد تأخرت قليلاً، يا مولاي. أرحّب بك في هذه المناسبة السعيدة وأرجو ان تشاركنا افراحنا.

لورد شميلان : انت لا تزال في شرخ الشباب، يا سرْ هنري كيلفورد.

ساندز : يا سرْ توماس لوفال، لو كان للكردينال نصف افكاري العلمانية لكانت اغلبية هؤلاء السيدات، قبل ان يسترحن، تناولن الغذاء الماجن الذي يعجبهن، على ما اعتقد، اكثر من سائر الأطعمة اللذيذة. لعمري، هذه سهرة مستساغة تهيمن عليها فتنة الغواني.

لوفال : ليتك، يا مولاي، كنت مرشد واحدة او اثنتين منهنّ.

ساندز : لا أحبُّ لديّ من هذه الأمنية. وستنال كل صبيّة ما تستحقّه على هفواتها من الغفران المُريح.

لوفال : تقول المُريح، وكيف يتم ذلك ؟

ساندز : اجل، المريح نظير أنعم فراش من الريش تتمرغ عليه راضيةً.

لورد شمبلان : تفضّلي بالجلوس هنا، يا سيدتي الجميلة. وأنت، يا سرْ هنري، تفضّل بالمجيء الى هذه الناحية، وأنا اتكفّل بتسلية رجل نظيرك. إن سموّه لن يلبث ان يصل... لا، عليكم ان لا تتجمّدوا في هذه البقعة. لأن وجود امرأتين الواحدة الى جانب الأخرى يوحي

بالبرود. مولاي ساندز، عليك ان تلهيهما، ولذلك أرجوك أن تجلس بينهما.

ساندز : كما تشاء، يا صاحب السيادة. انا لك من الشاكرين. من فضلكما ايتها السيداتن اللطيفتان. (يجلس بين آن بولان وسيدة أخرى) اذا صدر عني بعض كلام لا يرضي، أرجوكما ان تسامحاني، فقد ورثت هذه العادة عن أبي.

آن : هل كان مهووساً، يا سيدي ؟

ساندز : اجل، كان شديد الهوس والنزق والهيام أيضاً. لكنه لم يكن يضايق اي مخلوق. كان على شاكلتي تماماً في مثل هذه اللحظة، وأنا أغدق عليكما عشرين قبلة دفعة واحدة. (يعانق احداهما).

لورد شمبلان : هذا عظيم، يا مولاي. اعتقد بأنك جالس في وضع ليس أحلى منه. يتحتّم عليكم، يا سادتي، ان تكفّروا عن تقصيركم اذا تركتم هؤلاء الحسناوات يذهبن من هنا غير راضيات.

ساندز : ها انا على اتم الاستعداد لتأدية ما يتوجب عليّ من الظرف والكياسة.

(يُسمع صوت مزمار. يدخل الكردينال ولسي مع حاشيته ويجلس في مكانه تحت المظلّة).

ولسي : اهلاً بكم جميعاً، يا ضيوفي الاحباء. كل سيّدة أو وجيه لا يتمتّع ببهجة هذا الاجتماع، لا يكون حقّاً من أصدقائي. ولأبرهن لكم عن كرم ضيافتي، ها انا أشرب نخبكم جميعاً. (يشرب).

ساندز : أنت أسخى المضيفين، يا صاحب الفضل. ارجوكم ان تناولوني كأساً تتّسع لمقدار ما أودّ أن أشكركم على تلبية دعوتي، ويغنيني عن كثرة الكلام في هذا الباب.

ولسي : لا بد من أن تتورّد خدود الجميلات وتصطبغ بحمرة الانوثة فيتحدثن بقدر ما نلوذ نحن بالصمت لسماع رخامة صوتهنّ.

آن : انت في الحقيقة زميل طروب، يا سيدي ساندز.

ساندز : عندما ينسجم مزاجي وما أشتهيه من الأنس فإني أصِل حتماً الى مرادي...

آن : وهل لي ان اقف على ما يرضيك، يا مولاي ؟

ساندز (للكردينال) : ألم أقل لسيادتك، ان هاتين اللؤلؤتين سرعان ما تكشفان عن رغباتهما.

(يقرع الطبل وتنفخ الابواق في مؤخرة خشبة المسرح، ثم تسمع طلقات مدفع).

ولسي : ما هذا ؟

لورد شمبلان : ليذهب أحدكم ويطّلع على ما يجري ويخبرنا

(يخرج أحد الخدم).

ولسي : ما هذه الضجة الصاخبة، وما معناها، لا، لا، أيتها السيدتان، لا تخافا أبداً. فكل قوانين الحرب تحميكما من أي أذى.

(يرجع الخادم).

لورد شمبلان : ما الأمر، يا هذا ؟

الخادم : فريق اجنبي على ما يظهر، نزل من مركبه الى

الشاطئ، واتّجه الى هذا المكان. يبدو انه مؤلف من سفراء وأمراء وأغراب.

ولسي : حسناً. إذهب يا لورد شمبلان واستقبلهم كما يليق بهم. ولأنك تجيد اللغة الفرنسية، أرجوك أن تحسن وفادتهم كنبلاء، وأن تأتي بهم إلينا كي يتسنى لهذا الجمع اللطيف ان يشرق وتتلألأ انواره اثناء وجوده في ضيافتي. وليرافقْه احد منكم في هذه المهمة الظريفة. (يخرج شمبلان ومعه حاشيته. يقف جميع المدعوين، وتُرفع الموائد من امكنتها). ها هي مأدبتكم قد توقّفت قليلاً. غير أني سأعوّض لكم عنها بأحسن منها. أتمنى لكل فرد منكم أطيب الاوقات وتفضّلوا بقبول فائق ترحيبي... أهلاً بكم جميعاً.

(يُسمع صوت مزمار. يدخل الملك برفقة عشرة من اللوردات وهم مقنّعون ومتنكّرون بهيئة رعاة، وبصحبتهم عدد من حملة المشاعل المضاءة، يتقدمهم لورد شمبلان. ثم يتّجهون رأساً نحو الكردينال ويلقون عليه تحية إكبار وإجلال).

أيها الجمع الكريم، ماذا تريدون مني ؟

لورد شمبلان : بما أنهم لا يتكلمون الانكليزية، كلّفوني بأن أقول لسموك انهم عندما علموا بإلتئام هذا الجمع النبيل الظريف هنا هذا المساء، لم يسعهم إلّا أن يأتوا لتقديم احترامهم وإبداء إعجابهم بهذا الحُسْن الرائع. فتركوا قطعانهم وجاؤوا ليتفيّأوا بظلال كرمك وبهاء هؤلاء السيدات الفاتنات ويقضوا ساعة من الوقت في كنفك ويعجبوا بهذا الجمال المتألّق.

ولسي : قل لهم، يا مولاي لورد شمبلّان، أنهم أسبغوا شرفاً فائقاً على منزلي المتواضع. وأنا أشكرهم شكراً جزيلًا على تكرّمهم بحضورهم راجياً أن تكون لياقة استقبالي اياهم عند حسن ظنّهم.

(يختار الرجال السيدات للرقص. ويختار الملك آن بولان).

الملك هنري : هذه ألطف يد لمستها في حياتي بين كل سيدات المجتمع الراقي، وأسمى سيدة تليق برفعة مقامي. وها أنا أنحني أمام روعة جمالك تقديراً وأخصك بما تستحقين من حب واكرام.

لورد شمبلان : هذا خير ما يناسب الحال، يا مولاي.

(يقترب لورد شمبلان من الاشخاص المقنّعين ويخاطبهم، ثم يعود الى مكانه).

ولسي : ماذا يقول هؤلاء الضيوف الكرام ؟

لورد شمبلان : يعترفون جميعاً بعلوّ مقامك ونبل شخصيتك، وهم يودّون ان تجاملهم، يا صاحب الجلالة، قبل ان يتخذ كل منهم مكانه.

ولسي : ها أنذا ألبّي رغبتهم. (يغادر مقعده تحت المظلّة) إني أستأذنكم، أيها السادة الكرام. هنا عليّ أن أهتدي الى مليكي المفدّى.

الملك هنري (يكشف قناعه) : ها قد وجدته، أيها الكردينال. ما أروع هذه الصحبة الرائعة. انت سليم الذوق، يا مولاي. فمع كونك رجل دين تحظى أيضاً بحسن التصرّف، وإلّا ما كنت ترفّعت الى مرتبة الكردينالية، ولكنت انا كوّنت عنك فكرة تناقض ما تتمتع به من الاعتبار والوقار.

ولسي : هذا شرف كبير لي أن تشملني جلالتك بتقديرك الغالي.

الملك هنري : مولاي لورد شمبلان، أرجوك ان تأتي الى هنا. من هي هذه السيدة الحسناء ؟

لورد شمبلان : هي ابنة سرْ توماس بولان فيكونت روشفور وفي الوقت ذاته احدى وصيفات سموّ الملكة.

الملك هنري : بحق السماء، هي آية في الجمال الجذّاب. يا مولاتي البهيّة، كم أودّ أن أراقصك وان أعانقك (يقبّلها). لنشرب جميعنا نخب هذه النجمة المتلألئة.

ولسي : يا سرْ توماس لوفال، هل المائدة جاهزة في الجناح الخاصّ بجلالته ؟

لوفال : نعم، يا مولاي.

ولسي (للملك) : أخشى ان تضايقك شدّة الحرارة من جرّاء الرقص، يا مولاي.

الملك هنري : ربما اكثر من المعتاد.

ولسي : الجوّ في الغرفة المجاورة أرطب من هنا، يا مولاي.

الملك هنري : ليذهب كلٌّ منكم بصحبة رفيقته. (لآن) وأنت أيتها الغادة الفاتنة لا أودّ أن أتركك وحيدة. ارجوك ان تتمتّعي برفقتي. يا صاحب الغبطة سيادة الكردينال، عليّ أن أتناول عدداً من الكؤوس نخب هؤلاء السيدات الجميلات، وأن أراقصهنّ بعض الوقت. بعدئذ أفكّر بمن يسعدها الحظ وأختارها دون سواها. هيّا، لتصدح الموسيقى.

(يخرجون).

الفصل الثاني

المشهد الأول

في أحد الشوارع

(يلتقي وجيهان).

الوجيه الاول : أين أنت ذاهب بمثل هذه العجلة؟

الوجيه الثاني : حفظك الله، يا سيدي. أنا ذاهب الى قاعة المحكمة لأرى ماذا سيحلّ بدوق بوكنكهام.

الوجيه الاول : سأوفّر عليك هذا العناء، يا سيدي. فالأمر قد قُضي، وما بقي سوى مراسم اعادة المحكوم الى سجنه.

الوجيه الثاني : هل كنت هناك ؟

الوجيه الاول : نعم.

الوجيه الثاني : ارجوك ان تخبرني بما جرى.

الوجيه الاول : من السهل ان تتوقّع ذلك.

الوجيه الثاني : هل ثبت الجرم عليه ؟

الوجيه الاول : اجل، وقد صدر الحكم بإدانته.

الوجيه الثاني : ساءتني هذه الخاتمة.

الوجيه الاول : كما هو لسان حال الكثيرين.

الوجيه الثاني : ارجوك ان تعلمني مفصّلاً كيف تمّ الأمر.

الوجيه الاول : سأروي لك ذلك بكلمات وجيزة. تقدّم الدوق النبيل الى قوس المحكمة وواجه جميع التهم الموجّهة اليه بالنفي، وتمسّك ببراءته، وأدلى بعدة براهين قاطعة للتخلّص من إدانته حسب القانون. لكن محامي الملك قام بالمقابل بتأكيد الشهادات والإثباتات والإعترافات المختلفة التي صرّح بها الشهود. فواجهها الدوق بالإنكار وأصرّ على ردّها بإلحاح. غير ان الوكيل العام عارضه وفعل مثله سرْ كيلبرْت باك ومستشاره المرشد جون كار ثم الراهب الخبيث هونْكينْز، وهذا الاخير في الحقيقة هو اصل كل البلاء.

الوجيه الثاني : هذا الذي كان يغدق عليه تنبّؤاته المشؤومة؟

الوجيه الاول : هو بذاته. وجميع هؤلاء اكّدوا بإصرار إتهاماتهم. فحاول عبثاً ان يتنصّل منها. وتجاه كل هذه الشهادات التي تدينه، ما كان من المحَلَّفين إلّا أن أعلنوا أنه مجرم وألْصقوا به تهمة الخيانة العظمى. فتكلّم مطوّلاً في الدفاع عن نفسه ببراعة لإنقاذ حياته. لكن كل جهوده لم تفلح في استدرار العطف عليه، فصدر الحكم بقطع رأسه.

الوجيه الثاني : وكيف تصرف حينئذ ؟

الوجيه الاول : عندما أُعيد الى قفص الإتّهام ليسمع نص الحكم بإعدامه، اجتاحته موجة من الاضطراب والحزن وتصبّب العرق من جبينه، وتلفّظ ببضع كلمات غضب مقتضبة جافة، ثم ثاب الى رشده وهدأت ثورة يأسه وأبدى كثيراً من الازعان والانصياع.

الوجيه الثاني : لا أظنه يخاف الموت.

الوجيه الاول: طبعاً لا. لأنه لم يكن جباناً في يوم من الأيام. غير أن وقائع تورّطه وسقوطه قد أثّرت عليه كثيراً.

الوجيه الثاني: سبب كل هذه المشكلة طبعاً هو الكردينال.

الوجيه الاول: قد يكون الامر كذلك نظراً الى تضارب الآراء في هذا الموضوع، اوّلها هذه المحاكمة التي حرص على اجرائها كيلْدار نائب ايرلندا. وحالما استُبعِد هذا الاخير، سرعان ما استُبدِل بالكونت سوراي لمنعه من إغاثة أبيه.

الوجيه الثاني: غير أن هذه الحملة الحكوميّة كانت ظاهرة العداء.

الوجيه الاول: ولدى عودة الكونت سيُضطر الى دفع ثمن هذا التدخل غالياً. هذا ما يتوقّعه الجميع. لأن الكردينال بادر حالاً الى ايجاد عمل، بعيداً عن البلاط، لكل من نال حظوة في عيني جلالة الملك.

الوجيه الثاني: الشعب برمّته يكرهه شديد الكره، ويتمنى ان يرى جثمانه مدفوناً في أعماق الأرض، بينما الدوق بالعكس يحبّه ويقدّره الجميع لأنه يُدعى النبيل بوكنكهام الذي يُعتبر مرآة جميع اللياقات.

الوجيه الاول: قف عند هذا الحدّ، يا سيدي. وسترى هذا النبيل الساقط مجرّداً من كل ما تنسبه اليه من الصفات الحميدة.

الوجيه الثاني: من الأفضل ان نحيد قليلاً ونراقب الموقف.

(يدخل بوكنكهام المحكوم عليه، يسبقه حرّاس ممسكين بقضبان وفي مقدمتهم جلّاد بيده الفأس وقد وجّه حدّها نحو المحكوم بالإعدام، ويمشي هذا الاخير بين صفّين من الرمّاحة ويتبعه سرّ

توماس لوفال وسرْ نيكولاس فاو وسرْ ولْيم ساندز، ثم الجمهور).

بوكنكهام : أتيتم كلّكم، أيها الحضور الكرام، الى هنا بداعي الشفقة عليّ، فاسمعوا ما اودّ ان اقوله لكم، ثم عودوا الى بيوتكم واتركوني وشأني. انا اليوم ضحية حكم جائر أُلصق بي تهمة الخيانة، وسأموت ملطخاً بعار هذه الوصمة. لكن السماء تشهد إن كان ضميري مرتاحاً أو لا، وأنا أتمنى ان يتدهور رأسي الى أعماق الهوّة حين تهوي الفأس على عنقي عقاباً على عدم ولائي المزعوم. مع ذلك لست ساخطاً على قانون الاعدام، إذ نظراً الى الاسباب المقدّمة، أراه عادلاً. إلاّ ان من أرادوا هلاكي هم حتماً غير منصفين. ومهما كانوا مخطئين بحقّي أسامحهم من كل قلبي. لكن عليهم ان يحترزوا من الاعتزاز ضمناً، بعمل الشرّ وبمواراة مساوئهم في قبور المظلومين أمثالي، لأن دمي البريء المهدور زوراً وبهتانا سيصرخ بلا إنقطاع ويدينهم. انا لا أرجو إطالة عمري في هذه الحياة الزائلة، ولا ألتمس ذلك مهما كان لجلالة الملك من سلطة للتغاضي عن ذنوبي والعفو عنّي. اما انتِ أيتها المخلوقات الأبيّة النادرة الوجود فوحدك تجسرين على ندبي انا بوكنكهام. بينما انتم، يا اصدقائي واترابي النبلاء، يا من أشعر بأن وداعكم هو أمرٌ بادرة يمكنكم ان تبدونها حيال موتي، آمل ان تثابروا على مودّتي كأفرادٍ صالحين وتظلّوا أوفياء لي حتى آخر ايام عمركم المديد. وعندما يوقف حدّ الفولاذ نبضات قلبي، اجعلوا من صلواتكم الحارة قرباناً فائقاً والتمسوا صعود روحي الى السماء. هيّا بنا الى حيث تريدون

ان تذهبوا بي، وإكراماً لله ارجوكم ان تطلبوا لي راحة نفسي.

لوفال : باسم المحبة، التمس من سموّك ان تغفر اليوم لي، إن كنت قد اسأت اليك وأبديت بحقّك ما لا يرضيك.

بوكنكهام : انا اسامحك، يا سرْ توماس لوفال بكل صدق واخلاص، كما ارجو منك ان تسامحني انت ايضاً. انا لم أوجّه لأحد أية إساءة تستدعي رفض غفرانها، وليس في صدري أي حقد ينخر ضلوعي في سكينة قبري. التمس منك ان توصي بي جلالته، اذا اتى يوماً على ذكري انا بوكنكهام، وأتوسّل اليك ان تقابلني في منتصف الطريق المفضي الى السماح، لأني لا ازال أخصّ مليكي بأطيب تمنّياتي وأحرّ أدعيتي، والى ان ألْفظ آخر أنفاسي سأستمطر عليه بركات السماء. وانا اطلب لجلالته العمر الطويل ولا أضمر له إلّا كل خير وهناء، آملاً ان يكون شخصه الكريم محبوباً وقرير العين على الدوام. وحين تدركه شيخوخته أرجو ان تظل طيبة قلبه ذخراً لجميع انصاره ورعاياه. أستودعك سرْ نيكولاس فاو الذي سيلازمك الى آخر ايامك السيعدة.

فاو : إذهب وأعدّ كل ما يلزم، فالدوق قادم، واحرص على ان تكون المركبة جاهزة ومزيّنةً بشكل يليق بمقام شخصه الوقور.

بوكنكهام : لا، يا سرْ نيكولاس، دعك من هذه الفخامة. لأن مقامي أصبح الآن هزيلاً لا يستحق سوى الاستخفاف والاهمال. عندما اتيت الى هنا كنت لورداً وشخصية

مرموقة بصفتي دوق بوكنكهام. لكني لست في هذه اللحظة إلا المسكين ادوارد بوهون. مع اني أرفع من سائر من اتهموني زوراً ونفاقاً، لأنهم لم يعرفوا يوماً معنى الولاء والاخلاص. بينما أنا عزّزت الشرف بدمي الذي سيجعلهم هدرُه يرتجفون هلعاً يوم حساب الديان العادل. كان والدي هنري دي بوكنكهام أوّل من ناهض المغتصب رتشرد ولجأ الى خادمه بانِسْتر الذي خانه في ايام بؤسه فجرّ عليه الهلاك بدون محاكمة. رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جنانه. أما هنري السابع الذي خلفه، وهاله فقدان أبي كأمير من الأسرة المالكة، فلم يألُ جهداً حتى ردّ لي اعتباري. لكن ابنه هنري الثامن سلبني اليوم كل ما املك في هذا الوجود من حياة وشرف وسمعة طيبة وحرمني معالم السعادة والهناء، في هذه الدنيا. لقد حوكمتُ أنا ولو صوريّاً، وهذا أفضل مما أصاب أبي المسكين من ظلم وقد حُرم من المحاكمة وإن يكن مصيرنا كلانا واحداً، اذ إننا لاقينا افظع نهاية على يد أنصارنا ومن أحببناهم من رجالنا أكثر من سواهم. هذه لعمري، أحطّ مبادلة في باب الوفاء والولاء. إن للسماء غايات وأهدافاً في كافة ما يحدث لنا من وقائع. لكني أرجوكم ان تحفظوا وصيّتي هذه، أنا المشرف على الموت : لا تثقوا بمن يبالغون في تمليقكم لنيل مرامهم، ولا بمن يكيل لكم معسول الكلام بدون حساب. ولا تأتمنوهم على مكنونات صدوركم اذ تعتبرونهم من اخلص اصدقائكم وهم في الحقيقة يروغون منكم كما يروغ الثعلب لإبتزاز أموالكم، ثم

يرمونكم كقشرة الليمونة بعد عصرها، عند نفاد خيراتكم وعطاياكم. أسألكم جميعاً أن تصلّوا لأجلي. لا بدّ لي الآن من مغادرتكم، لأن ساعتي قد دنت بعد ما قاسيت من صعاب الحياة وذقت من مرارة ذلّها. فالوداع، يا اصحابي. وحينما تريدون ان تأتوا على ذكر الاحزان لا تنسوا ان تعدّدوا ما تحمّلته من الأسى والهوان، حالما قلب لي الدهر ظهر المجنّ. لقد انتهت ايامي، فأسأل ربي ان يصفح عني.

(يخرج بوكنكهام ومرافقوه).

الوجيه الاول : كم هي مؤلمة هذه الآخرة التعيسة. اعتقد بأن كارثة كهذه ستنزل اللعنات على رؤوس مسبّبيها.

الوجيه الثاني : إن كان الدوق بريئاً حقّاً فهذه مصيبة فادحة. مع ذلك يسعني ان أُنذركم بشرّ مستطير في حال وقوعها فعلاً.

الوجيه الاول : حتماً ستبتعد عنا ملائكة الخير، وإن كنت لا ادري بحقيقة ما يحدث. انما لا سبيل، يا سيدي، الى الشك بصحة ما أتوقعه من وخيم العواقب.

الوجيه الثاني : هذا سرّ هامّ لا بدّ من كتمانه كي لا يذيع وينتشر.

الوجيه الاول : يمكنك مع ذلك ان تبوح لي بتفاصيله لأني حريص كل الحرص على حفظه.

الوجيه الثاني : أنا لا أشك بذلك، يا سيدي، وسأطلعك على جميع وقائعه. ألم تبلغك في هذه الأيام شائعة انفصال الملك عن زوجته كاترين ؟

الوجيه الاول : أجل، لكن هذا لم يدم طويلاً. فبعد ان درى الملك بالأمر، غضب فأصدر إليّ حالاً أمره بخنق هذه الشائعة وبإسكات الأفواه التي تجرؤ على تناقلها.

الوجيه الثاني : لكن هذه الشائعة المغرضة باتت معروفة، يا سيدي، كحقيقة أكيدة ملموسة أكثر من أي وقت مضى، واصبح الجميع يتوقّعون تحقيق هذه المغامرة قريباً. فالكردينال أو أحد أفراد حاشيته، نظراً الى الخلاف المستحكم بينه وبين الملكة، قد أوحى بما زاد الطين بلّة وخلق موجباً لإدانتها وإذلالها. والأمر الذي يؤكد هذا الخبر هو وصول الكردينال كمبايوس مؤخراً لهذه الغاية بالذات، على ما يقال.

الوجيه الاول : اذاً هذا المشكل هو من صنع الكردينال الذي يحاول الانتقام من الامبراطور شارل كانْتْ ابن شقيقة الملكة كاترين. لأنه لم يوافق على تعيينه في مطرانية طُلَيْطِلَة الإسبانية.

الوجيه الثاني : أظنك أصبت كبد الحقيقة. لكن، ألَا ترى أن مصير الملكة هكذا أضحى مؤسفاً جداً، والكردينال يصرّ على إشباع كرهه بالحط من كرامة الملكة وإسقاطها من مكانتها العالية مهما كلّف الأمر.

الوجيه الاول : هذا تصرّف لا أسوأ منه، ونحن الآن في مكان عامّ غير ملائم لمناقشة قضية شائكة كهذه هكذا علناً. علينا إذاً أن نذهب من هنا ونتحدث في مكان خاصّ.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في مدخل القصر

(يدخل لورد شمبلاّن وهو يقرأ رسالة).

لورد شمبلان : يا مولاي، أشرفتُ شخصياً على اختيار الجياد التي رغبت فيها جلالتك، وقد أُعِدَّت وجُهّزت حسب طلبك. حقاً هي نشيطة وجميلة ومن أجود الخيول الشمالية. وحين كانت على أُهبة الرحيل الى لندن، انتزعها مني رجل من أتباع سيدي الكردينال مزوّد بصلاحيّات وبسلطةٍ مطلقة، مُقدِّماً لي كحجة أن معلمه أصرّ على تلبية أوامره قبل اي احد سواه من رعاياه حتى قبل الملك ذاته وهذا ما دعاني الى السكوت حياله.
وهكذا تمّت تلبية رغبته أولاً، على أن يحتفظ بالجياد لأنه شاء أن يستبقيها لنفسه، كما أظن.

(يدخل دوق نورفولك، ودوق سوفولك).

نورفولك : صدفة سعيدة، يا مولاي شمبلان.
لورد شمبلان (للدوقين معاً) : السلام على سيادتكما.
سوفولك : ماذا يشغل بال الملك، يا ترى ؟
لورد شمبلان : تركته وحيداً تتجاذبه الأفكار الحزينة المضطربة.
سوفولك : ولأي سبب ؟
لورد شمبلان : يظهر ان اقترانه بزوجة أخيه يقلق الآن ضميره.
سوفولك : لا، لأن افكاره اليوم منصرفة تماماً الى سيدة اخرى.
نورفولك : في الواقع، هذا ناجم عن تحريض الكردينال الذي

يظن نفسه بمثابة ملك. بينما هو رجل دين مغرض نظير ابنٍ بكرٍ ووريث رجل ثريّ يحوّل كل الامور لصالحه. لكن الملك سيكشف أحابيله عاجلاً أو آجلاً.

سوفولك : أنا أتساءل كيف سمح لنفسه بمثل هذا السلوك الارعن، وبأي اندفاع يتدخّل ؟ في الحقيقة، الآن وقد انقطعت الصلات الوثيقة بيننا وبين امبراطور فرنسا مع انه ابن شقيق الملكة، راح يتغلغل الى وجدان الملك ويزرع في صدره الشك والهمّ ووخز الضمير والحذر والقنوط، وكل ذلك في سبيل زواجه مرة ثانية. ولكي يبعد الملك عن جميع اخصامه الممانعين، ينصحه بطلاق زوجته الحالية التي ظلّت تتألق في معيّته طوال عشرين سنة كجوهرة فريدة رائعة، بدون ان تفقد بريقها، هي التي وقفت عليه حبها وولاءها نظير ملاك حارس، وهي تحرص على سلامته وتحافظ على مصلحته، مصمِّمةً حتى في أحرج اوقاتها على مباركة مساعي الملك. أولا تجد الأمر في غاية الغرابة والدناءة.

لورد شمبلان : وقاني الله أمثال هذه المكائد. لا سبيل الى النكران ان هذا الخبر قد انتشر بسرعة في كل مكان وتناقلته جميع الألسنة ونفر منه جميع أصحاب الشهامة والاخلاص. ان من يتعمّق في هذه القضية المعقّدة يتبيّن له الهدف الحقيقي المرتبط بمسألة شقيقة ملك فرنسا. آمل ان تفتح السماء قريباً عيون ملكنا بعد ان بقيت طويلاً مغمضة لا تلاحظ عبث هذا الشرير الوقح.

سوفولك : ربنا، نجّنا من استبداده.

نورفولك : نحن في أشد الحاجة الى الصلاة بحرارة لأجل خلاصنا بتحوّل هذا الرجل المتسلّط علينا نحن الامراء، الى خادم مصالحنا. فلقد جمع كل الصلاحيات والقوانين في شخصه وهو يسخّرها على هواه لبسط نفوذه وعنفوانه.

سوفولك : انا، يا مولاي، لا أحبه ولا أخشاه. هذا موقفي تجاهه. وبما انه ليس هو من أوصلني الى ما أنا عليه الآن لن أغيّر تفكيري هذا حتى إن لم يكن صاحب السيادة راضياً. لأن لعناته وبركاته عندي سيّان، ولأني لم أعد أثق بتصرفاته. فقد عرفته ولا ازال اعرفه جيداً. لذا أدع أمره لبابا روما الذي رفعه الى هذا المقام السامي.

نورفولك : تعالوا ندخل ونحاول ان نسلّي الملك ونبدّد عنه ما يقلقه من الهموم المرهقة. ألا ترافقنا، يا مولاي ؟

لورد شمبلان : اعذروني، لأن الملك أرسلني في مهمّة أخرى. على كل حال، اخترتم الوقت غير المناسب، وهذا يزعجه كثيراً. السلام عليكم جميعاً ايها السادة الكرام.

نورفولك : أشكرك، يا لورد شمبلان. (يخرج لورد شمبلان).

(يفتح نورفولك باباً على مصراعيه، فيظهر الملك جالساً وهو يقرأ مشتّت الأفكار).

سوفولك : يا له من إنسان كئيب. لا بدّ من ان يكون الغمّ مسيطراً عليه.

الملك هنري : من الآتي الى هنا ؟ أجب.

نورفولك : أسأل الله ان لا يكون حانقاً.

الملك هنري : قلت، من الآتي الى هنا ؟ كيف تجرّأت على ازعاج خلوتي وتأملاتي الحميمة ؟ الا تدري من انا، حتى تضايقني هكذا ؟

نورفولك : انت ملك وقور، تسامح ما سببته لك من ازعاج غير مقصود. ان سبب مجيئي اليك في هذه الساعة مسألة تتعلق بشؤون الدولة، ومن الضروري معرفة رأيك في طريقة معالجتها، يا مولاي.

الملك هنري : مع ذلك هذه جسارة غير مأنوسة. هل تجد هذا الوقت مناسباً لحلّ المشاكل الزمنية ؟

(يدخل ولسي وكمبايوس).

من الآتي الى هنا ؟ سيدي الكردينال ؟ يا ولسي، يا مهدّئ روعي ومسكّن إضطرابي، انت الدواء الوحيد الشافي الذي يحتاج اليه كل ملك. (لكمبايوس) أهلاً بك في مملكتي، أيها السيد العالم الكبير المحترم. تصرّف كأنك في بيتك. (لولسي) وأنت، أيها اللورد المحبوب، إجعل ما أوجّهه اليك من حديث عميم النفع على الجميع.

ولسي : لا يمكن ان يكون الأمر إلا هكذا. ألتمس من جلالتك منحي ساعة من الزمان لأفاتحك في موضوع خاصّ هامّ جداً.

الملك هنري (لنورفولك وسوفولك) : انا الآن مشغول، فأطلب منكما ان تذهبا.

نورفولك (على حدة) : ليس لرجل الدين هذا من عزة نفس، على ما أرى.

سوفولك (على حدة) : في الواقع يكاد ان يكون محروماً منها. انا أودّ ان لا يكون وضيعاً الى هذا الحد، حتى ولو كنت في مكانه. غير أنّ هذا لا يمكن ان يدوم.

نورفولك (على حدة) : وانا ايضاً.

(يخرج نورفولك وسوفولك).

ولسي (للملك) : لقد لقّنت الآن درساً، يا صاحب الجلالة، جميع هؤلاء الامراء المرائين، حين أحلت بصراحة كل هذه القضايا الى المحكمة الدينية. فمن يجسر ان يظهر استياءه بعد الآن ؟ ومن يجرؤ على انتقادك ؟ أمّا الإسباني الذي تربطه بالملكة أواصر القربى والرفعة والمودّة فلا يسعه إلا ان يقرّ بصواب التحقيقات وعدالة القضية. هذا طبعاً اذا كان حسن النيّة. لأن جميع المسؤولين، اعني علماء الممالك المتديّنة، قد أدلوا بآرائهم الحرة. وروما أُمّ الحكمة والتروّي، بناءً على دعوتك الجليلة، سارعت وأرسلت لنا مستشاراً عالمياً، هو رجل الدين المتضلّع الكردينال كمبايوس الذي سأقدّمه قريباً الى جلالتك.

الملك هنري : انا مستعدّ أن أستقبله وأفتح له ذراعيّ لأضمّه الى صدري شاكراً مجلس قداسة البابا على إرساله إليّ هذا الرجل القدير الوقور.

كمبايوس : جلالتك تستحق محبة الجميع، لما أنت عليه من عراقة الحسب والنسب. وبين يدي جلالتك أضع كل السلطات التي بموجبها اشركتني روما مع مولاي الكردينال يورك في السعي الفوري لحلّ القضية التي تزعج خاطرك. أين كاردينر ؟

ولسي : على ما أعلم، يا صاحب الجلالة، أنت أحببت الملكة على الدوام حبّاً خالصاً الى حدّ انك لم ترفض لها قط ما يحق لأمرأة في مستواها الرفيع من استشارة فعّالة في أمر الدفاع عن نفسها بحرّيّة تامة.

الملك هنري : أجل، وستحظى دائماً بأفضل الوسائل في هذا المجال. انا مستعد أن أؤمّن لها كل المساعدة للدفاع عن نفسها على أكمل وجه. متمنّياً ان لا يتم الأمر خلاف ذلك. أرجوك، أيها الكردينال، أن تنادي لي كاردينر أمين سرّي الجديد. فهو الشخص الممتاز الذي يلائمني اكثر من سواه.

(يخرج ولسي).

(ثم يدخل وَلسي بصحبة كاردينر).

ولسي (على حدة) : هات يدك لأصافحك، وانا ارجو لك كل التوفيق والحظ السعيد بينما انت الآن في حمى مولانا الملك.

كاردينر (على حدة) : انا دوماً بتصرف جلالتك، وقد رفعتني الى هذا المنصب السامي.

الملك هنري : تعال الى هنا، يا كاردينر.

(يتحدّثان على حدة).

كمبايوس : مولاي لورد يورك، ألم يكن الدكتور باس يشغل مقام هذا الرجل ؟

ولسي : أجل، هو بذاته.

كمبايوس : ألم يكن معتبراً كرجل عالم حكيم ؟

ولسي : نعم، بدون شك.

كمبايوس : صدّقني، ان هناك شائعات مزعجة تحوم حول شخصك، أيها الكردينال.

ولسي : ولماذا تحوم حول شخصي ؟

كمبايوس : لا احد يُحجم عن التأكيد بأنك كنت تحسد هذا الرجل الفضيل وتخشى ارتقاءه، وانك غالباً ما ابعدته عنك الى بلاد اجنبية قاصية. وهذا ما ضايقه كثيراً وسبّب له الغم الشديد وعجّل عليه الوفاة.

ولسي : رحمه الله رحمة واسعة. هذا الدعاء يكفي لإظهار حسن نيّتي. أمّا الذين يناوئونني، فلن ينجوا من العقاب. لقد بدا مغفّلاً هذا الفتى العاقل حين أراد من كل قلبه ان يصبح انساناً فاضلاً... وحالما أصدرت أوامري بادر الى تنفيذها بحذافيرها. لذا أبيت إلّا ان يكون الى جانب الملك شخص نظيره. كن على يقين، أيها الأخ العزيز، أننا لن نتعرّض هنا لمضايقات مرؤوسينا.

الملك هنري (لكاردينر) : أطلع الملكة على ذلك بطريقة لطيفة. (يخرج كاردينر). ان مقر بلاك فرايرز هو المكان اللائق لاستقبال هؤلاء العلماء. وهناك يجب ان يجتمعوا للتداول بهذه القضية الهامّة. يا عزيزي ولسي، أرجوك أن تعدّ العدّة بكل دقّة. أوَلا يُؤلم الرجل البصير تخلّيه عن رفيقة سرير حلوة كهذه ؟ لكن ضميره لا يسمح له بهذا التمادي. وبما أن المكان مكشوف جداً، يتحتّم عليّ ان اغادره حالاً.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في جناح الملكة.

(تدخل آن بولان وسيدة مسنّة)

آن : حتى ولا هذا الأمر... الذي سبّب لها كثيراً من الازعاج والاحراج. فجلالته قد عاش مدة طويلة الى جانبها، وهي امرأة فاضلة لم يجرؤ أحد على مسّ كرامتها بسوء. أقسم بحياتي أنها لم تقترف ابداً اي ذنب. والآن بعد مرور كل هذه السنين على مشاركة زوجها العرش بإجلال وتبجيل، وهما عاملان أمرّ بما لا يقاس عند فقدهما من الحلاوة التي ينعم بها المرء اذا حظي بهما، انا لا اتصوّر كيف يسعها ان تعيش إثر إقصائها عن هذه الحياة المجيدة. في الحقيقة، هذا إذلال لا سبيل الى تحمّله بعد العزّ والاكرام.

السيدة المسنة : اجل، إن أقسى القلوب تتفتت أسفاً وترّق لحال هذه المسكينة وما تؤول اليه من مصير مظلم.

آن : هذه هي مشيئة الله. لكن الأوْلى بها ان لا تكون قد تمتّعت بكل هذا الجاه والرفاه. والانسان مهما كان سيّئ الطالع يواجه أقسى الصعوبات عندما تضطره الظروف الى تغيير نمط عيشه وتفقده النعمة التي ولد فيها وزالت عنه نفساً وجسداً بحكم عوامل خارجة عن ارادته حرّكها الزور والبهتان.

السيدة المسنة : مسكينة هذه السيدة التي أمست الآن غريبة عن محيطها المألوف.

آن : انها حقاً تستحق الشفقة. أنا أقسم ان من يولد وينشأ في أحضان البؤس والشقاء لأهوَن عليه ان يحيا

متواضعاً في الاكتفاء بما هو حاصل عليه من أن يتخبّط في الترف والرخاء المملّ ويرسف في سلاسل ذهبية من الحزن والأسى.

السيدة المسنة : الاكتفاء بما نحن الآن فيه هو لنا خير العزاء.

آن : بحق شبابي وبتوليّتي، لا أريد ان اصبح ملكة.

السيدة المسنة : تبًّا لك من صبيّة مغفّلة، أنا أودّ أن أصبح ملكة حتى لو ضحّيت بكارتي. ولا اظنك عند الاقتضاء ترفضين ذلك رغم ما تبدينه من إباء وترفّع، لأن هذا التمنّع ليس سوى نوع من المكابرة والعناد. لا سيما وانتِ تتمتّعين بأحلى مظاهر الانوثة الفاتنة، ولك ميول الصبا الذي يهفو الى الهوى ويتوق بطبيعة الحال الى البهرجة والأبّهة، وهما في الحقيقة من افضل النعم والبركات بين الهبات التي تغري كل انسان. ومهما تشامختِ لا تلبث عواطفك ان تلين لتقبلي بشتّى التضحيات في سبيل تحقيق هذه الأمنية العزيزة التي لا يتيسّر تحقيقها بمثل هذه السهولة كل يوم.

آن : لا، لا. أنا أفصح عن نزعتي الحقيقية.

السيدة المسنة : وانا بدوري أؤكد لك انك لن ترفضي ذلك ابداً. بربّك صارحيني ألا تودّين حقاً ان تصبحي ملكة ؟

آن : كلّا، ولو وُهِبْتُ أموال الدنيا بأسرها.

السيدة المسنة : امرك غريب جداً. امّا انا فلن أتردد في القبول لحظة واحدة لقاء أبسط الوعود فقط، مهما كنت متقدّمة في السنّ، بأن أصير ملكة جليلة مبجّلة. اظنك لن ترفضي حتى لقب دوقة، وان لم تكن لديك الرغبة والهمّة للقيام بأعباء مرتبة كهذه.

آن : لا، لا. حقاً لا أريد.

السيدة المسنة : انت اذاً مخلوقة عجيبة تختلفين عن سائر البشر. هيّا خفّفي من غلوائك. لو اني كنت في ريعان الشباب مثلك لما تمنيت ان التقي بك لكي لا أحرجك واخجلك وانت غارقة في هذه العقلية التي اعتبرها شاذة. فان كنت غير قادرة على تحمّل أعباء المسؤولية مهما كانت ضئيلة، فانت حتماً غير صالحة لإنجاب أيّ مولود.

آن : ما هذه الثرثرة الفارغة. أقسم لك وأؤكد مرة ثانية اني لا أودّ أن اصبح ملكة ولو لقاء مباهج الدنيا كلها.

السيدة المسنة : ثقي بكلامي إن قلتُ لك انك في سبيل مصلحة انكلترا العزيزة عليك ان تضحّي بكل ما في وسعك. فأنا ذاتي لن أتأخر عن القيام بذلك في سبيل توليتي على مقاطعة صغيرة مثل كرْنافون، عندما لا يبقى أمامي من الإمكانات سوى القبول بها على ضيق مجالها. من القادم الى هنا ؟

(يدخل لورد شمبلان).

لورد شمبلان : اي ثمن تدفعين، يا سيدتي، اذا كشفت لك سرّ محادثتك الحاضرة ؟

آن : مولاي اللورد، لن أدفع حتى مقابل طلبك، لأنه لا يساوي سؤالك. نحن نأسف شديد الاسف لما حلّ بسيدتك من مصائب.

لورد شمبلان : كان اهتمامي بها يعادل عواطف هذه المرأة الصالحة. وآمل ان ينتهي الأمر بخير عند هذا الحدّ.

آن : هذا ما أتضرع الى الله ان يمنّ به علينا، آمين.

لورد شمبلان : انتِ طيبة القلب، وبركات السماء تحلّ على أمثالك. ولكي أبرهن لك، يا سيدتي الجميلة، على صدق كلامي وعلى ما ينهال من الاشادة على فضائلك العديدة، أصرّح لك بأن جلالة الملك يخصّك بتقديره السامي ويمنحك لقب مركيزة بمبروك الذي سيدرّ عليك هبة سنوية تبلغ مئة الف ليرة.

آن : لست ادري كيف اشكره وكيف أرد له هذا الجميل. لاني لا أملك ثروةً ولا استطيع ان اقابل كرمه بأية هبة مماثلة. أمّا صلواتي فلا اعتقد بأنها مباركة ومستجابة بهذا المقدار، كما ان تمنياتي لا تساوي إلّا النذر القليل مما يطلقه لساني العاجز من شكر وامتنان، مع ان الصلوات والأماني هي كل ما يسعني أن أقدّمه لقاء فضله. استحلف سيادتك ان تتكرّم وتعبر له عن جزيل احترامي وعرفاني جميله كعربون ولاء ترفعه اليه أَمَةٌ تحمرّ وجنتاها حياءً وهي تلتمس لجلالته الصحة التامة والعمر الطويل في ظلّ عرشه المجيد.

لورد شمبلان : سيدتي، كوني على يقين بأن جلالته يكنّ لك اسمى عواطف التقدير والاحترام. (على حدة) لقد تفحّصتها جيداً، فوجدت ان الجمال والكرامة هما عنصران ممزوجان بعلوّ اخلاقها الحميدة. وهذا ما جعل الملك يميل اليها ويتعلّق بها. ولست أدري إذا كان من مزايا هذه الصبية الفاضلة سينبعث شهاب يضيء سماء هذه الجزيرة. (بصوت مرتفع) سأبادر الى الاجتماع بالملك قريباً وأعلمه بفحوى ما دار بيني وبينك من حديث شيّق.

آن : مولاي الكريم.

(يخرج لورد شمبلان).

السيدة المسنة : أجل، هكذا تجري الامور عادة. أنصتي اليّ، لقد مرّ على وجودي في البلاط الملكي حوالى ستة عشرة سنة، وأنا لا أزال ألتمس العطف الملكيّ. ولم أجد فرقاً بين حصوله عاجلاً أو آجلاً بخصوص أي طلب آخر رجوته. بينما انتِ، وما أسعد حظلك، أنت القادمة الجديدة الى محيطنا، وقد جعلتني أقول تبّاً لهذا الهناء المُستَجْدَى، ها قد ملأتِ جعبتك، ولم يستقرّ بعد بلك المقام.

آن : انا نفسي استغرب وقوع هذا الأمر.

السيدة المسنة : ما هو مذاق هذه البادرة المباغتة ؟ هل تجدينه مُرّاً ؟ اراهن أنه ليس كذلك. في الماضي جاءت شابةٌ الى هنا، وهذه قصّة قديمة، لم تشأ ان تصبح ملكة، وأن تستبدل بأرضنا كل ما في مصر من أوحال... هل سمعت بها ؟

آن : ما هذا المزاح ؟

السيدة المسنة : إعلمي اني بعكس تمنّعك، لا أعارض في الارتقاء الى أعلى المقامات. لا سيما وقد صرت مركيزة بمبروك، ورُصد لك مبلغ مئة ألف ليرة سنوياً، لمجرّد تقدير حسنك وخصالك الحميدة بدون ان ترتبطي بأي واجب تجاه اي إنسان. وأقسم بحياتي ان هذه المنحة ستجرّ وراءها الوفاً أخرى من الهبات القيّمة. لأن ذيول العظمة أطول من الثياب التي ترتدينها. وفي الوقت الحاضر أرى ان كاهلك قادر بسهولة على حمل اعباء لقب الدوقة الذي نلتِه. صارحيني اذاً، ألا

تشعرين الآن بأنك بتِّ اقوى مما كنت عليه سابقاً ؟

آن : سيدتي الكريمة، لك ان تتلهّي بما توحيه اليك مخيّلتك الخصبة. لكني ارجوك ان تتركيني وشأني خارج هذه اللعبة المرهقة. وإلّا وددت ان لا أظلّ في حيّز الوجود لان قلبي أخذ يخفق بنبضات متسارعة من شدة سروري. ويكاد الدوار يدوّخني من جرّاء تفكيري في عواقب هذه المستجدّات. فالملكة الحالية مستسلمة لليأس والغمّ ونحن ننسى عمق جذور وجودها منذ زمن طويل في رحاب حياة جلالة الملك. أرجوك ان تعلميها بما دار بيننا الآن من حوار.

السيدة المسنة : هل تظنينني ممن يرسلون الكلام جزافاً ؟

(تخرجان).

المشهد الرابع

في قاعة من صرح بلاك فرايرز.

(يسمع صوت ابواق، ثم عزف فرقة موسيقية. يدخل حاجبان بأيديهما عصي وقضبان قصيرة من الفضة. ثم يدخل كاتبان بملابس دكاترة وبعدهما يدخل أسقف كنتربري وحده يتبعه اساقفة لنكولن وايلي وروشستر وسان أساف ووراءهم على بعد مسافة قصيرة وجيه يحمل كيساً وختماً كبيراً وقبعة كردينال ثم رجلا دين على صدر كل منهما شارة من الفضة، ثم يدخل حاجب مكشوف الرأس ويليه جنباً الى جنب الكردينالان ولسي وكمبايوس واثنان من النبلاء

يحملان سيفاً ومطرقة كبيرة. ويجلس الكردينالان عند طرف المنصّة كقاضيين. ثم تجلس الملكة على مسافةٍ ما من الملك، ويجلس الاساقفة الى جانب رجال البلاط، وفي الوسط يجلس الكاتبان، ثم يجلس اللوردات الى جانب الاساقفة. ويجلس باقي أعضاء المحكمة وسائر الموظفين بالترتيب عند مؤخرة خشبة المسرح).

ولسي : ارجو ان يسود الصمت بينما تتمّ تلاوة بيان الصلاحيات التي منحتنا اياها روما.

الملك هنري : وما فائدة التكرار ؟ لقد تُلي هذا البيان علناً وأقرّه الجميع، فيمكنكم اختصار الوقت الذي تضيّعونه هكذا سدىً.

ولسي : ليكن ما تشاء، يا مولاي. باشروا اذاً تطبيق مراسم المحاكمة.

الكاتب (لأحد اعضاء المحكمة) : قل لهنري ملك انكلترا ان يمثل امام هيئة المحكمة.

عضو المحكمة (ينادي) : هنري ملك انكلترا، تفضّل بالمثول امام القضاء.

الملك هنري : ها أناذا.

الكاتب (لعضو المحكمة) : قل لكاترين ملكة انكلترا ان تمثل هي ايضاً امام القضاء.

عضو المحكمة (ينادي) : كاترين ملكة انكلترا، تفضّلي بالمثول امام هيئة المحكمة.

(الملكة لا تجيب بل تنهض من مقعدها وتجتاز القاعة، ثم تقترب من الملك وترتمي عند قدميه وتخاطبه).

الملكة كاترين : مولاي، أسألك أن تؤمّن لي إستتباب الحق والعدالة، وأن تجود عليّ برحمتك، لأني امرأة مسكينة غريبة

وُلدتُ خارج مملكتك، وأنا لا أجد هنا قاضياً حيادياً، ولا يسعني اذاً ان أتّكل على عطف المحكمة لتنصفني من الجور الذي أتعرض اليه. هل لي، يا مولاي، ان أعلم، مع الاسف الشديد، بماذا اغظتك ؟ وماذا رأيت من مآخذ على سلوكي لكي تقرر هكذا إقصائي عنك وحرماني من فضلك ؟ تشهد السماء بأني كنت لك دائماً زوجة متواضعة ووفيّة وخاضعة في جميع الاحوال لمشيئتك، وكنت اتجنب باستمرار كل ما يسبب لك أي ازعاج. وكنت أُساير ما يلوح على محياك من حزن أو فرح حسب التغييرات التي كنت ألاحظها. بربّك، متى عارضت رغباتك ولم اعتبرها رغباتي الشخصية ؟ مَن مِن اصدقائك لم اجتهد ان ألاطفه مع أني واثقة بأنه من أعدائي ؟ ومَن مِن اصدقائي استفزّ غضبك ولم يفقد عطفي عليه، وبدون ان اقصيه عن محيطي ؟ يا مولاي، تذكّر اني بتصرّفي هكذا كنت حليلتك الامينة طوال عشرين عاماً وقد أسعدني الحظ بأن أنجب لك عدّة أولاد. فاذا كنت خلال كل هذه المدة تستطيع ان تثبت ما يلطّخ شرفي وولائي كزوجة، أو يشوب حبي واحترامي حيال شخصك المفدّى، فلك ملء الحق بطردي وبإنزال اقصى العقوبات العادلة بي. أرجوك أن تستمع اليّ، يا مولاي، فقد كان والدك ملكاً شديد الحيطة والحذر، حيّ الضمير سديد الرأي واسع الحلم. وكان والدي فرديناند ملك اسبانيا معروفاً كأعقل عاهل حكم سنين عديدة ذاك البلد المذكور. اذاً لا مجال للشك في عدالة هاتين المملكتين لمناقشة المسألة في حضور

مجلس مؤلف من رجال محنّكين يعترفون بشرعية قراننا. لذلك استحلفك بكل تواضع، يا مولاي، ان تؤجّل المحاكمة الى أن أحصل على مشورة أصدقائي الاسبان الذين ألْتمس نصحهم. وإلّا، قضى الله بما يُرضي رغبتك السنيّة.

ولسي : هنا، يا سيدتي، عدد من رجال الدين الذين وقع عليهم الاختيار، وهم اشخاص لا غبار على عدالتهم وسعة معرفتهم، لأنهم نخبة علماء بلادنا وهم مجتمعون في هذا المكان للنظر في قضيتك، ولا داعي الى طلب تأجيل البتّ بهذه المسألة في سبيل راحتك وتهدئة روع جلالتك.

كمبايوس : سيادته أجاد الكلام بحكمة وتبصّر. وهكذا، يا سيدتي، أرى من الأنسب ان نتابع سير المحاكمة الملكية بدون امهال، على أن تُقدَّم جميع المستندات والأدلّة فورا لسماعها.

الملكة كاترين : اليك، يا مولاي الكردينال، أوجّه ندائي.

ولسي : ماذا تريدين ان تقولي، يا سيدتي ؟

الملكة كاترين : انا، يا مولاي، في وضع يستدعي بكائي. لكني عندما أفكّر بأني ملكة نعمتُ طويلاً بهذا المقام الرفيع عن استحقاق، فضلاً عن كوني إبنة ملك، أودّ ان أحوّل دموعي الى لهيب محرق.

ولسي : مهلاً، يا سيدتي.

الملكة كاترين : سأتمهّل حالما تعتصم أنت بالوداعة، لا بل بعد هنيهة. وإلّا عاقبني الله على تسرّعي. هناك حجّة دامغة تحملني على الاعتقاد بأنك لست من اصدقائي. لذا

أرفضُ الإزعان لعدوّي، ولن تكون ابداً ديّاني. لأنك انت الذي أضرمت هذا الحريق بين مولاي الملك وبيني أنا زوجته. أرجو ان تطفئ رحمة الله هذه النار التي تُؤجج لهيبها. مراراً اكرّر هذا الدعاء في قرارة نفسي لأني اكره تدجيلك المفضوح، ولا أرضى بتاتاً بأن تكون من يدينني لاني اعتبرك بكل صراحة ألدّ اعدائي. وبما اني على يقين بأنك لست نصير الحق والعدل، فكيف أثق بك ؟

ولسي : انا اقرّ واعترف بأني لم اسمع منك في الماضي مثل هذا الكلام القاسي، لأنك على الدوام مارستِ اعمال البر والاحسان التي اثبتت استعدادتك الوديعة الحكيمة التي تفوق طاقة كافّة النساء. انت تهينني الآن، يا سيدتي. غير اني لا أضمر لك أي حقد، لأني لا أظلمك كما لا أظلم احداً على الاطلاق. وسلوكي في الماضي، ويظل الآن، وسيكون في المستقبل ضمان سلطتي الواسعة المستمدّة من محكمة روما. انت تتهمينني بأني اشعلت هذا الحريق، وأنا أنفي ادّعاءك نفياً قاطعاً. فالملك حاضر ها هنا واذا كنت لا أنطق بالصواب فهو قادر على فضح أكاذيبي، أجل، تماماً كما تنفين انت صدق كلامي. لكنه يعلم ايضاً ان لا ذنب عليّ، وان كل ما قيل عني هو زور وتلفيق. لذلك هو وحده يستطيع معالجة جراحي، ولكي يلأمها يكفيه أن يبعد عنك هذه الأفكار. وقبل أن يتكلّم جلالته استحلفك، يا سيدتي اللطيفة، ان تتراجعي عما صرّحتِ به وأن لا تعودي الى مثل هذا الإدّعاء.

الملكة كاترين : مولاي، مولاي، انا امرأة بسيطة وأضعف من ان اتصدّى لألاعيبك المتقنة. انت تتكلّم بنعومة وتواضع، وتمارس وظيفتك بكل ما تتظاهر به من لياقة ووداعة. لكن قلبك منتفخ عجرفة وبغضاً وكبرياء. وهكذا، بفضل ما يغمرك به جلالته من عطف ورعاية، تخطّيت بسرعة جميع المراتب الصغيرة وبلغت الآن قمّة النفوذ وسيطرت على جميع صلاحيات محيطك، وأضحى كلامك المبطّن مألوفاً يخدم مشيئتك وكل مساعيك ومراميك التي ينفّذها أتباعك بما تفرضه عليهم من خضوع وطاعة عمياء. ولا يسعني إلّا أن أصارحك بأنك مهتمّ بتنمية تسلّطك اكثر من اهتمامك بتأدية واجبات دعوتك الروحية ومقامك الديني السامي. ومرة اخرى أرفض ان تجري محاكمتي على يدك. وهنا ارفع ندائي الى بابا روما الذي ألتمس من قداسته ان يكون هو من ينظر ويبتّ في دعواي هذه.

(تحيّي الملك وتنسحب).

كمبايوس : الملكة تعاند وتقاوم العدالة التي تتهمها صراحةً، ولا تتنازل الى الخضوع لأحكامها. هذه بادرة سيئة. وها هي تنسحب.

الملك هنري : نادوها كي تعود.

عضو المحكمة : يا كاترين ملكة انكلترا، إرجعي وامثلي امام المحكمة.

كريفيث : المحكمة تناديك، يا سيدتي.

الملكة كاترين : لماذا أُصغي اليها. ارجوكم ان تواصلوا طريقكم فلا بد من ان تعودوا على اعقابكم عندما تعون فداحة ما تفعلون... ليكن الرب في عوني لأنكم تثيرون حفيظتي ارجوكم ان تتوقّفوا. فانا لا أريد أن أبقى هنا. لا، لا أريد ان اتابع سياق هذه القضية. ولن أمثل امام أية محكمة تابعة لظلمكم.

(تخرج الملكة بصحبة كريفيث وسائر جماعتها).

الملك هنري : اذهبي في سبيلك، يا كاتي. إن وُجد في الدنيا رجل يجسر على التأكيد ان هناك امرأة أفضل منك، لن يصدّقه أحد مهما ادّعى، لأن كل ما ينطق به محض كذب وافتراء. لا أنكر ان لك من الصفات النادرة نظير لطفك وعذوبتك وتواضعك وصبرك وكرامتك كزوجة تجلّت في طاعتك واخلاصك، وان جميع فضائلك الملكية والدينية تنطق بتفوقك وامتيازك، وتجعلك ملكة على ملكات الأرض كلها... لقد وُلدتِ نبيلة وتصرّفت نحو شخصي بصورة تليق باصالة نسبك الرفيع.

ولسي : يا صاحب الجلالة الوقور، أستحلفك ان تأذن لي بإيراد بعض التفاصيل امام هذه الهيئة الكريمة. لأنها هي بالذات المُناط بها حسم الخلاف الذي كلفتني بدراسته وإيجاد حلّ له اذا لم أتوصّل انا شخصياً الى ذلك. فهل انا أوْحيت اليك القيام بما تنوي تحقيقه ؟ هل انا أثرت في اعماق قلبك هذه المشكلة التي كثيراً ما دار عليها النقاش ؟ أولم أحرّضك دائماً على شكر الباري الذي منحك هذه الجوهرة الملكية كزوجة ؟

هل قلت لك كلمة واحدة عنها من شأنها ان تسيء إلى سمعتها الطيبة ؟

الملك هنري : مولاي الكردينال، أنا أبرّئ ساحتك من كل ما ذكرته لي الآن. نعم، أقسم بشرفي على صحة ما أقول. انا ارفع عنك كل ملامة في هذا الموضوع. ان لك اخصاماً عديدين، وانت تعلم لماذا يناوئونك. لكنك تستطيع ان تعتبرهم مثل كلاب تنبح عندما يعوي الذئاب. وعلى أثر نميمة احد هؤلاء الأشرار تأثرت الملكة إذ صدّقت ما ينسبونه اليك. لكن براءتك من هذه الشبهات ظاهرة للعيان كالشمس الساطعة. وانا اعرف جيداً انك كنت تهدّئ الخواطر كلما اشتدّ لهيب الحريق في هذه القضية. وكنت تسعى الى ازالة العقبات وتقريب وجهات النظر. أقسم بشرفي ان هذه الشهادة بحقك هي نزيهة اذ لا ناقة لك فيها ولا جمل. والآن كيف وصلت المشكلة الى هذا الحدّ من التعقيد ؟ اليك التفاصيل. ان اوّل ما جال بخاطري هو محور حديث أسقف بايون الذي كان سفير فرنسا هنا. وقد انتُدب للتفاوض بخصوص اقتران دوق أوْرليان بابنتي ماري. وفي سياق المفاوضات وقبل الوصول الى نتيجة ملموسة، طلب هذا الاسقف مهلة ليعرض على سيده الملك مستندات شرعية مولد ابنتي المنبثقة من اقتراني بأرملة أخي. وهذه المهلة زرعت القلق والشك في أعماق نفسي وضيّقت عليّ سبل ارتياح بالي. وعلى الاثر لفّني الهم والحزن فخيل اليّ ان كل ما حولي غاب عنه الابتسام وأضحى مغلّفاً

بضباب الغموض والحسرة لأنه ايقظ في داخلي هموماً مصدرها عدم انجابي ولد ذكر يرث عرشي بعد مماتي، وراح يحثني على وجوب السعي الى زواج يوطّد لي هذا الحق في تأمين ذرّيتي وتثبيت وراثة مملكتي على اكمل وجه، ما دام لا وجود للمواليد الذكور في اسرتي. فايقنت بأن مشيئة الله تقضي بأن يكون لي من صلبي مَن يؤول اليه الحكم بعدي على هذا البلد الحبيب الى قلبي. ومن هنا نشأت في رأسي فكرة الزواج مجدّداً لهذه الغاية. لا شك في ان هذه الخواطر قد آلمتني بسبب شعوري بالحرمان. لذلك حثّني ضميري على عدم التقاعس عن هذا الواجب المقدس وحرّضني على إيجاد الدواء الذي يشفي علّتي، اي البحث عن زفاف يؤمّن لي الوريث المرغوب لإراحة ضميري وإرضاء ميل أبوّتي في هذا المجال. فرحت أستشير ألي الأمر من خيرة رجال الدين ودكاترة العلماء أصحاب الرأي السديد في هذا الموضوع الأساسي، إبتداءً بمولاي الكردينال لنكولن وسيادتك. وأعتقد انكما لا تزالان تتذكّران ما كان يراود فكري من غمّ عندما فاتحتك أولاً في هذا الشأن الهامّ.

لنكولن : اجل، أتذكّر، يا صاحب الجلالة.

الملك هنري : لقد حدثتك مطوّلاً عن هذه القضية. فأعلمني الآن بما فعلت لحلّ مشكلتي.

لنكولن : لإطمئنان جلالتك، ثق بأن المسألة تشغل بالي الى أقصى حدّ، نظراً الى اهميّتها والى إصراري على سلامة

عواقبها بتقديمي أفضل النصح لبلوغ الغاية المنشودة. فاستحلف جلالتك ان توافق على الخطوات المتّبعة ها هنا.

الملك هنري : لقد فتحت لك قلبي، يا مولاي لورد كنتربري، وحصلت على موافقتك لإلتئام هذا المجلس. ليس في البلاط من شخصية نزيهة مرموقة لم أشاورها في هذا الموضوع، واستمزجت رأيها في أنسب الحلول وقد فضّلت أن يتمّ ابداء الرأي كتابةً ومذيلاً بتوقيع صاحبه. وهكذا تجنّبت اغضاب شخص الملكة التي يزعجها هذا الإجراء الضروري، ويعرّض وضعها الى المضايقة التي يسببها لها هذا النقاش. فارجو أولاً أن تثبتوا شرعية هذا الزواج. وأقسم بحياتي وبكرامتي كملك انني تصرّفت ازاءها على أحسن وجه وانني أودّ انهاء علاقتي بها على خير ما يرام. فكاترين هي ملكتي وأنا لا أزال أقدّرها وأجلّها كأفضل امرأة على وجه الأرض واعتبرها جوهرة خالية من كل عيب.

كمبايوس : بما ان الملكة غائبة، لا بدّ من تأجيل هذه المحاكمة الى موعد آخر. وفي هذه الاثناء نبذل أقصى جهودنا لنحمل الملكة على تخلّيها عن استئناف الحكم لدى قداسته.

(يقف اعضاء المجلس للانصراف).

الملك هنري : (على حدة) : ألاحظ كأن هؤلاء الكرادلة يهزأون بي. وأنا مستاء من تماهلهم في الاجراءات التي تصرّ عليها روما. أيها العالم كرانمر، يا خادمي الامين، ارجوك ان تعود. لأني بقربك أشعر بالارتياح، وأنا على يقين

ببلوغ مرادي على يدك. (بصوت مرتفع) اختموا الجلسة وانسحبوا، أيها السادة.

(يخرج الجميع بالترتيب ذاته كما دخلوا).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في قصر برائد وِيل بلندن

داخل جناح الملكة.

(الملكة وبعض مرافقاتها منهمكات في شغل الابرة).

الملكة كاترين : تناولي عُودك، يا بنيّتي. فان الضجر يغمر نفسي، ثم انشدي وبدّدي الغمّ عني، اذا امكنك. أريحي يديك من الشغل قليلاً.

أنشودة

تناول الإلٰه أُورفي عوده تحت أغصان الشجر
وجال بين قمم الجبال الشاهقة في السحر
وإذْ ترنم وأنشد تفتّحت أكمام الزهر.

وعلى نغمات ألحانه رقص النرجس مع تمايل الورد
وسطعت الشمس في كبد السماء بعد البرق والرعد
واشتركت في احياء الربيع الزاهي كالوعد.

وانصتت الطيور الى عذوبة ألحانه الفاتنة

كعروس البحر تتهادى على الرمال وفوق الامواج الماجنة
وقد أطربها النشيد فترنّحت نشوى بالهوى مؤمنة.
كأن الطبيعة في ظل الهناء تنعم بعيدة عن الأحزان
بعدما عانت من الضجر وسئمت من الجفاء والهجران
إلتأم شمل الأحبّة وابتهجت مجموعة الخلّان.

(يدخل أحد الوجهاء).

الملكة كاترين : من القادم ؟

لوجيه : ارجوك ان تأخذي علماً بان الكردينالين ينتظران أن تستقبليهما.

الملكة كاترين : هل جاءا ليكلّماني ؟

الوجيه : كلّفاني بابلاغك حضورهما.

الملكة كاترين : قل لهما ان يتفضّلا بالدخول. (يخرج الوجيه). ماذا يريدان مني، انا المرأة المسكينة وقد تقهقرت احوالي في هذه الأيام ؟ إنّ زيارتهما لا تسرّني. وبتّ الآن أشكّ بصلاحهما مع ان وظيفتهما تسترعي الاحترام، إنّما ارتداء المسح لا يجعل المرء ناسكاً.

(يدخل ولسي وكمبايوس).

ولسي : السلام على صاحبة السموّ.

الملكة كاترين : سيادتكما تجداني هنا كربّة بيت عادية، كما أتمنى أن أقضي العمر كله مهما كانت الحياة صعبة في هذه الدنيا. ماذا تريدان منّي، يا سيداي الوقوران ؟

ولسي : ارجوك، يا سيدتي النبيلة ان تنتقلي الى جناحك الخاص كي نشرح لك مفصلاً غايتنا من هذه الزيارة، وأنت على أتمّ الارتياح.

الملكة كاترين : ارجوكما ان تتكلما ها هنا. في الحقيقة أنا لم افعل حتى الآن ما يستوجب اختبائي في الزوايا. واتمنى ان تتمكن جميع النساء من ترديد هذا القول بحرّيّة ضمير وشجاعة. انا لا اخشى، يا سيداي، وهذا مصدر ارتياح نادر، ان تتحدث كل الألسنة عن أفعالي الظاهرة للعيان كنور الشمس، مهما هاجمتني أبواق الحسد والنميمة لأني واثقة بأن حياتي لا تنطوي إلّا على الصراحة والاستقامة. فاذا كانت نواياكما ان تتفحصا سلوكي كزوجة، تمّما ذلك ببسالة. إذْ ليس أفضل من الشهامة والنزاهة عند التصميم على انجاز الامور.

ولسي : هذا ما ننوي اتباعه في تحقيقاتنا، ايتها السيدة الجليلة.

الملكة كاترين : وهذا ما أحبذه أنا أيضاً. فمنذ مجيئي الى هذه الديار من بلادي اسبانيا عكفت على اتقان لغة هذه المنطقة، لأن اللهجة الغريبة تجعل صعوبة التعبير مشبوهة. ارجوكما ان تتكلما بوضوح. فان في هذا المكان اشخاصاً يشكرونكما بلسان سيدتهم إذا توخيتما إجلاء الحقيقة. صدّقاني، إنّ هذه الحقيقة قد طُعنت في الصميم. يا مولاي الكردينال، أؤكد لك ان افظع الأغلاط في أيامنا لا بد من ان تنال الغفران بسماحة.

ولسي : أيتها السيدة الكريمة، انا آسف لكون امانتي واخلاصي نحوك ونحو جلالته قد ولّدت لديك كل هذه الشكوك المزعجة، رغم وضوح حُسْن نيّتي. نحن لم نأتِ لنكيل لكِ التهم وأن نمسّ شرفك الذي تلهج الألسنة بالإشادة به، ولا ان نسبب لك الغم والكدر. فأنت تتمتّعين بالكثير من الشهامة، يا سيدتي الفاضلة.

وما جئنا إلا لنعرف مقدار استعدادك لحسم هذا الخلاف الحادّ الناشئ بينكما. بل نحن ممن تحدوهم النزاهة والمروءة لعمل الخير، ولا نضمر سوى الامانة وحسن الظن في معالجة قضيتك.

كمبايوس : سيدتي الفاضلة، ان سيادة كردينال يورك الذي تملأ صدره الغيرة والإجلال دائماً نحو سموّك، وكرجل متديّن سمح النفس ينسى ما أبديته من شك مبالغ حيال نزاهته ووفائه وولائه. ويقدّم لك نظيري ما يمكنه، كبادرة سلام، من خدماته ونصائحه القيّمة.

الملكة كاترين (على حدة) : لكي ينزلا بي أفدح الكوارث. (بصوت مرتفع) انا اشكركما، يا سيداي، على حسن النوايا التي تبديانها لي. ولكن ما ترميان اليه باطناً، في مسألة بهذه الأهمية، يسيء الى كرامتي وربما يهدّد كياني، ولا أرى كيف يمكنني أن أردّ بغتةً، أنا المرأة الضعيفة، على رجلين عالمين خطيرين مثلكما. في الحقيقة لست ادري. يعلم الله اني كنت هنا مهتمة بشؤوني الخاصة بين مُرافقاتي ووصيفاتي لا انتظر زيارتكما المفاجئة لمناقشة هذه القضية. فباسم المكانة السامية التي كنت أحتلها وانا الآن أُشرف على تدهوري، ارجوكما ان تتيحا لي الوقت الكافي للحصول على نصائح اصدقائي في هذا المجال، وقد أصبحت، يا للاسف، قليلة الأصحاب كثيرة الهموم التي يتسرّب منها القنوط الى تفكيري ونفسيتي.

ولسي : انت، يا سيدتي، تحطّين من قدر مودّة الملك لك بما تتلفّظين به من تهجّم وتشاؤم. فلا بد لآمالك من أن

تصمد ولأصدقائك من ان ينجدوك.

الملكة كاترين : في انكلترا لا سبيل لهؤلاء الأصحاب الى خدمتي وانقاذي. هل تعتقدان، يا سيداي، بان هناك انكليزياً واحداً يجسر على تقديم أية نصيحة لي ؟ لا أظن ان هناك شخصاً مغامراً لا تهمّه سلامته الى حدّ ان يبدي لي اي اخلاص ويعلن أنه صديقي ويدافع عني متحدّياً بذلك رغبة جلالته، ويظل على قيد الحياة ؟ كلا، هذا امر اكيد. فالاصحاب الذين يخفّفون عني مصابي ويتمسّكون بمودتي لا يسعهم ان يعيشوا هنا. لانهم جميعهم مثل سائر أنصاري يقيمون في مسقط رأسي اسبانيا، كما تعلمان يا سيداي.

كمبايوس : آمل ان تهادنني جلالتك وتصغي الى نصيحتي.

الملكة كاترين : أية نصيحة، يا سيدي ؟

كمبايوس : ضعي قضيتك وديعة بين يدي زوجك الملك، فهو محبّ وكريم للغاية. هذا أفضل بكثير للحفاظ على كرامتك ولحل مشكلتك. وإلا لا يلبث ان يطالك حكم القانون فتنسحبين بدون اي اعتبار.

ولسي : ان ما يقوله لك سموّه هو عين الصواب.

الملكة كاترين : كلاكما تشيران عليّ بما ترغبان في الوصول اليه من هدم كياني. فهل هذه نصيحة سديدة ؟ تبّاً لكما. لا يغربْ عن بالكما ان السماء نصيرة الضعفاء المظلومين وفي رحابها يتربع على عرش العدالة ديّان لا يقوى أيّ ملك على استمالته بالطرق الملتوية.

كمبايوس : همومك تدفعك الى هذا القول لتنفيس غضبك الذي ضعضع رشدك.

الملكة كاترين : لا بأس عليّ ممّا أُعلنه، وقد ظننتكما إنسانين قدّيسين، واعتقدت بأنكما رجلا دين فاضلان، بينما انتما في الواقع ابليسان متسترّان بلباس الكردينالية، وذئبان غادران في ثياب الحمل، بتّ اخاف بطشكما. ارجوكما أن تصلحا نواياكما ولو من قبيل الحياء، ايها السيدان. أيكون عملكما مرضياً بما تحاولان ان تقوما به من تغطية غدركما؟ أيكون نفاقكما عذراً لما تريدان ان تضاعفا به شقائي؟ أراني امرأة ضائعة وسط أضاليل حيلكما إذْ يحاصرني شرّ مسعاكما وبؤس غايتكما الدنيئة. ثقا بأني ارفع من خساستكما، واستمعا الى ما اصارحكما به : إني أُنبّهكما، فحذارِ من مغبّة ما لا تسمح السماء بأن تقدما عليه من إذلالي. واخشيا ان ينصبّ على رأسكما ما تبغيان ان تنزلاه بي من شقاء وهوان.

ولسي : ان ما تنطقين به، يا سيدتي، هو محض هذيان وهراء. فأنت تقلبين رأساً على عقب ما نودّ أن نقدّمه لك من خدمة جليلة وتحوّلينه الى خيانة نكراء.

الملكة كاترين : انتما تريدان هلاكي. فالويل لكما ولكل دجّال على شاكلتكما. هل تريدان، إن بقي لديكما من صفات البشر بعضُ العدل والرحمة، ومن دلائل رجال الدين غير الثوب الخارجي الخدّاع، أن أضع قضيتي المحقّة بين يدي رجلين يكرهانني؟ يا للأسف، هو قد أقصاني عن سريره وعن قلبه منذ زمن بعيد. وها أنا قد طعنت في السنّ، يا سيداي، ولم يبقَ من وثاق يربطني بشخصه في الوقت الحاضر سوى الإزعان والخضوع.

فماذا يمكن ان يداهمني من شرّ أفظع من هذا البؤس المدمّر ؟ لا أعتقد بأن يتوصل دهاؤكما الى صبّ لعنة على رأسي أحطّ من هذه.

كمبايوس : مخاوفك تدفعك الى المبالغة والتمسّك بالأوهام.

الملكة كاترين : هل يتسنّى لي، وانا مضطرة الى التكلّم، حين لم يعد للفضيلة من انصار، هل يتسنى لي ان اعيش كزوجة وفيّة وامرأة لا يغريها المجد الباطل كما أجرؤ ان اسمّيه، ولا أدع سبيلاً للشكوك ان تؤثر على سمعتي ؟ وبعد أن أحطتُ الملك بكل عطفي ورعايتي وطاعتي وحبي الفائق متناسية حتى الصلاة اثناء بذلي كل جهودي لارضائه. فكانت مكافأتي ما ألاقيه الآن من إهانة وإذلال ؟ ردّوني الى زوجي كامرأة أمينة لم تحلم يوماً إلا باسعاده فأضيف الى ما تتحلّى به هذه الزوجة الوفية ما لا ازال أستطيع ان ابذله في سبيله من اخلاص وصبر وتفاني.

ولسي : لقد ابتعدت كثيراً، يا سيدتي، عن الغاية السلمية التي نتوخّاها.

الملكة كاترين : انا لا اريد ارتكاب جرم التخلّي طوعاً عن لقبي النبيل الذي جعلني شريكة حياة مولاي. فالموت وحده قادر على انتزاع كرامتي مني.

ولسي : ارجوك ان تصغي اليّ.

الملكة كاترين : كم وددت ان لا تكون قدمي قد وطأت ارض انكلترا، ولا ان اكون قد تنشّقت هواء التمليق الذي يعبق في اجوائها. أرى لكم وجوه ملائكة، غير أن السماء تعرف ما يعشعش من فساد في أعماق صدوركم. ايها الاشقياء، ماذا سيحلّ بي بعد الآن على يدكم ؟ أنا

أتعس نساء الأرض قاطبةً. (لمرافقاتها) وا أسفاه، أيتها الصبايا المسكينات، ماذا سيحلّ بكن من مصير غامض كئيب وأنتن على وشك الغرق معي في أوحال هذه المملكة الغاشمة حيث لا رحمة ولا اصدقاء ولا رجاء، حيث لا قريب يبكي سوء طالعي وأوشك أن لا أجد قبراً يضمّ رفاتي عند موتي. وكما قرأت مؤخراً عمّا لا يتألّق ولا يزهر في البراري من أعشاب سأحني رأسي وأستسلم الى المنيّة والفناء بدون أن يأبه لي أحد.

ولسي : لو شئتِ، يا صاحبة السموّ، ان تتركينا نقنعك بأن غايتنا شريفة لشعرتِ بالاطمئنان حتماً. لماذا، يا سيدتي الكريمة، نريد لك الأذى ؟ كوني على ثقة بأن وظيفتنا وطبيعة رسالتنا السامية تحرّمان علينا كل شرّ. وهدفنا هو مداراة مثل هذه الجراح لا ان نزيدها ألماً. فبحقّ السماء، لا ترفضي ما نطلبه منك بل خذيه بعين الاعتبار ولا تسيئي الظن بنوايانا الطيّبة. كم تسبّبين لنفسك من الضرر بإصرارك على هذا التصرف المهووس الذي يسيء اليك والى الملك معاً. إن قلوب الامراء لا تنفر من انصار الطاعة لأن هذا التسليم اساس علاقاتهم المخلصة. اما التشبّث بالمقاومة فوسيلة مرذولة لأنها لا تولّد إلاّ الخلافات العاصفة المدمّرة. وانا اعرف جيداً انك لطيفة ودمسة الاخلاق وبعيدة كل البعد عن الخشونة. فارجوك بما انك تميلين الآن الى الهدوء والصفاء ان تعتبرينا وسطاء خير وسلام وأصدقاء وفاء وولاء في سبيل خدمتك.

كمبايوس : المستقبل سيثبت لك صحة أقوالنا، يا سيدتي، وانت تتنكّرين اليوم لفضائلك إذ تتمسّكين بهذه الأوهام التي

لا تسيطر إلّا على المرأة الضعيفة اليائسة. بينما علوّ النفس الذي تتحلّين به يدعوك الى تجنّب هذا الحذر كأنه عمْلة مزيّفة. فالملك لا يزال يحبك، وعليك ان تثقي بعطفه ورعايته. فان شئتِ ان تتّكلي علينا في حلّ هذه القضية التي نكرّس كل جهودنا لمعالجتها، لن ندّخر وسعاً في بذل كل غيرتنا ودرايتنا في سبيل مصلحتك، فلا تكوني من الخاسرين.

الملكة كاترين : أهذا ما تقصدان، يا سيداي ؟ ارجوكما اذاً ان تعذراني اذا أسأت الظن بحسن تصرفكما. أنتما تعلمان اني امرأة لا املك البلاغة اللازمة للردّ بلياقة عن مثْلكما. أرجوكما ايضاً ان تُبلغا احترامي ومودتي لجلالته الذي لا يزال حبّه يملأ شغاف قلبي، ويستأثر بجميع ابتهالاتي حتى آخر أنفاسي. هيّا، يا سيداي المحترمان، زوّداني بنصحكما، فانا لم أُفكّر يوماً منذ ان وطأت قدمي هذه الأرض، بأن أدفع غالياً ثمن ما حظيت به الى الآن من عزّة ورفاه.

المشهد الثاني

في جناح الملك.

(يدخل دوق نورفولك ودوق سوفولك وكونت سوراي ولورد شمبلّان).

نورفولك : اذا حزمتِ امركِ الآن وقررتِ ان ترفعي شكواك وتلحّي على إنصافك، فالكردينال لن يستطيع منعك. واذا تركتِ الفرصة السانحة تفوتك، انا على يقين بأنك ستلاقين صعوبات جديدة أدهَى من التي تعانينها في الوقت الحاضر.

سوراي : انا سعيد بهذه الفرصة التي تذكّرني بأن الدوق والد زوجتي يجد الوقت ملائماً للانتقام من خصمه.

سوفولك : اي مسؤول لم يقاسِ من مناوأته ومن تجبّره وتشامخه ؟ وهل إحترم هو أترابه وحافظ على كرامة اصحابه ؟

لورد شمبلان : يا مولاي، أنت تتكلم على هواك. وأنا أعرف جيدا ما يُشاع عني وعنك ايضاً. ولكن ما باليد حيلة، مهما ساعَدتنا الظروف نظل مقصّرين. اني اتساءل بقلق إن كنت تقوى على عدم نقل حقيقة الموقف الى الملك. اسمع اقتراحي، ولا تحاول ان تتهجّم عليه لأن لديه القدرة على اجتذاب الملك الى جانبه وجعله يصدّق كل كلمة يتلفّظ بها أمامه.

نورفولك : لا تخْشَى الملامة من هذا القبيل، لأن سحره بَطُل تأثيره على جلالته الذي اكتشف سرّه وراح يسعى الى إبطال مفعول ما يغدقه عليه من كلام معسول. أجل

لقد تدنّى نفوذه لدى الملك بشكل لا يساعده على استرجاعه بعد الآن.

سوراي : يسرّني أن أتلقّى كل ساعة مثل هذا النبأ.

نورفولك : صدّقني، هذا واقع أكيد. لأن تصرفاته المتناقضة في قضية هذا الطلاق وألاعيبه الخبيثة إفتضح أمرها، وهو الآن في وضع لا يحسد عليه ولا أتمناه لألدّ أعدائي.

سوراي : وكيف انكشفت مكائده ؟

سوفولك : بطريقة غريبة جداً.

سوراي : هل لي أن أطّلع عليها ؟

سوفولك : لقد ضلّت رسالة الكردينال الموجّهة الى بابا روما طريقها ووقعت صدفةً في يد الملك. وفيها قرأ كيف إلتمس الكردينال من البابا بإلحاح تدخّله شخصياً في الأمر، وكيف وافق قداسته على تجميد حكم الطلاق. إذْ في حال حصوله، تبيّن لي ان الملك لن يقف مكتوف اليدين كما قال حرفياً، ما دام جلالته قد وقع في هوى إحدى وصيفات الملكة هي السيدة آن بولان.

سوراي : أتقول أن الرسالة أضحت الآن في حوزة الملك ؟

سوفولك : بكل تأكيد.

سوراي : وهل لهذا الأمر من تأثير ؟

لورد شمبلان : طبعاً، لأن الملك يرى في بلوغ غايته أنه يتدهور بطريقة ملتوية خفيّة الى قعر الهاوية. لكن جميع محاولاته ستفشل ولن يتلقّى المريض دواءه قَبْل ان يقضي نحبه، لا سيما حين يتزوج الملك حسناءه وفاتنة لبّه.

سوراي : ان شاء الله.

سوفولك : ارجو ان توصلك هذه الامنية الى الابتهاج بتحقيق مرامك، يا مولاي، بل انا واثق بأنك ستنال مبتغاك لا محالة.

سوراي : كم أكون سعيد الحظ اذا تحقّق هذا الرجاء.

سوفولك : آمين.

نورفولك : الجميع يأملون حصول ذلك.

سوفولك : لقد صدرت الأوامر بالتتويج قريباً. هذا النبأ حديث العهد، وهناك أشخاص لا لزوم لوقوفهم عليه. لكن، يا سيداي، لا تنسيا انها امرأة رائعة متوقّدة الذكاء بهيّة الطلعة. وأنا على يقين بأن السماء في عهدها ستمطر البركات علينا بشكل لن ننساه مدى العمر.

سوراي : آمين ثم آمين.

سوفولك : لا، لا. هناك من لا يرضيهم تحقيق هذا المشروع لأن اهدافهم تعاكس ما يرجوه سواهم. فالكردينال كمبايوس ذهب سرّاً الى روما بدون ان يُعلم أحداً، تاركاً حل المسألة للملك. ولقد اختفى خلسة بأسرع ما يمكن، لأنه كنصير الكردينال، يودّ ان يساعده على تنفيذ هذه المكيدة. أؤكد لك ان الملك عند اطّلاعه على ذلك صرخ : سنرى ماذا تكون العاقبة.

لورد شمبلان : أسأل الله ان يلهمه على التشدّد لقاء هذا الانحراف، كي يلقى جزاء ما جنت يداه.

نورفولك : لكن، متى سيعود كرانمر، يا مولاي ؟

سوفولك : لقد عاد، وهو يميل الى تبنّي هذا الرأي. وقد حمل الملك على التشبّث بطلب الطلاق الذي يوافقه عليه

معظم أُلي الشأن من المسؤولين. وقريباً، على ما اعتقد، سيعقد زفافه الثاني نظير تتويجه الثاني، حين تزول عن كاترين صفة الملكة وتصبح أميرة سابقة وتعود الى وضعها كأرملة الأمير ارثور.

نورفولك : في الحقيقة كرانمر فتى شجاع، وقد انكبّ بكل إخلاص على تحقيق رغبة الملك.

سوفولك : لا شك في ذلك، وسيُعيَّن قريباً رئيس اساقفة لمكافأته على سعيه.

نورفولك : لقد سمعت المسؤولين يتداولون في هذه الترقية.

سوفولك : لا تَنْسَ ان الكردينال وراء هذا المسعى.

(يدخل ولسي وكرومويل).

نورفولك : لاحظ ما هو عليه من الارتباك.

ولسي : هل سلّمت الملك تلك الرزمة، يا كرومويل ؟

كرومويل : نعم، يداً بيد في غرفة نومه.

ولسي : وهل رأى مضمون الورقة ؟

كرومويل : اجل، لقد فضّ الغلاف حالاً، ولدى تلاوة الأسطر الأولى، تبدّلت ملامحه وساوره القلق، وبدا على محياه انشغال البال، ثم طلب مني ان ابلغك انه ينتظرك لتوافيه ها هنا هذا الصباح.

ولسي : هل هو متأهّب للخروج ؟

كرومويل : أظن أنه يرغب في ذلك.

ولسي : دعوني وحدي بعض الوقت. (يخرج كرومويل) ان الفتاة التي سيقترن بها هي دوقة آلانسون شقيقة ملك فرنسا. أمّا آن بولان فليس لها أي نصيب. انا شخصياً لا أوافق على اقترانه بآن بولان. لانها لا تأتيه إلّا

بمحيّاها الجميل فقط. لا، لا، من تكون بولان ؟ انا لا اريدها. لقد تأخرتْ عليّ أنباء روما... أين المركيز بمبروك ؟

نورفولك : هو مستاء ومعتكف.

سوفولك : ربما علم بأن غضب الملك عليه يزداد باستمرار.

سوراي : لا بأس ان اشتد هذا السخط، لأنه سيؤول الى اظهار عدالتك المحققة، يا الهي.

ولسي : أيعقل أن تصبح احدى وصيفات الملكة السابقة، وهي ابنة فارس مغوار، سيدة سيدتها وملكة ملكتها السابقة ؟ لا شك في ان هذا غير معقول ولا يمكن ان يتمّ، وعليّ انا ان احول دون حدوثه. مع اني اعلم علم اليقين بأنها امرأة فاضلة تستحق كل خير. لكن هذا الامر لا يهمّ. علاوة على ذلك أعرف أنها من طائفة غير طائفتنا. لذا لا يناسبنا أن ندعها تستحوز على عواطف ملكنا الذي نلاقي شتى الصعوبات في التأثير على تفكيره. ثم ان بروز كرونمر لا يخدم مصالحنا لأنه هرطوقي متزمّت وقد أخذ يحظى برضى الملك وأمسى من أقرب مستشاريه.

نورفولك : أجل. لكنه مستاء من بعض الاحداث.

سوراي : أتمنّى ان لا يؤدّي به الانزعاج الى إصابته بمرض عضال يوقف قلبه عاجلاً عن الخفقان.

(يدخل الملك وهو يقرأ لائحة، ويتبعه لوفال).

سوفولك : ها هوذا الملك مقبل.

الملك هنري : ما هذه الثروة الطائلة التي جمعها لنفسه ؟ وما هذه

المصاريف الباهظة التي ينفقها بدون حساب ؟ كيف تسنّى له أن يجني بسرعة كل هذه الأموال؟ هل رأيتم الكردينال، يا سادة ؟

نورفولك : يا مولاي، كنا هنا نراقبه. فلاحظنا ان اموراً غريبة تشغل افكاره إذ كان يعضّ شفته ويرتعش. ثم يتوقّف بغتةً وقد وضع يده على خدّه. وما لبث ان تحرّك فجأة! ثم توقّف ثانية ودقّ على صدره بعنف وسرعان ما بحثتْ انظاره عن القمر في كبد السماء. فلفتت انتباهنا كل هذه التغييرات التي طرأت على ملامحه في برهة وجيزة.

الملك هنري : هذا لا يدهشني منه، وأظنّ ان الاضطراب يجتاح تفكيره. في هذا الصباح ارسل اليّ اوراقاً تخصّ شؤون الدولة، فطلبت الاطلاع عليها. وهل تعلمون ما وجدت صدفةً من امور حدثت بدون علمي ؟ عثرت على لائحة بمختلف الأواني الفضيّة والتحف والجدرانيات والمفروشات التي تزيّن منزله، فتبيّن لي انها تؤلف ثروة ضخمة تفوق بما لا يقاس امكاناته الشرعية لاقتنائها.

نورفولك : هذه نعمة نزلت من السماء. لا شك بأن أحد المخلصين قد دسّ هذه الورقة في الرزمة لإماطة اللثام أمام عينيك عن هذا التصرف المنحرف.

الملك هنري : اذا صدّقنا ان الشكوك تحوم في جوّ هذا الانسان وأنها ترمي الى هدف خفيّ، فانها حتماً أفسحت له مجال التخيّلات. لكني اخشى ان تكون أفكاره المشتّتة غير جديرة بأن تؤخذ جدّياً بعين الاعتبار.

(يجلس على عرشه، ويكلّم بصوت خافت نوفال الذي يتوجه نحو ولسي).

ولسي : سامحني الله، وبارك جلالتك.

الملك هنري : يا صاحب السيادة، أنت موهوب لإدراك المسائل السماوية ولذا تحفظ في قائمتك تعداد أجمل تحف ثروتك. لا شك في انك كنت تتفحّص تفاصيلها منذ لحظة، وأظنّ أنك نادراً ما تجد متسعاً من الوقت لمراجعة حساباتك الأرضية. وأنا على يقين بأنك من هذا القبيل لا تحسن التصرّف، ويسرني أن اعتبرك شبيهي في ذلك.

ولسي : مولاي، لديّ أوقات اكرسها لواجباتي الدينية واخرى اصرفها في الاهتمام بما أُلقي على عاتقي من شؤون الدولة. كما ان هناك مسائل خاصّة تتطلب مني ان لا اهملها، بصفتي احد افراد الاسرة الانسانية ونظير أترابي لا بدّ لي من تفقدها.

الملك هنري : هذا كلام معقول جداً.

ولسي : فهل لي ان أربط بين خيال سموّك وأفكاري. وتصرفاتي الخيّرة وأقوالي السديدة ؟

الملك هنري : هذا أيضاً كلام في محله. لأني أعتبر القول المفيد بمثابة العمل المجدي، وإن لم يقترن الكلام دائماً بالفعل. فقد كان والدي يحفظ لك أخلص الودّ، كما كان بالنسبة اليك يقرن القول بالعمل. لكن، منذ إنتقال الحكم اليّ قصدتُ إبقائك دوماً الى جانبي. ولم اكتفِ بتسليمك المناصب العالية التي تعود عليّ بالفوائد الجلّى، بل أردت ايضاً ان امنحك بعض أموالي، وأخصّك بفائق عطفي ورعايتي.

ولسي (على حدة) : ما فحوى هذا الحديث، يا ترى ؟

سوراي (على حدة) : أطلب من الله أن تتوطّد هذه الوضعية.

الملك هنري : ألم أجعلك الرجل الأول في مملكتي ؟ فأصدقني إن كان ما أصرّح به الآن صحيحاً أوْ لا. وإن كان ردّك إيجابيّاً، بيّن لي إن كنت قد غمرتك بالمعروف أو لا. ما هو جوابك اذاً ؟

ولسي : يا مليكي المفدّى، انا اعترف بأفضالك عليّ وبجودك الملكي الذي غمرتني به لأن كرمك في كل يوم لم يقصّر في تطويق جيدي بمنّة جديدة فتجاوزت أضعاف أضعاف ما قدمته انا لجلالتك من الغيرة في خدمتك. وليس هناك اي مجهود بشري يسعه ان يوازي سخاءك. فظلّت مساعيّ اقلّ مما تمنّيت ان ابذله في سبيلك، يا مولاي. لكنها لم تقلّ عن طاقتي ورغبتي في نيل رضاك. وأنت تعلم ان نظراتي الخاصّة لم تقتصر على شخصي بمقدار ما كنت أتمناها ان تكون دائماً محصورة في خدمتك ولصالح الدولة. ولقاء الافضال التي اسبغتها عليّ، وإن كنت لا استحقها، لم أستطع ان أخصّك إلا بصلواتي الحارة مستمطراً مدى ما حييت وحتى آخر أنفاسي، نِعَم السماء على شخصك الكريم وحكمك العادل.

الملك هنري : هذا جواب سديد، يُثبتُ ما أنت عليه من ولاء واخلاص. وغنيّ عن التعريف أن الامانة جزاؤها التقدير، كما ان الذلّ هو عقاب الخيانة. طبعاً إن كنت قد أجزلت لك العطاء بسخاء لقاء اعمالك الصالحة، ولم أبخل عليك بمحبتي الصادقة وخلعت عليك السلطة والجاه اكثر من اي شخص آخر، فأنا

على يقين بأنك اخلصت لي بسعيك وقلبك وعقلك وكل قواك، وتفانيت في سبيلي لا بصفتي الرسمية فقط بل وفاءً لرعايتي الخاصّة وما شملتك به من صداقتي اكثر من اي شخص سواك كما تعلم جيداً.

ولسي : أؤكد لك اني عملت دوماً لصالح جلالتك اكثر مما عملت لنفسي. هكذا كنت وهكذا لا ازال وهكذا سأظل على الدوام. واذا خفر جميع الناس عهودهم نحوك، واذا تضافرت كل الاخطار على النيل مني بقدر ما يمكن ان يتصوره الفكر بكل الاشكال الرهيبة، سيبقى ولائي لك كصخرة صامدة في وجه الأمواج المتلاطمة، سيحطّم طغيانها الغاضب وسألبث أميناً وفيّاً لك مدى الدهر.

الملك هنري : هذا حديث نبيل. إشهدوا، أيها السادة، على ولاء هذا الرجل الكبير الذي كشف مكنونات صدره امام عيونكم (يقدّم له بعض اوراق). اقرأوا هذا ثم ذاك، واذهبوا بعدئذ وتناولوا طعام إفطاركم بشهيّة.

(يخرج الملك، وهو يلقي نظرة اشمئزاز على الكردينال. ويخرج النبلاء وراءه وهم يبتسمون ويتمتمون).

ولسي (وحده) : ما معنى هذا التصرف ؟ لماذا هذا الغضب المباغت ؟ وكيف جلبته على ذاتي ؟ لقد غادرني مكفهرّ الوجه، وكان عزمه على اهلاكي واضحاً في نظراته. هكذا يتطلّع النمر الهائج الى الصيّاد الجسور الذي جرحه، قبل أن يمزّق أوصاله. لا بد لي من معرفة مضمون هذه الورقة التي تحوي بدون شك ما أثار سخطه. ها هيذا الورقة التي ادانتني. هذا هو عالم

الغنى الذي سخّرته لأغراضي الشخصية ولا سيما وصولي قريباً الى السدّة البابويّة ودفع ما يتوجب عليّ لأصدقائي في روما. تبّاً لهذا الاهمال الجنوني. اي شيطان من اعدائي دسّ هذه الورقة السرّيّة في الرزمة التي ارسلتها انا الى الملك ؟ ليس امامي ما استدرك به هذه المفاجأة المشؤومة، وليس من وسيلة لطرد هاجسها من رأس الملك. طبعاً هزّ محتواها كيانه كما أرى. لكني اعرف أسلوباً اذا نجح، ساعدني على الخلاص من هذه الورطة. ها هي : « سأتوجّه الى البابا. لعمري، سأستعجل مفعول رسالتي الى بابا روما وقد ضمّنتها جميع تفاصيل القضية الشائكة. الوداع اذاً. ها قد بلغت ذروة عظمتي ومن قمة مجدي سأهرول الى منقذي. سأهبط عليه مساءً كأني جرم سماوي، ولن يراني أحد آنذاك. »

(يعود دوق نورفولك ودوق سوفولك وكونت سوراي ولورد شمبلان).

نورفولك : استمع، ايها الكردينال، الى رغبة الملك الذي يأمرك بتسليمي الختم الكبير حالاً، وبالانسحاب الى مقرّ آشير حيث يقيم لورد ونشستر الى أن يبلغك لاحقاً قرار جلالته النهائي.

ولسي : مهلاً. أين التفويض الخطّي بتكليفك، يا مولاي ؟ فالكلام ليس له قوّة المستند الرسمي.

سوفولك : ومن يجرؤ على معارضة الكلام عندما يصدر عن شخص الملك بالذات ؟

ولسي : الى ان يصلني انذار بطريقة غير الكلام الذي يفضح حقدكم. إعلموا أيها السادة غير المحترمين أني أجرؤ على

المقاومة. الآن لمست من أي معدن رخيص أنتم ما دام الحسد رائدكم، وأي جشع يدفعكم الى العمل على تحطيمي في سبيل مآربكم الدنيئة، وكم من التساهل تبدون للوصول الى تدميري وازالتي من طريقكم. تابعوا الانقياد الى صغاراتكم، يا أشباه الرجال يا من تتذرعون بغيرتكم على تأدية واجبكم ما دام لا أحد يشكّ حتى الآن بنواياكم الخبيثة. ان هذا الختم الذي تطلبونه مني بمنتهى الوقاحة، قد سلّمني اياه جلالته بيده الكريمة، وهو سيدي وسيدكم، وقد ألحّ علي بأن احتفظ به لأمارس السلطة والمسؤولية باسمه طوال حياتي. ولكي يثبت لي هذا التكليف زودني برسائل رسمية تعلن مشيئته العليّة. فمن يجسر الآن على انتزاعه مني ؟

سوراي : الملك الذي سلمك اياه.

ولسي : اذاً لا بدّ من ان يطلبه مني هو شخصياً.

سوراي : يا لك من رجل دين متمرد عنيد.

ولسي : انت كاذب، ايها السيد. فمنذ برهة وجيزة كنت، يا سوراي، تقطع لسانك قبل ان تجرؤ على التكلم هكذا.

سوراي : ان طمعك، يا من تجسّد الفساد وتسربله بلون الارجوان، قد اقتلع من هذه الأرض بوكنكهام النبيل والد زوجتي. إعلم ان جميع رؤوس زملائك الكرادلة، بالإضافة الى رأسك وهو أثمن ما تملك، كلها لا تساوي شعرة من رأسه. ليت الطاعون يفتك بك وبمؤيّدي سياستك. لقد ارسلتموني كتائب الى ايرلندا لتمنعوني من اغاثته، واقصيتم عن الملك كل من كان باستطاعته ان يتوسّط ويحصل له على مسامحته

بالجرم الذي ألصقتموه به. بينما انتم بما تدّعونه من عطفكم الكاذب على شخصه كنتم تضربون عنقه بالفأس وتتظاهرون بإغداق الرحمة والشفقة عليه.

ولسي : هذا، مع جملة ما يسع هذا الثرثار ان يلصقه بي، يبيّن انه منافق محتال. لقد نال الدوق ما يستحقه بموجب عقاب القانون، وأنا بريء من كل البغض الشخصي الذي قاده الى هلاكه. والبرهان على صحة قولي ما تجلّى من نبل هيئة المحلّفين ودناءة قضيته. لو كنت أميل الى كثرة الكلام، يا سيدي، لكنت أعلنت انكم لا تملكون إلا النذر اليسير من الشهامة والولاء نحو الملك مولاي ومليكي المفدّى، وانا مستعد لمجابهة أي رجل أقوى من سوراي وسائر أنصاره المهووسين.

سوراي : أقسم بحياتي، أنا رجل الدين، ان ثوبك الطويل هو الذي يحميك، وإلّا لكنت أحسست بحدّ سيفي يخترق شرايين قلبك. وانتم ايها السادة، هل يسعكم ان تتحملوا مثل هذه الوقاحة من رفيق كهذا الغبيّ ؟ لو كنا مستكينين ومروَّضين الى حد الخضوع لمن يلبس ثوباً أرجوانيّ اللون، لقلنا السلام على طبقة النبلاء. دعوا سيادته يتبجّح ويضايقنا وهو يتباهى بقبعته الحمراء.

ولسي : كل ما تستحقه هو سمّ يهري معدتك وأمعاءك.

سوراي : أجل، كل ما جنيته ناجم عن نقل اموال الدولة الى جيبك، أيها الكردينال الجشع، وعن رسائلك المستعجلة التي أُحتجزتْ، وعن تحاريرك الى البابا وفيها تتهجم على الملك. نعم، بما أنك تتحداني

ستكون مسؤوليتك كبيرة وواضحة أمام الملأ. مولاي نورفولك، باسم عراقة نسبك، وسعيك في سبيل خير الجميع ولا سيّما لأجل كرامة النبلاء المهانة، واولادنا الذين اذا عاشوا لن يكونوا وجهاء بكل معنى الكلمة، نلحّ عليك بأن تقدّم لنا لائحة تفضح جرائمه العديدة وبياناً وجيزاً عن اعماله الهدامة... سأجعلك تهتز هلعاً بشكل مكشوف، ممّا احدثه نفاقك المبطّن يوم كانت عشيقتك ترتع بالهوى بين ذراعيك، يا مولاي الكردينال التقي المفضال.

ولسي : كم تسوّل لي نفسي ان احتقر هذا الرجل، لولا الشفقة التي تردعني.

نورفولك : ان تفاصيل اعماله القبيحة اصبحت بين يدي الملك، وكلها تتعلق بمكائده الدنيئة.

ولسي : هكذا تظهر للعيان صفحتي البيضاء وبراءتي، عندما يطّلع الملك على براهين إخلاصي وولائي.

سوراي : لكن ذلك لن ينقذ حياتك. فبفضل قوة ذاكرتي لا تزال بعض أفعالك ماثلة في ذهني، وسأفصح عنها في حينها. أمّا الآن، فإذا خجلت وأعترفت بأنك مذنب سيكون ذلك دليل بقيّة إباءٍ لا تزال تراود ضميرك.

ولسي : تكلّم، يا سيدي. فأنا مستعد لدحْض أحطّ اتهاماتك. وإذا استحيت وامتنعت فمن جرّاء ازدرائي بوجيه فَقَدَ كل شهامته ومروءته.

سوراي : أحبّ اليّ ان افقد اعتباري من ان أخسر حياتي. اما انت فأوّلاً، بدون موافقة الملك ولا حتى علمه، سعيت الى تنصيب ذاتك في مرتبة مندوب البابا، وبهذه

السلطة التي لا تليق بك بترتَ أحكام سائر الأساقفة.

نورفولك : فضلاً عن ذلك، وبدون علم الملك ومجلس المستشارين، عندما ذهبت كسفير لدى الامبراطور، سمحت لنفسك بان تصطحب الختم الكبير الى منطقة فلاندر الغربية حيث لا يحق لك ان تفعل ذلك، ولا أدري لأي سبب.

سوراي : كذلك أرسلت تفويضاً الى غوريغوريوس كاساليس بدون علم الملك طبعاً، لإقامة حلف بين جلالته وفرّاري.

سوفولك : وبدافع الغرور، ضربت رسم قبعتك المباركة على عملة الملك.

سوراي : ثم ارسلت مبالغ طائلة من المال، وانا اعرف جيداً بأي أسلوب جمعتها بعد أن أخرست ضميرك، لكي ترشو جماعة روما، وتعبّد طريق وصولك الى السدّة البابوية على أنقاض البلاد بأجمعها. هناك أيضاً أعمال أخرى عديدة شائنة هي من صنع يديك، ولا أريد أن ألوّث لساني بذكرها.

لورد شمبلان : يا سيدي، لا تهشّم بمثل هذه الضراوة سمعة رجل سقط من عليائه، بل دع الجميع يعتبرون تغاضيك عنه فضيلة. ما دام القانون سيعاقبه على هذه المعاصي التي يطال مرتكبها عدل القانون لا أنت. في الحقيقة قلبي يقطر دماً عندما أراه هو الكبير قد انحطّ وأمسى صغيراً جداً.

سوراي : أنا اسامحه على اساءاته.

سوفولك : سيدي الكردينال، ارجوك ان تعلم ان مشيئة الملك

هي كما يلي : بناءً على جميع المخالفات التي ارتكبتها ضمن نطاق هذه المملكة بصفتك مندوب قداسة بابا روما، تقع شخصياً تحت طائلة النصوص القانونية التي تدينك وتعاقبك، وتقضي بمصادرة ممتلكاتك وارزاقك وأراضيك وبيوتك ومفروشاتك، بعد ان تُرفع عنك حصانتك وحماية مولانا الملك. وهذا بالضبط ما أنا مكلّف بابلاغك إياه رسمياً.

نورفولك : والآن نتركك تتأمل في كيفية إصلاح سيرتك وشؤون حياتك. أمّا رفضك بعناد ان تسلّمني الختم الكبير، فسأعلم به الملك، وأنا طبعاً لا اشكرك على موقفك المشبوه. والآن، الوداع، ايها الكردينال المتمرد الحقير.

(يخرج الجميع ما عدا ولسي).

ولسي (وحده) : هكذا، الوداع ايضاً للخير القليل الذي تريده لي. والوداع طويلاً لكل عظمتك وجبروتك. هذا هو مصير كل انسان يحيد عن الحق ويضلّ سواء السبيل. اليوم يتشبّث بالامل الهزيل، وغداً يضيف اليه الورود ويكدّس جميع الروائع المزدهرة، وفي اليوم الثالث يجتاحها الصقيع الذي يقضي عليها، وحين يظن هذا الاحمق المغرور أن عظمته اصبحت دانية القطوف، سيكتسح الجليد جذوره ويهوي ويمسي حطاماً نظيري انا تماماً. فطوال عدة مواسم صيف، مثل الاولاد الصغار الذين يسبحون قرب الساحل متّكلين على العوّامات، غامرت انا ايضاً في ركوب امواج العزّ والمجد عكس تيارٍ جارفٍ لا مفرّ من الغرق في طياته

الهائجة متى صرت على بعد مسافةٍ من شاطئ الأمان. فلا يبقى لي سوى الارهاق والانهيار مهما قاومت وجاهدت للخلاص من الهوّة الفاغرة فاها لابتلاعي. في الحقيقة كل هذه الفخامة والبهرجة الدنيوية الباطلة بتّ اكرهها وأشعر بأن فؤادي ينفتح اليوم على عواطف جديدة تغاير تماماً ما ألفته سابقاً. كم هو مسكين ذاك الرجل الذي يعتمد على هبات الأمراء. لأن بين الابتسام الذي يحلم به والنظرة المشفقة التي يجود بها عليه هؤلاء الامراء، وبين سقوطه وتدهوره يذوق مرارة أشدّ مما تتعرض لها النساء من خيبات الامل في الهوى وأعنف من ويلات الحروب الطاحنة. وعند سقوطه ينحدر نظير لوسيفورس الى أعماق جحيم اليأس والعذاب الأليم.

(يدخل كرومويل مذعوراً).

ماذا دهاك، يا كرومويل ؟

كرومويل : لم يعد لي من قوة على النطق، يا سيدي.

ولسي : هل راعك ما ألمَّ بي من كوارث ؟ هل هالك ان تعلم بأن احد عظماء العالم قد إنهار ؟ ان كنت تزرف الدموع فهذا دليل قاطع على سقوطي في وهدة العار والمذلة.

كرومويل : كيف حال سيادتك ؟

ولسي : أنا بخير، ولم أشعر بأني كنت في يوم من الأيام أسعد حالاً منّي الآن، يا عزيزي كرومويل. لقد عرفت ذاتي، وأنا أحسّ في أعماق نفسي بسلام يفوق كل مقامات الدنيا، وأنعم براحة البال والضمير بكل بساطة.

فالملك قد شفاني، ولذا أشكر جلالته بكل تواضع على إنقاذي من داء غروري. فمن خلف أمجادي المتبعثرة، ومن ذروة مناصبي المتداعية، قد اشفق وتكرّم عليّ برفع هذه الأحمال الثقيلة عن كاهلي، وهي بحجمٍ يُغرق أسطولاً بكامله. إن اكداس الامتيازات والتشريفات أرهقت قواي لشدّة وطأتها على إبائي، يا كرومويل. أجل، لأنها أثقل بكثير من كل المراتب الرفيعة على وجدان رجل يأمل يوماً بدخول السماء.

كرومويل : أنا سعيد بأن تكون سيادتك قد أدركت أخيراً حقيقة الأباطيل التي كنت تسعى وراءها.

ولسي : نعم، تلقّيت درساً لا يُنسى. والآن أجد في نفسي الشجاعة على تحمّل ما آلمني وزلزل قرارة كياني، وجعلني أتحمّل بصبر كل ما حلّ بي من شقاء لا أتمناه لألدّ أعدائي ممّن يُبهجهم تعذيبي وإذلالي. ما وراءك من الاخبار ؟

كرومويل : ان اصعب ظروفك الحالية التي ساءنا الوقوف عليها هي اوّلاً ما انزله بك الملك من هوان في إقصائك عن رفيع مقامك.

ولسي : مع ذلك، أشكر الله على كل حال.

كرومويل : ثم نبأ تعيين سرْ توماس موركلور مستشاراً يحلّ محلك.

ولسي : هذا لم يكن في الحسبان. لكن المذكور رجل عالي الثقافة. وأرجو له ان يتمتّع طويلاً بعطف الملك ورعايته، وأن ينشر العدل تحت راية الحقيقة

والضمير. حتى ينعم، عندما ترقد عظامه بعد انجاز مهمّته كما يجب، بجميع البركات التي تستمطرها عليه دموع الارامل واليتامى. وماذا يطلب اكثر من هذا ؟

كروموپل : لقد عاد كرانمر بعد ان لاقى استقبالاً حافلاً بسبب تعيينه كرئيس أساقفة كنتربري.

ولسي : هذا نبأ هام فعلاً.

كروموپل : ثم، ان السيدة آن التي تزوجها الملك سرًّا منذ زمن بعيد لقيت اليوم علناً كل التشريفات كملكة، اثناء ذهابها الى المعبد الصغير. ولا يدور الحديث الآن إلا على تتويجها قريباً.

ولسي : هذا هو الثقل الذي ضاق به صدري، يا كروموپل. فالملك تخلّى عني، وبذلك فقدت جميع امتيازاتي وأمجادي الى الابد، طبعاً بسبب هذه المرأة الفريدة. ولن تشرق عليّ بعد الآن أية شمس لتنير موكبي النبيل الذي كان افراده يرقبون ما اجود به عليهم من بسماتي. إبتعدْ عنّي، يا كروموپل، فقد أمسيت رجلاً مسكيناً مهملاً لا استحقّ ان أظلّ مولىً ووجيهاً. إذهب الى الملك الذي آمل أن لا ينظر إليك إلّا بعين العطف والرعاية، فلقد اخبرته من انت وكم تحفظُ له من الاخلاص والولاء. ولن يتأخر عن مكافأتك. ارجو ان يحمله ما تبقّى لديه من ذكراي، وأنا أعرف مدى نبل طبيعته، على الاهتمام بمستقبلك فيزيدك خيراً وفائدة. لا تغفل، يا كروموپل الكريم، عن مستقبلك بل اعمل على ازدهار مصالحك ولا تتوانَ عن تأمين سلامة مصيرك.

كرومويل : هل حان وقت ذهابك ؟ هل تحتّم عليّ الابتعاد عن صديق وفيّ مثلك، ثم حرماني من عطف سيّد كريم نظيرك ؟ كونوا شهوداً، يا جميع اصحاب القلوب القاسية، على مبلغ الألم الذي يعتصر فؤادي، انا كرومويل، حين أغادر سيدي ووليّ نعمتي. سيستأثر الملك بخدماتي، لكن صلواتي ستتجّه دوماً الى شخصك العزيز، يا مولاي.

ولسي : لم أكن أصدّق، يا كرومويل، اني سأذرف دمعة واحدة على كل ما حلّ بي من مصائب. لكنك بشهامتك ومروءتك جعلتني رقيق الشعور كالنساء. لنمسح دموعنا. أرجوك ان تصغي اليّ حتى النهاية، يا عزيزي كرومويل. عندما أصبح نسياً منسيّاً كما هو نصيبي من الآن وصاعداً، ويمسي جثماني أسير رمسٍ رخاميّ بارد، حيث يضيع اسمي بين ربوات من سبقوني الى العالم الآخر، تذكّر اني لقّنتك درساً لا ينسى، وقل في سرّك ان ولسي الذي سار في الماضي على دروب المجد والعظمة، وسبر اغوار كل الوهاد والعقبات، يحذّرك الآن، وهو يغرق في أوحال المناصب والأبهة، من ان تضل سواء السبيل الذي تعثّر عليه سيدك وكبا ثم هوى من ذروة عليائه. تأمّل هول سقوطي الذي أوصلني الى المذلّة والهلاك. أوصيك، يا كرومويل، بان لا تستسلم الى الطموح الجامح والأحلام الشاردة. لأن هذا بالذات هو ما أسقط الملائكة عن كراسي فضائلهم. فكيف اذاً يتسنى للانسان المصنوع على صورة خالقه ان يسلك دروب المعاصي ويرجو النجاح

والخلاص عن طريقها ؟ إجعل نفسك خادم الجميع وأحبب كل من يبغضك. وكن واثقاً بان الفساد لن يتغلب على الصلاح ولا الشر على الخير. إحمل دوماً غصن الزيتون رمز السلام بيمينك كي تتمكّن من إسكات جعجعة الحسد والضغينة في حنايا ضلوعك. كن عادلاً ولا تخشَ اي سوء. وفي كل مساعيك لا تنسَ مصلحة بلدك ومحبّة الله وقريبك وخدمة الحقيقة المجردة. حينئذٍ اذا سقطت، يا كرومويل، تعتبر شهيد الحقّ وواحداً من الاولياء. ولا تنسَ ان تُخلص دائماً للملك. والآن أرجوك أن تأخذني الى منزلي حيث سأطلب منك ان ترتّب لائحة بما لديّ من موجودات حتى آخر فلس لانها جميعها تخص الملك. اما ثوبي وابتهالي الى السماء فهما فقط ما أجسر على اعتباره من الآن وصاعداً ملكي الخاص. يا عزيزي كرومويل، لو كنتُ كرّست لخدمة الله ولو نصف الغيرة التي ابديتها في خدمة الملك لما كان سلّمني وانا متقدّم في السن، عارياً الى أعدائي.

كرومويل : صبراً، يا سيدي الكريم.

ولسي : كن مطمئناً. انا لا ازال احتفظ بقليل من الصبر. الوداع، يا من يعلّق عليك البلاط اكبر الآمال. أما انا فرجائي كله ينحصر الآن في نيل رضى السماء.

(يخرجان).

الفصل الرابع
المشهد الأول

قرب وستمنسر.

(لقاء وجيهين).

الوجيه الاول : يسرني ان ألقاك للمرة الاولى.

الوجيه الثاني : وانا ايضاً.

الوجيه الاول : هل اتيت لتجلس هنا وتشاهد السيدة آن عائدةً من حفلة تتويجها كملكة ؟

الوجيه الثاني : هذه هي غايتي الوحيدة. ففي المرة الاخيرة حين تلاقينا كان الدوق بوكنكهام راجعاً من محاكمته.

الوجيه الاول : هذا صحيح. لكن ذاك النهار كان يوم حزن، بينما هذا النهار هو يوم فرح عامّ.

الوجيه الثاني : حسناً. وهكذا أظهر المواطنون عواطفهم علناً نحو ملكهم وملكتهم. ولهم الآن ملء الحق بمقابلتهم بالمثل لانهم دائماً يتسابقون للاحتفاء بيوم كهذا وإقامة المهرجانات والتطوافات والمظاهرات العارمة.

الوجيه الاول : أؤكد لك أني لم أبصر في حياتي احتفالاً جاء في محله اروع من هذا.

الوجيه الثاني : هل لي ان أسألك ماذا تحوي الورقة التي تمسك بها؟
الوجيه الاول : نعم، هي لائحة من يتولّون اليوم مناصبهم حسب ترتيب مراسم التتويج. فدوق سوفولك يسير في الطليعة بصفة كبير مسؤولي الدولة، ثم يليه دوق نورفولك كنائبه ويأتي الباقون تباعاً.
الوجيه الثاني : أشكرك، يا سيدي. لو لم أطّلع على هذه الترتيبات لأفادتني لائحتك كثيراً. لكن، أرجوك ان تقول لي ماذا حلّ بالملكة السابقة كاترين، وأين صارت قضيّتها ؟
الوجيه الاول : في وسعي ان أعلمك بأن رئيس أساقفة كنتربري مع لفيفٍ من العلماء ورجال الدين المحترمين التابعين له شكّلوا مؤخراً هيئة محكمة في دونسْتابل على بعد ستة أميال من أمْبْتهيل حيث تقطن الملكة السابقة. والى هذه المحكمة إستُدعيتْ مراراً، ولكنها لم تحضر ابداً. ونظيراً الى قلق الملك من هذا القبيل، صدر الحكم بالطلاق بإجماع اصوات هؤلاء العلماء، وأُعلن بطلان الزواج السابق شرعيًّا. ومنذ ذلك الحين نُقلت الى كمْبلتون حيث تقيم في الوقت الحاضر.
الوجيه الثاني : يا للاسف، ما أتعس حال هذه السيدة الكريمة. (يسمع صوت أبواق) ها هي الأبواق تنفخ. لنقف جانباً، لأن الملكة قد وصلت.

ترتيب الموكب.

(تسمع أنغام موسيقى صاخبة). يدخل :

١ ــ قاضيان.

٢ ــ اللورد المستشار، يسبقه حامل الكيس والمطرقة.

٣ ــ جوقة مرنّمين وفرقة موسيقية.

٤ ــ محافظ لندن يحمل المطرقة ثم الملك بلباسه الرسمي وحامل ربطة الساق مرتدياً معطفه وعلى رأسه تاج من النحاس المطلي ذهباً.

٥ ــ المركيز دورسيه يحمل صولجاناً من ذهب يعلوه نصف تاج من ذهب، والى جانبه كونت سوراي حاملاً قضيباً من فضة تعلوه حمامة، وعلى رأسه تاج الكونتية وفي عنقه قلادة منصبه.

٦ ــ دوق سوفولك لابساً رداء الحفلات الرسمية وعلى رأسه تاج الدوقية، وهو يحمل قضيباً طويلاً ابيض بصفته احد كبار المسؤولين. والى جانبه دوق نورفولك يحمل عصى المارشالية وعلى رأسه تاج، وفي عنقه قلادة منصبه.

٧ ــ مظلة يحمل قوائمها اربعة بارونات ينتسبون الى المرافئ الخمسة. وتحت المظلّة تسير الملكة في ثوبها الخاص بالحفلة، وعلى رأسها تاج وشعرها مزيّن باللآلئ البرّاقة، والى جانبها يسير أسقفا لندن وونشستر.

٨ ــ دوقة نورفولك المسنّة وعلى رأسها تاج من ذهب تزيّنه الازهار، وهي ممسكة بذيل ثوب الملكة.

٩ ــ سيدات عديدات أوْ كونتسّات على رؤوسهن دائرة بسيطة من الذهب مزيّنة بالزهور.

— — —

الوجيه الثاني : لعمري، ما اروع هذا الموكب الملكي. اني أعرف أغلب الحاضرين لكن من هو حامل الصولجان ؟

الوجيه الاول : المركيز دورْسيه. وهذا هو الكونْت سوراي يحمل القضيب.

الوجيه الثاني : انه وجيه وسيم وشجاع. وهذا لا بدّ من أن يكون دوق سوفولك.

الوجيه الاول : صدقت. هو بذاته كبير المسؤولين.

الوجيه الثاني : وهذا هو لورد نورفولك.

الوجيه الاول : نعم.

الوجيه الثاني (وهو يبصر الملكة) : حلّت عليكِ بركة الله. فمحياكِ الصبوح أجمل ما وقعتْ عليه عيني طوال حياتي. أؤكد لك، يا سيدي، انها ملاك. ها هو الملك. وقد يجمع في يده كل ثروات الهند واكثر منها، عندما يضم هذه السيدة بين ذراعيه. لذا لا ألومه اذا طاوعه ضميره على تحقيق هذا الزواج الثاني.

الوجيه الاول : والذين يحملون مظلة الشرف فوق رأسها هم اربعة بارونات ينتسبون الى المرافئ الخمسة.

الوجيه الثاني : هؤلاء الرجال سعداء نظير كل من يسيرون بجوارها. اظن ان التي تمسك بذيل ثوب الملكة هي دوقة نورفولك المسنّة.

الوجيه الاول : هي بذاتها، وجميع السيدات الاخريات هن من الكونتسّات.

الوجيه الثاني : كما يدل على ذلك تاجهن. وهن في الحقيقة مجموعة نجوم متألّقة، قد تسقط أحياناً من عليائها.

الوجيه الاول : كفى.

(ينسحب الموكب على انغام الموسيقى). (يدخل وجيه ثالث)

حفظك الله، يا سيدي. أين لوّحت الشمس بشرتك هكذا ؟

الوجيه الثالث: حيث كنت بين الجمهور هناك في الدير، وحيث لم يكن من فسحة لموطئ قدم آخر، وقد أوشكت صيحات الابتهاج ان تصمّ الآذان.

الوجيه الثاني : هل شاهدت الاحتفال بكامله ؟

الوجيه الثالث: أجل، وبكل تفاصيله.

الوجيه الاول : وكيف وجدته ؟

الوجيه الثالث: يستحق المشاهدة حقّاً.

الوجيه الثاني : أرجوك، يا سيدي العزيز، ان تصفه لي.

الوجيه الثالث: سأفعل بقدر المستطاع. كان هندام اللوردات والسيدات في الواقع رائعاً، لا سيما عندما رافقوا الملكة الى مكانها الخاص امام الهيكل، ثم ابتعدوا عنها قليلاً. هناك جلست جلالتها مدة تقارب نصف الساعة لأخذ قسط من الراحة على عرش بديع حيث بدت للشعب بكل سناءِ جمالها الفتّان. صدّقني، يا سيدي، انها أبهى امرأة اضجعتْ الى جانب رجل. وبعد أن تأملها المعجبون بها جيداً، علت ضجة كالتي تسمع أثناء هبوب عاصفة هوجاء فوق أمواج صاخبة متلاطمة. فتطايرت القبعات والمعاطف والصداري ابتهاجاً في الهواء، ولو لم تكن الرؤوس متلاصقة في تلك الاثناء لضاعت جميعها حتماً في تلك النشوة، إذ لم اصادف ابداً فرحاً صاخباً كهذا. هناك نساء حاملات على وشك الوضع بعد نصف أسبوع يشبهن بضخامة ابدانهن تلك الاكباش الخشبية التي كانت تُستعمل لتحطيم الابواب في الحروب القديمة. وكان الجمهور المتزاحم المترنّح كالسكارى يتمايل ذات اليمين وذات اليسار. ولم يتسنّ لأحد من الرجال

المذهولين أن يهتف : ها هيذا زوجتي قد وجدتها أخيراً، بقدر ما كانت النساء متشابكات متلاصقات.

الوجيه الثاني : ارجوك ان تروي لنا ما جرى بعدئذٍ.

الوجيه الثالث: اخيراً وقفت جلالتها، وبخطوات متواضعة تقدّمت الى الهيكل حيث جثت على ركبتيها وكقدّيسة رفعت انظارها الى العلاء، وصلّت بكل خشوع. ثم نهضت وحيّت أفراد الشعب. عندئذٍ اقتبلت من يديْ رئيس أساقفة كنتربري جميع شارات تتويج الملكات، أي الزيت المقدس وتاج الملك إدوارد الشهير، ثم القضيب وطائر السلام وسائر الرموز التقليدية التي زيّنتها. ثم رافقتها جوقة المرنمين منشدة أعذب الالحان الملكية مع نشيد الشكر. ثم انسحبت في موكب حافل وعادت الى قصر يورك حيث تقام وليمة العرس.

الوجيه الاول : عليك من الآن وصاعداً، يا سيدي، أن لا تدعوه قصر يورك، لأن هذا كان اسمه في الماضي. فمنذ سقوط مكانة الكردينال تغيّر اسمه واصبح يخصّ الملك الذي دعاه « القاعة البيضاء ».

الوجيه الثالث: انا عالم بذلك. لكن تبديل الاسم حديث جداً وهو جديد عليّ.

الوجيه الثاني : من كان الاسقفان الوقوران اللذان مشيا الى جانبَيْ الملكة ؟

الوجيه الثالث: إسْتوكيسْلي وكاردينر، الاول اسقف ونْشستر الذي رقّي مؤخراً من منصب امين سرّ الملك الى اسقف لندن.

الوجيه الثاني : يبدو أن أسقف ونشستر ليس من الاصدقاء المقرّبين الى رئيس الاساقفة الفاضل كرانمر.

الوجيه الثالث: هذا معروف في سائر أنحاء البلاد. لكن ذلك لم يُحدِث بعد انشقاقاً ملحوظاً. وحين يتمّ الأمر لن يعدم كرانمر صديقاً يسانده ولن يتخلّى عنه مطلقاً.

الوجيه الثاني : ارجوك ان توضح لي من تعني بهذا التلميح ؟

الوجيه الثالث: توماس كرومويل، الرجل الذي يقدّره الملك حق قدره. إنه فعلاً صديق مخلص، وقد عيّنه الملك كحارس المجوهرات، وهو فضلاً عن ذلك احد أعضاء مجلسه الخاصّ.

الوجَيه الثاني : اعتقد بأنه يستحقّ اكثر من هذا.

الوجيه الثالث: اجل، بدون شك. هيّا، يا سادة، رافقوني، فأنا ذاهب الى البلاط حيث ستكونون من جملة الضيوف. إذ إن لي هناك بعض الأصدقاء. وفي اثناء الطريق سأزوّدكم بمزيد من المعلومات القيّمة.

الوجيهان الآخران : ها نحن بتصرّفك، يا سيدي.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في كمْبلْتون.

(تدخل الملكة السابقة كاترين، وهي مريضة يساندها كريفيت وبسْيانْس احدى وصيفاتها).

كريفيث : كيف حال سموّكِ اليوم ؟

كاترين : أنا مريضة، يا كريفيث، ومشرفة على الموت. أحسّ كأن رجليَّ لا تقويان على حملي، وتصطكّان كأنهما تهبطان بي الى الارض لتتخلصا من جسمي المتثاقل. قرِّبْ مقعداً واجلس الى جانبي. حسناً هكذا. الآن اشعر ببعض الارتياح. ألم تقل لي، يا كريفيث، عندما رافقتني إن حليف الرفاه المدلّل الكردينال ولسي قد توفي ؟

كِريفيث : أجل، يا مولاتي. لكنني اعتقد بأن سموّكِ نظراً الى ما كنت تعانينه من آلام لم تسمعي جيداً كل ما قلت.

كاترين : أرجوك، يا عزيزي كريفيث، ان تروي لي كيف مات. وإذا كان حقاً قد مات، فحتماً سبقني هو لكي أتبعه قريباً.

كريفيث : يُقال انه فارق الحياة، يا سيدتي. بعد أن ألقى القبض عليه الكونت نورْثمْبرْلنْد في يورك وقاده الى الاستجواب والتحقيق في موضوع التهم الخطيرة الموجهة اليه، داهمه المرض بغتةً وأصبح هزيلاً الى حد انه لم يعد قادراً على المكوث على سرج البغل اذا اراد ان يمتطيه.

كاترين : يا للاسف. مسكين هذا الرجل.

كريفيث : اخيراً، في الصباح الباكر، وصل الى ونْشسْتر وذهب الى الدير حيث يريد ان يقيم. هناك استقبله الرئيس ولفيف الرهبان بما يليق به من الحفاوة والاكرام، ووجّه اليهم الكلمات التالية : « جاءكم، يا سادتي، عجوز حطمته عواصف الدولة ليريح عظامه المرهقة فيما بينكم. فبداعي الرحمة، يلتمس منكم ان تمنحوه مساحةً صغيرة من الأرض ». وعلى الأثر ارتمى على سريره حيث عاجله المرض بخطى سريعة. وعند الساعة الثامنة، من ليلته الثالثة كما توقّع هو نفسه وأعلنه لسامعيه، فيما هو غارق في التأمل يلوذ بالندامة على ما فعل، لفظ انفاسه الأخيرة تحت وطأة الآلام والدموع، ورقد بسلام.

كاترين : أسأل الله ان يتغمّده برحمته الواسعة وأن يرأف به في محاسبته على ذنوبه. لكن اسمح لي، يا كريفيث، أن أصارحك بما افكر في ما يخصّ شخصه بدون ان احرمه ممّا يحقّ له مع ذلك من الشفقة. لقد كان رجلاً متجبّراً لا حدود لكبريائه وعجرفته. رفع نفسه الى مستوى الامراء، وعصر باختلاساته موارد المملكة عصراً. كان رأيه بالنسبة الى تسلّطه قانوناً لتمويه الحقائق، ولم يتورّع عن اللجوء الى الكذب والنفاق. فبرهن بذلك على ازدواجية شخصيته في كافة تصرفاته وأقواله وأفعاله ونواياه. وتبيّن للجميع ان مساعيه كانت خالية من كل رحمة وانسانية بحقّ من يقرّر تحطيمهم. امّا وعوده في ذلك الحين، وإن بدت صادقة فقد جاء الواقع ليفضح أمرها ويثبت اليوم أنها

كاذبة. وهكذا كان رجلاً دنيئاً ومثالاً رديئاً لأترابه رجال الدين ولعامة الشعب ايضاً.

كريفيث : سيدتي النبيلة، لا تنسَيْ ان نقائص المسؤولين المرموقين محفورة على صخور المنافع بينما فضائلهم مكتوبة على صفحة بحر مائج. فهل تسمحين لي، يا صاحبة السموّ، بأن أصارحك مع ذلك بما اراه فيه من خير ؟

كاترين : نعم، يا كريفيث الأمين، وإلا كنتُ حياله ظالمة، غاشمة، الأمر الذي لا ارضاه.

كريفيث : هذا الكردينال، مهما كان وضيع الأصل، قد تلقى ثقافة عالية منذ نعومة اظفاره على امل ان يبرز في واجهة المجتمع. واصبح هكذا عالماً ناضجاً قديراً واسع الإطّلاع، فصيح اللسان والبيان قويّ الحجة والاقناع. لكنه كان متشامخاً فجًّا حيال كل من لا يميل اليهم. امّا تجاه من كانوا يتودّدون اليه لقضاء حاجاتهم، فكان لطيفاً حيالهم كصيف معتدل المناخ. وفي مجال اقتناء ما يعجبه من مال ومتاع يخصّ سواه، كان طمعه جَشِعاً لا حدود له. فأوقعه في التعدّي على حقوق غيره، ولم يتردّد في هذا السبيل عن ارتكاب أحطّ الموبقات. بينما كان عطاؤه يليق بالأمراء ليعوّض نوعاً ما عن مساوئه. ويشهد على صحة كلامي معهدان توأمان هما إبْسْويتْشْ وأوكْسْفورد لنشر العلم والمعرفة. الاول إنهار بسقوطه ولم يعمّر اكثر من حياة مؤسّسه، والثاني وإن يكن غير كامل بعد، لا يزال شهيراً وممتازاً في ميدان

العلوم يتقدّم بخطوات ثابتة في مضمار الرقيّ، وسيظل فضله عميماً على الحضارة الانسانية يشيد الجميع بحسناته وفوائده على مدى الاجيال. أمّا سقوط هذا الكردينال العجيب فقد انقلب صفاءً على وجدان صاحبه لأنه جاء وسيلة مضمونة لإيقاظ ضميره وردّه الى جادة الصواب، اذ أدرك فحوى السعادة الحقيقية وتبيّن صغارته كإنسان ضعيف، وما شرّف أخيراً شيخوخته ورفعه في خاتمة المطاف الى مستوى يفوق كل ما نعم به في حياته من امجاد، هو وفاته في مخافة الله.

كاترين : بعد مماتي، لا أريد مؤبّناً ولا مؤرّخاً يسرد مراحل حياتي. ولكي اصون كرامتي من نفاق النمّامين المغرضين، اودّ أن يتم ذلك على يدك الكريمة، يا كريفيث. لانك حملتني اليوم بتواضعك المثالي على احترام رفات من كرهت مكره حين كان على قيد الحياة. فليرقدْ بسلام. وليصبّرني الله على تحمّل مصابي الأليم. والآن لم يعد لديّ ما أُزعجك بطرحه عليك من اسئلة، أرجوك، يا كريفيث، ان تطلب من الموسيقيين ان يعزفوا اللحن الحزين الذين أفضّله واعتبره كناقوس ينعي وفاتي، بينما أنا جالسة هنا أحلم بالسعادة والراحة الابدية التي أتوق الى التمّتع بها مدى الدهور.

كريفيث : ها قد نامت. فاجلسي ايتها الفتاة الصالحة الى جانبي بهدوء لنسهر عليها ولا نسبّبْ ما يوقظها أثناء رقادها هكذا بكل سكون، يا بسْيانْس اللطيفة.

الرؤيا

يدخل الواحد تلو الآخر بأبّهة، ستة اشخاص مرتدين ثياباً بيضاء وعلى رؤوسهم أكاليل من الغار، وعلى وجوههم أقنعة من ذهب وفي ايديهم اغصان زيتون أو سُعُف نخيل، يحيّون الملكة أوّلاً ثم يرقصون. وعند تغيير خطاهم وأوضاع رقصهم يمسك الشخصان الأوّلان بطرفَيْ حبل من الزهور يتدلّى من رأسهم، بينما الاشخاص الاربعة الباقون ينحنون بإجلال لتحيّتها. ثم يمدّ الاثنان الممسكان بحبل الزهور للإثنين التاليين اللذين يقومان بالمراسم ذاتها، عند تبديل خطى الرقص، ويرفعان حبل الزهور فوق رأس الملكة. ثم يناولان حبل الزهور فوق رأس الملكة. ثم يناولان حبل الزهور هذا للاثنين التاليين اللذين يقومان بالمراسم ذاتها ايضاً. وبعد هذا الإجراء، تأتي الملكة بإشارة فرح اثناء نومها كأن الوحي ينزل عليها، وترفع يدها الى العلاء. حينئذ تغيب الرؤيا في سياق الرقص ويختفي حبل الزهور معها، وتتواصل أنغام الموسيقى على هذا المنوال.

كاترين : يا أرواح السلام، أين أنتِ؟ هل غبْتِ بأجمعك؟ أوَتتركينني هكذا وحدي غارقة في خضمّ الهموم؟

كريفيث : نحن هنا، يا سيدتي، هدّئي روعك.

كاترين : انا لا استدعيكما انتما. أوَلَم تشاهدا أحداً يدخل الى هذا المكان، بعد ان استرسلت في النوم ؟

كريفيث : لم نبصر أي إنسان، يا سيدتي.

كاترين : أوَلم تريا في هذه اللحظة بالذات فرقة من أسعد

المخلوقات تدعوني الى الوليمة ؟ وجوهها تحاكي الشمس ضياءً، وقد ألقتْ عليّ فيض أنوارها، ووعدتني بأن تغمرني بهناء لا يزول، وجاءتني بحبال رائعة من الزهور، انا اشعر بأني لا استحق حملها، يا كريفيث. لكني آمل ان اكون أهلاً لهذه النعمة بكل تأكيد.

كريفيث : يسرّني، يا سيدتي، ان اسمع منك سرد حلمك هذا الجميل الذي أبهج مخيلتك الخصبة وبدّد اضطراب خاطرك.

كاترين : اوقف عزف الموسيقى لأنها باتت ثقيلة الوطأة على أذنيّ ولا طاقة لي على تحمّل سماعها باستمرار.

(يتوقّف عزف الموسيقى).

بسيانس (بصوت خافت لكريفيث) : أتلاحظ كيف تغيّرت ملامح سموّها بغتةً، وكيف انقبضت أسارير محياها ؟ ما هذا الشحوب المقلق ؟ ها قد أصبحت يدها باردة كالخزف. أنظر الى عينيها الغائرتين.

كريفيث : انها تسير على طريق الأبدية. علينا ان نصلّي لأجل راحة نفسها، ايتها الفتاة الوفية.

بسيانس : يا الهي، كُنْ بعونها في هذه الساعة الحاسمة.

(يدخل رسول).

الرسول : لا اريد أن ازعجك، يا صاحبة السموّ...

كاترين : ما هذه الجسارة ؟ ألم أعد استحق أي احترام ؟

كريفيث (للرسول) : أنت معرّض للملامة. ألا تعرف أن جلالتها ترفض التخلّي عن مكانتها كملكة سابقة، فبادرتها بمثل هذه اللهجة الخشنة. هيا اركع امامها واستغفرها حالاً.

الرسول : ألتمس عفوك بتواضع يا صاحبة السموّ. فاستعجالي قد جعلني قليل اللياقة. اسمحي لي ان ابلغك ان هناك رجلاً قادماً من قِبَل الملك يودّ مقابلتك.

كاترين : أدخله، يا كريفيث. ولكن، لا. لا أودّ ان أراه.

(يخرج كريفيث والرسول). (يدخل كريفيث ثانيةً بصحبة كبوسيوس).

اذا لم تخدعني عيناي، أنت سفير الأمبراطور، ابن أخي، واسمك كبوسيوس.

كبوسيوس : انا هو، يا مولاتي، خادمك الأمين.

كاترين : يا الهي، كم تغيّرت الاوقات والالقاب بصورة غريبة بالنسبة اليّ على الأقلّ منذ المرة الأولى التي شاهدتني فيها. ولكني أرجوك ان تقول لي : ماذا تريد منّي ؟

كبوسيوس : أوّلاً انا آت، يا مولاتي النبيلة، لأعرض عليك خدماتي. فقد طلب الملك مني أن ازورك، لانه مستاء جداً ممّا وصلتْ اليه صحتك من الهزال. فهو يبلغك بواسطتي أحرّ أمانيه الملكية ويستحلفك ان تتذرّعي بالصبر والشجاعة.

كاترين : هذا التشجيع، يا سيدي الكريم، جاء بعد فوات الأوان. فهو كالعفو بعد تنفيذ حكم الإعدام. ربما شفاني هذا الدواء لو أتى قبل استفحال الداء. لكن جميع الاسعافات أمست الآن عقيمة، ما عدا الصلوات الحارّة. كيف حال جلالته ؟

كبوسيوس : هو بصحة جيدة، يا مولاتي.

كاترين : ارجو له دوامها، كما أتمنّى له استمرار الازدهار، حتى بعد أن أرقد في مثواي الاخير، ويمّحي اسمي من

سجل الأحياء، هل أرسلتِ التحرير الذي أمليته عليك، يا بسْيانْس ؟

بسيانس (تسلّم الرسالة لكاترين) : كلّا يا سيدتي.

كاترين : (تنقل الرسالة الى كبوسيوس) : ارجوك بكل تواضع، يا سيدي، أن تسلّم مولاي الملك هذه الرسالة من قبلي.

كبوسيوس : بكل طيبة خاطر، يا مولاتي الكريمة.

كاترين : اني أوصي فيها جلالته بثمرة حبنا ابنتنا الشابة. لتنزلْ عليها بركات السماء كندى الصباح. هي لا تزال فتيّة وطبيعتها متواضعة ونبيلة. أتمنى لها كل ما تستحقه من سعادة وهناء. وأرجو جلالته ان يخصّها بقليل من المحبة اكراماً لي أنا والدتها، وقد أحاطني في الماضي بكثير من المحبة والاخلاص. في رسالتي هذه أتوسّل اليه ايضاً أن ينظر بعين العطف الى مرافقاتي ووصيفاتي اللواتي ظللْن مدة طويلة وفيّات لي ولا يزلن كذلك رغم ما تعرّضتُ له من شتى التقلبات المضنية. انا على يقين بأنهن جميعاً، ولا اقول سوى الحقيقة، من قبيل الفضيلة وجمال النفس والحق والشهامة والحياء وحسن السلوك، هن أهل للاقتران بأفضل الازواج وأنبلهم خلقاً. ولا أشك بأن هؤلاء الرجال سيسعدون بقربهن. آخر رجاء لي يتعلّق بأنصاري، لانهم مساكين. لكن فقرهم لم يفصلهم يوماً عني. أرجو ان تدفع لهم أجورهم كاملةً مع بعض الزيادات اكراماً لذكري. لو جادت عليّ السماء بعمر مديد وموارد كافية لما فارقتهم لحظة. هذا كل ما تحويه رسالتي. وأنت،يا مولاي الكريم، بحق اعزّ ما لديك في الدنيا،

وباسم هذا السلام الخاشع الذي ارجوه لكل المنتقلين الى العالم الآخر، أتوسّل اليك ان تظلّ ملاذ هؤلاء المساكين وان تحرّض الملك على تلبية إلتماسي هذا الأخير.

كبوسيوس : بحق السماء، سأفعل حرفياً كل ما طلبته مني. فاعتبري ذلك مني وعداً صادقاً وعهداً مقدساً لن أخلفه.

كاترين : اشكرك، ايها المولى النبيل. اذكرني بكل تواضع امام جلالة الملك، وقل له ان مسبّبة كل هذه المشاكل تفارق الآن هذه الدنيا باطمئنان. وقل له اني على فراش الموت استمطر عليه بركات السماء. نظري أضحى شحيحاً للغاية... الوداع، يا مولاي. عليّ ان استلقي على سريري، بغية الراحة. الوداع، يا كريفيث. لا، لا تتركيني الآن، يا بسّيانس. ارجوك ان تنادي لي وصيفاتي الأخريات لوداعهنّ. وعندما أموت، يا ابنتي العزيزة، أملي ان تعاملوني بلياقة وكرامة. غطّوني بالازهار العطرة. وليعلم الجميع اني كنت زوجة عفيفة امينة حتى ساعة وفاتي. أدهنوني بالطيب ثم ادفنوني. وإن كنت قد فقدت تاج ملكي، أرجو أن أُوارى الثرى كملكة وابنة ملك. لم أعد أتحمّل اكثر مما فعلت حتى الآن.

(يخرج الجميع. وبسيانس تأخذ الملكة الى مخدعها).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في احدى قاعات القصر.

(يدخل كاردينر اسقف ونْشسْتر، يتقدّمه غلام حاملاً مشعلاً ويصادف سرْ توماس لوفال).

كاردينر : الساعة الآن الواحدة، أليس كذلك، يا غلام ؟

الغلام : أجل، الواحدة تماماً.

كاردينر : هذه الساعة يجب ان تخصّص للحاجات الضرورية لا للهو. حان وقت استعادة قواي وأخذ قسط من الراحة ولا داعي لإضاعة هذه الأوقات المفيـدة. ليلـتك سعيدة، يا سرْ توماس. أين أنت ذاهب في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

لوفال : هل انت آتٍ من عند الملك، يا مولاي ؟

كاردينر : اجل، يا سرْ توماس. وقد تركته وهو يتسلّى بلعب الورق مع دوق سوفولك.

لوفال : لا بدّ لي من أن أقابله قبل أن يأوي إلى فراشه، فأسمح لي بالإنصراف.

كاردينر : تمهّل قليلاً، يا سرْ توماس لوفال. ماذا يجري هنا ؟

أراك مستعجلاً. اذا أمكن وبدون انزعاج، أرجوك أن تعطي صديقك فكرة عن هذه القضية المعقّدة. فالمسائل التي تنجلي ليلاً، كما يقال، تهدّئ الخواطر، وهي بطبيعتها اغرب من التي تراود الفكر نهاراً.

لوفال : بما أني أجلّك، يا مولاي، أجرؤ على إيداعك سرّاً أهم من مشاغلي. الملكة متضايقة الآن، ويقال انها معرّضة لخطر داهم، بل يخشى أن تقضي نحبها وهي تلد طفلها.

لوفال : اذاً يسعني أن اهتف آمين. مع ان خواطري تقول لي انها سيدة صالحة وامرأة فاتنة تستحق أحلى تمنياتنا.

كاردينر : لكن، يا سيدي... أصغِ اليّ، يا سرْ توماس. انت وجيه في نظري، وأعرف أنك رجل عاقل ومتديّن. فاسمح لي بمصارحتك بانها لن تنجو بسلام. كلّا، يا سرْ توماس لوفال، صدّقني انها لن تنجو بسلام. واعلم بخصوص كرانمر وكرومويل، وهما ساعدا هذه المرأة، أن الثلاثة لن يستريحوا حتّى في قبورهم.

لوفال : انت تتكلّم عن أبرز شخصيتين في المملكة. لان كرومويل، ما عدا ارتقائه الى منصب حارس المجوهرات، قد عيّنه الملك كأمين سرّه أيضاً. ثم انه على وشك احتكار مناصب أخرى عما قريب. وليس من إنسان يقوى على التلفظ بكلمة سوء في حقه.

كاردينر : أجل، أجل، يا سرْ توماس، لا أحد يجسر على ذلك. فلقد غامرت وصرّحت برأيي فيه، وفعلاً اعتقد بأني في هذا النهار، يا سيدي، أستطيع ان اقول لك اني حاولت أن أقنع لوردات المجلس بأن هذا الرجل

هرطوقي. انا اعرف ذلك جيداً، كما هو يعرف نفسه، فضلاً عن أنه مشاغب خطر يقيم البلاد بأسرها ولا يقعدها. واذْ تضايق الجميع منه، وأسرّوا للملك بقلقهم، أخذ الملك بعين الاعتبار هذا الوضع الحرج، وقدّر هول ما يحيق بنا من الكوارث التي لفتنا انتباهه اليها، واستمع الى شكوانا وأصدر أوامره التي ستُتلى غداً صباحاً امام هيئة المجلس. هو نبتة مضرّة، يا سرْ توماس، ولا بدّ لنا من إقتلاعها من جذورها لنأمن اذاها. أظن أن اشغالك تستدعيك، وانا لا أريد أن أحجزك وقتاً أطول. تصبح على خير، يا سرْ توماس.

لوفال : وانت ايضاً تصبح على ألف خير، يا مولاي. تراني على الدوام رهن اشارتك.

(يخرج كاردينر مع غلامه).

(حين يوشك لوفال ان يخرج، يدخل الملك ودوق سوفولك).

الملك هنري : يا شارل، لا أريد ان ألعب هذه الليلة اكثر ممّا فعلت. اذ اني لم أعد استوعب التفاصيل، وأنت أقوى مني في هذه التسلية.

سوفولك : لم أتغلّب عليك في اللعب ابداً حتى الآن. وأنت لن تتوصّل الى التغلّب عليّ عندما أكون شديد الانتباه. أخبرني ما هي أنباء الملكة، يا لوفال ؟

لوفال : لم أتمكّن من إبلاغها رسالتك شخصياً. غير اني سلمتها احدى وصيفاتها، وقد ردّت عليّ الجواب قائلة : ان الملكة تشكر جلالتك بكل تواضع وتستحلفك ان تصلّي لأجلها.

الملك هنري : ماذا تقول ؟ أأنا اصلّي لأجلها ؟ هل هي متألمة ؟

لوفال : هذا ما أعلمتني به إحدى وصيفاتها، وأضافت ان عذابها كلما كررت جهودها تحوّل الى ما يشبه سكرة الموت.

الملك هنري : لهفي عليك، يا سيدتي العزيزة.

سوفولك : أسأل الله أن يهوّن عليها الوضع بسلام وبأقل جهد أثناء المخاض، على أمل ان تنجب لجلالتك وريثاً من ابناء السلامة.

الملك هنري : ها نحن الآن في منتصف الليل، يا شارل. هيّا بنا الى النوم. أرجوك أن تذكر الملكة في صلاتك. دعني وحدي، اذ لدي اعمال لا تُسرّ ابداً من يظلّ في معيّتي.

سوفولك : اتمنّى لجلالتك ليلة هادئة، وطبعاً سأذكر مولاتي الملكة في صلاتي.

الملك هنري : تصبح على خير، يا شارل.

(يخرج سوفولك). (يدخل سرْ انطوني داني).

ما وراءك من الاخبار، يا سيّد ؟

داني : يا صاحب الجلالة، رافقت سيدي رئيس الاساقفة كما اوصيتني.

الملك هنري : الى كنتربري ؟

داني : اجل، يا مولاي الكريم.

الملك هنري : هذا حسن. أين هو الآن، يا داني ؟

داني : هو ينتظر إشارتك، يا مولاي.

الملك هنري : ادخله الى هنا.

(يخرج داني).

لوفال (على حدة) : لا بد من ان يفاتحه بما حدّثني عنه الاسقف. وقد وصلتُ في الوقت المناسب.

(يدخل داني مع كرانمر).

الملك هنري (للوفال وداني) : أخليا القاعة. (يتظاهر لوفال بالبقاء) لا، لا. قلت : اذهبا كلاكما. كيف تريد البقاء ؟

(يخرج لوفال وداني).

كاردينر : انا خائف. لماذا قطّب حاجبيه هكذا ؟ ان مظهره رهيب، وحالته ليست على ما يرام.

الملك هنري : والآن، يا سيدي، أتريد أن تعلم لماذا استدعيتك ؟

كرانمر (وهو يجثو) : يقضي عليّ الواجب ان أكون طوع بنانك، يا مولاي.

الملك هنري : ارجوك ان تنهض، يا صديقي لورد كنتربري. تعالَ لنقوم سويّةً بجولة لان لديّ ما أفاتحك به. هيا، هات يدك، ايها المولى الكريم. اني اكلمك بحزن لأني كئيب جداً بسبب ما سأطلعك عليه. لقد بلغتني مؤخراً شكاوى عديدة خطيرة بحقك إنقبض لها صدري. وبعد ان تداولنا في الأمر انا والمجلس قرّرنا ان تمثل أمامنا هذا الصباح. من جهة اخرى لكي نتوصّل الى تبرئتك من الاتهامات التي ستردّ عليها لتبرير تصرفاتك، عليك ان تعتصم بالصبر الجميل وتزعن لأمر احتجازك في البرج. اذ لا بدّ لنا من اللجوء الى هذا الاسلوب تجاه زميل نظيرك، حتى لا يجرؤ أي شاهد الى الإدلاء بمعلومات تضرّ بصالحك.

كرانمر : بكل تواضع أشكر جلالتك، وأغتنم هذه الفرصة بسرور فائق لتفحّص وضعي كي يتسنى لي فرز القمح عن الزؤان. لأني أعرف جيداً ان لا أحد يستهدف الالسنة النمّامة اكثر مني انا المسكين المغلوب على امري.

الملك هنري : إنهض، يا كنتربري الكريم. فان شهامتك وولاءك محفوران على صفحات قلبي. أيها الصديق الوفي، هاتِ يدك وانهض. ارجوك أن تتجوّل معي برهة، بحق السماء. انا أتساءل أيّ صنف من الرجال انت ؟ كنت أظن، يا سيدي، إنك ستدعوني الى مجابهتك باعدائك الذين يكيلون لك شتى التهم، وأن استمع الى اقوالك بدون ان اسجنك.

كرانمر : ايها المولى الوقور، ارجوك ان لا تنسى ان ولائي واستقامتي هما الركيزتان القويتان اللتان استند اليهما. فاذا انهارتا لا سبيل الى صعودي من الهوة التي حفرها لي أخصامي بانكار فضائلي وحسناتي، وأنا لا أخشى ما يُثار حولي من ريب وشكّ في امانتي.

الملك هنري : ألا تدري كم هو مقامك رفيع عندي وبين الناس، وكم هم أعداؤك عديدون، لا يستهان بمكرهم، وكم لنفوذهم من تأثير نسبياً ؟ كن على يقين بان الحقيقة والعدالة لا يدفعان قرار المحكمة في الاتجاه الذي يستوجبه سلوكك الرصين. عندما تبلغ النفوس أقصى حدود الدناءة لا يردعها رادع عن الاتفاق ومثيلاتها في السفاهة على مناوأتك والفتك بك هذه أمور تجري كل يوم في عالمنا السافل الموبوء. فهل تعدّ ذاتك اسعد حالاً من الفادي حيال شهادات الزور المأجورة. هيّا كُنْ واقعياً. أراك تعتبر الإنحدار كأنه

صعود سهل لا تحفّ به شتّى المخاطر، بينما أنت تتدهور الى هوة الهلاك.

كرانمر : وقى الله وصاحب الجلالة براءتي ومروءتي، كي لا أقع في الفخ المنصوب لي.

الملك هنري: تشجّع، فلن يتمّ إلّا ما أسمح أنا لهم به. هدّئ روعك ولا تمتنع عن المثول هذا الصباح امامهم. واذا قرر أخصامك عرضاً توقيفك بموجب الاتهامات الموجهة اليك جابههم بالحجج الدامغة حسب ما توحي به اليك الظروف... ولدى عدم تمكّنك من ذلك قدّم لهم هذا الخاتم واستنجد بي حيالهم... اقسم لك انا الملك، بأني اعتبرك طاهر القلب ولا أُعرف شخصاً أفضل منك في كل مملكتي. اذهب وتصرّف حسب ما اوصيتك به. (يخرج كرانمر) مسكين، كادت الدموع تخنق صوته.

احد الوجهاء (من خارج خشبة المسرح) : عودي الى هنا. ماذا تريدين يا امرأة ؟

امرأة مسنّة : لن اتزحزح من مكاني. لان النبأ الذي أحمله هو دليل شجاعة ولياقة، لا سيما الآن وقد رفرفت الملائكة فوق رأس الملك لتحمي شخصه باجنحتها البيضاء.

الملك هنري: سيماؤكِ في وجهكِ، أيتها المرأة. هل وضعت الملكة طفلها ؟ أخبريني هل هو صبي ؟

المرأة المسنة: نعم، نعم، يا صاحب الجلالة، هو صبي رائع. حفظ الله الملكة في هذه الساعة وعلى الدوام... وإن كانت ابنة فسيتبعها البنون حتماً في المستقبل القريب ان شاء الله. يا مولاي الكريم، الملكة ترجوك ان

تزورها لتتعرف الى المولودة الجديدة التي تشبهك تمام الشبه.

الملك هنري : اليّ، يا لوفال.

(يدخل لوفال).

لوفال : مولاي.

الملك هنري : ناولها مئة مارك. انا ذاهب لأرى الملكة.

(يخرج الملك).

المرأة المسنّة : مئة مارك فقط ؟ بحق هذا النهار، هو مبلغ ضئيل جداً أستحق أضعافه، بل هو اكرامية خادم بسيط. سأحصل على ما أريد أو أجعله يخجل من عطائه. أوَلم أُحسن الوصف عندما قلت له ان ابنته تشبهه تماماً ؟ أجل، سأطلب المزيد أو أناقض قولي، وسأضرب الحديد وهو حام.

(يخرجون).

المشهد الثاني

ممرّ يفضي الى قاعة المجلس.

(يدخل كرانمر ويسير بين صفّين من الخدم والحرس).

كرانمر : ارجو ان لا يكون وصولي متأخراً، مع ان الوجيه الذي أوفده المجلس اليّ، أوصاني بأن أعجّل في المجيء ؟ يا جماعة، من هو المولج بتسيير الامور هنا ؟ طبعاً كلّكم تعرفونني في هذا المكان.

الحاجب : نعم، يا مولاي. ولكني لا أستطيع ان أحيد عن المألوف.

كرانمر : لماذا ؟

الحاجب : لأنك ستنتظر هنا الى أن يستدعيك أحد من الداخل.

(يدخل الدكتور بوتس).

كرانمر : ما العمل إذاً ؟

بوتس (على حدة) : البرج حقاً يخيف الجميع. ويسرني ان أمرّ من هنا في الوقت الملائم. سأُعلم الملك حالاً بحضورك.

(يخرج بوتس).

كرانمر (على حدة) : هذا هو بوتس طبيب الملك. واثناء مروره، ما أغرب النظرة الفاحصة التي أَلْقاها عليّ ؟

أرجو أن لا تكون دليل احتقار، وأن يعرف مدى سوء طالعي. لا بد من ان يكون بعض أخصامي قد دبروا لي هذه المكيدة اللئيمة. أَصلح الله نواياهم السيئة. فأنا لم أظهر لهم ابداً اي عداء وها هم قد عمدوا الى قهري واذلالي. وإلّا كانوا خجلوا من جعلي انتظر هكذا امام الباب بين الخدم والغلمان، كأني لست زميلهم في هذا المجلس بالذات. على كل حال ها هم يفرضون مشيئتهم عليّ، وأنا مضطر الى الانتظار هنا بصبر وإزعان.

(يظهر الملك وبوتس في نافذة تطلّ على الممرّ).

بوتس : تفضّل وانظر، يا صاحب الجلالة، الى هذا المشهد الغريب الأليم.

الملك هنري : ما هذا، يا بوتس ؟

بوتس : اعتقد بأن جلالتك رأيت سابقاً هذا المنظر المزعج مراراً.

الملك هنري : وأين شاهدنا ذلك ؟

بوتس : هنا، يا صاحب الجلالة. هذا هو مولاي كنتربري الذي رفعت مقامه ينتظر امام الباب بين الحرس والخدم كسائر الناس العاديّين.

الملك هنري : انه هو حقا. وهل يُسمح بأن يسيطر البعض هكذا على الآخرين ؟ يسرني ان لا يزال هناك من هو فوق سلطتهم العاتية، ويعلم بأن اللياقة تقضي بعدم إذلال من هو في مثل مرتبة هذا الرجل الحائز على كل رضاي وعطفي ورعايتي، فينتظر تنازل سيادتهم لإستدعائه كأنه نكرة بدون كرامة. ألا تجد يا بوتس، ان هذه الوقاحة بلغت حدّاً لا يطاق ؟ لنتركْهم ولْنرَ ما يكون من أمرهم. وعما قليل سأطّلع على المزيد من هذه التماديات..

(ينسحبان).

المشهد الثالث

في قاعة المجلس.

(يدخل اللورد المستشار ودوق سوفولك ودوق نورفولك وكونت سوراي ولورد شمبلان وكاردينر وكروموبل).

(يقف المستشار عند طرف الطاولة الأيسر، والى جانبه مقعد خالٍ

التقوى قد أفضت الى ابتداع آراء خبيثة والى الشقاق بدل الاصلاح حتى باتت متابعة قبائحك خطراً يروّج التفسّخ والانحطاط.

كاردينر : هذا الاصلاح لا بدّ من ان يتم عاجلاً، ايها اللوردات النبلاء. فالذين يرفضون ركوب الجياد الجافلة العنيدة لا يستخدمون ايديهم لتهدئتها بل يلجمون اشداقها بشكيمة لا تلين، ويظلّون يهمزون بطونها حتى تخضع وتنقاد. فاذا نحن اشفقنا ببراءة الاطفال على كرامة الانسان، ننشر هذا الداء الوبيل، ولا يبقى من نفع لأي دواء. وماذا تكون العواقب عندئذ؟ الشكوك والانقلابات والفساد الشامل كلّها آفات تجتاح الدولة وتهدمها. وأسطع برهان على ذلك، الامثولة الباهظة الثمن التي يمكننا ان نستخلصها من مشاكل جيراننا في المانيا السكسونية، وهذا درس بليغ لا يزال ماثلا في أذهاننا.

كرانمر : ايها اللوردات الكرام، الى الآن في سياق حياتي ورسالتي، حاولت طبعاً بجهد جهيد، ان اجعل تعاليمي وانجازاتي في ممارسة سلطتي تسير دائماً في الطريق القويم المفضي الى تعميم الخير على الجميع. ليس هناك، كما أؤكد لكم بكل صدق، ايها اللوردات، من رجل يكره في أعماق ضميره ولا يتمّم واجبات منصبه، ولا يكافح مثلي اضطراب حبل الامن وتقويض دعائم السلامة العامة. ارجو من الله ان لا يجد جلالة الملك بين رعاياه من لا يدين قلبه بالولاء والاخلاص لحكمه الفاضل. لأن الرجال الذين ينقادون

الى الخبث واللؤم وحدهم يجرؤون على دوس المزايا الحميدة. لذا أطلب بإلحاح من سيادتكم ان يُجابه من يتهمونني في هذه القضية، بكل نزاهة مهما علا مقامهم وان يدْلوا بشهاداتهم عليّ علناً امام الملأ.

سوفولك : هذا غير مقبول، يا مولاي. فأنت مستشار، وبصفتك هذه لا يجسر احد على إتهامك بأي تقصير.

كاردينر : بما ان لدينا قضايا أهم سأختصر حديثي معك، يا مولاي. ان مشيئة جلالته، حسب ما علمت، في سبيل سلامة التحقيق، هي أن تنتقل من هنا الى البرج حيث، بعد ان تعود الى ما كنت عليه كفرد بسيط، ستواجه المزيد من التهم اكثر مما تخشاه وترقّبه.

كرانمر : شكراً، يا لورد ونشستر، انت أعز أصدقائي، ولو تُركْت لي حرية التصرف، لوجدت سيادتك قاضياً ومحلّفاً معاً لوفرة ما يعمر به صدرك الرحب من العدل والرحمة. وانا أرى بوضوح ان غايتك الآن هي تدميري. لأن المحبة والعطف، يا مولاي، هما الصفتان اللتان يجب ان يمتاز بهما رجل الدين الصالح اكثر من الطموح الى المعالي. فعليك اذاً ان تعيد النفوس الشاردة الى حظيرة الحق، وأن لا تتأخّر عن انقاذ الضالّين. اذا اسعفني صبري على تحمّل كل المسؤولية سأكون مستعداً لقبولها ما دمت لا أشك لحظة في انك ستحاسب ضميرك كل يوم على اي شرّ قد ينشأ عن سوء تدبيرك. ولديّ كثير غير هذا الكلام أحفظه لنفسي كي لا اتعدّى حدود الاعتدال.

كاردينر : يا مولاي، اراك تتشبّث برأيك، وهذه حقيقة لا شك

فيها. فضلا عن أنّ الطلاء الذي يغطّي وضعك يستشفّ منه مَن يدركون بواطن الأمور أن دفاعك عن نفسك هزيل الحجّة.

كرومويل : مولاي لورد ونشستر، اسمح لي بأن أصارحك بأنّ موقفك بات يميل الى التصلب. فالرجال النبلاء مهما عظمت أخطاؤهم يظلّ لهم حق احترام ما كانوا عليه من اوضاع، ومن أحطّ الخساسات ان يُهاجم رجل اثناء سقوطه وتدهوره.

كاردينر : اطلب منك السماح، يا امين السرّ، لأنك بين كل الجالسين إلى هذه الطاولة انت آخر من يحق له التكلّم هكذا.

كرومويل : لماذا، يا سيدي اللورد ؟

كاردينر : لاني أعرف جيداً أنك من مروّجي هذه البدعة الجديدة، وانك لست بالرجل النظيف الكفّ.

كرومويل : أأنا لست نظيف الكفّ ؟

كاردينر : اكرر قولي : نعم، انت لست نظيف الكفّ وصفحتك ليست بيضاء.

كرومويل : وانت لا تتّصف بنصف ما تتظاهر به من الاستقامة، بل أولى من سواك بابتهالات الناس لكي تعود الى الصراط القويم، بدلاً من ان يهابوا تسلّطك وبطشك.

كاردينر : سأذكر على الدوام حديثك هذا المشبوه.

كرومويل : تذكّر ايضاً وجودك المشكّك وسلوكك المنحطّ.

اللورد المستشار : كلاكما تعديتما حدود اللياقة. فأملي ان تكفّا عن البذاءة ولو من قبيل الحياء، ايها السيدان، وأن تتوقفا عن هذه المهاترات الذريّة.

كاردينر : ها قد توقفت.

كرومويل : وانا كذلك.

اللورد المستشار (لكرانمر) : لنعد الى قضيتك، يا مولاي. فقد قرّ الرأي بالاجماع، كما ألاحظ، على ان تمضي الى البرج حتى تبلغك مشيئة الملك في موضوعك. فهل أنتم جميعاً موافقون، أيها اللوردات، على هذا التدبير ؟

كرانمر : هل هم آتون لأجلي ؟ أمن المحتّم ان اذهب الى سجن البرج كمجرم أثيم ؟

كاردينر (يُبرز خاتم الملك) : قفوا عندكم، أيها اللوردات، فلديّ أمر هامّ أفضي به اليكم. انظروا الى هذا، يا سادة. فبفضل هذا الخاتم، أسحب قضيتي من براثن هؤلاء المتآمرين العتاة، وأضعها بين يدي أنبل القضاة، مولاي الملك المبجّل.

اللورد المستشار : هذا لعمري خاتم الملك.

سوراي : أجل، وليس مزيّفاً.

سوفولك : بلى، هو خاتمه الحقيقي بكل تأكيد. لقد سبق ونبّهتكم جميعاً حين خلعنا هذا الحجر الضخم، الى أنه سيسقط على رؤوسنا.

نورفولك : أتعتقدون بأن الملك سيسمح لأحد بأن يمسّ هذا الانسان بسوء ؟

اللورد المستشار : هذا لا شك فيه. وكم اودّ انا أن أتراجع عن هذه الخطوة الخاطئة.

كرومويل : خُيّل اليّ وانا أجمع مختلف الروايات والاتهامات بحقّ هذا الانسان الذي لا يتمكن احد سوى إبليس وأعوانه من التهجم على فضائله، انكم تزكون النار التي

ستحرقكم. والآن حذارِ جميعاً من الإقدام على أي إجراء آخر حياله.

(يدخل الملك، وهو ينظر اليهم بغضب ثم يجلس).

كارديتر : نشكر الله كل يوم، يا صاحب الجلالة، على منحنا عاهلاً مثلك فاضلاً صالحاً حكيماً تقيّاً ورعاً يقدّس القوانين والمبادئ الروحية والزمنية، ويبذل في سبيل تطبيقها كل غيرة ونزاهة، ويأبى إلّا ان يسهر شخصيّاً على سلامة الأحكام الصادرة لا سيما في مثل هذه القضية التي تتأرجح بين الحق وهذا الرجل المظلوم.

الملك هنري : لقد برعت دائماً، يا اسقف ونشستر في ارتجال المديح والتمليق. ولكن، كن على يقين بأني لم آتِ الى هذا المكان لأسمع مثل هذه الاطراءات فهي واهية وشفّافة تفضح خبث نوايا مطلقها ولا تخفي استخفافها بي. لن تؤثر فيّ جميع شعوذاتكم. انتم تتظاهرون بالصلاح كالمرائين. فلا تظنوا ان معسول كلامكم سيستهوي عواطفي. ومهما كان رأيكم في شخصي، انا لا اشكّ بمشاعركم العدائية الدموية الباطنة. (لكرانمر) إجلس، يا رجل. والآن لننظر في قضيتك. من هو فيكم البطل المغوار الذي يجسر على رفع إصبعه باتهام الماثل امامنا. فبحق كلّ مقدّس، أُعلن ان الأفضل له ان يموت جوعاً من أن يتصوّر لحظة ان هذا المكان لا يليق بك، يا كرانمر.

سوراي : من فضلك، يا مولاي ...

الملك هنري : لا، يا سيد، لن ارضى بهذا مطلقاً. كنت أظن ان

مجلسي يضم رجالاً يتحلّون بالوطنية والحكمة والحنكة والاخلاق العالية، لكني لم أجد واحداً يملك ذرة من هذه الصفات النادرة. هل كان معقولاً، أيها اللوردات، ان ندع هذا الرجل الكريم، وقليلون بينكم يستحقون هذا النعت، ينتظر كأنه خادم امام باب مجلسكم ؟ لا سيما هو الذي يساويكم بالمرتبة والسلطة. ما هذه الحقارة التي وصلتم اليها ؟ هل دفعتكم ارشاداتي الى نسيان الواقع كما فعلتم ؟ لقد منحتكم صلاحية محاكمة المذنبين، بصفة مستشارين لا بصفة جزّارين. فتبيّن لي ان بينكم، كما ارى، من لا يتورّع بداعي فقدانه اللياقة والاستقامة، عن التنكيل بأترابه حالما تسنح له الفرصة، متذرّعاً بما كلفته انا به من الاصلاح، بدلاً من إحقاق الحقّ وتوطيد أركان العدل والإنصاف. أمّا هذه السلطة فلن تمارسوها بتاتاً بعد الآن ما دمتُ على قيد الحياة.

اللورد المستشار : أتأذن لي، يا مولاي القدير صاحب الجلالة العليّة، أن أتكلم وأعتذر لك باسمي واسم زملائي أجمعين. اذا كان نصّ الحكم بسجنه قد صدر عنّا فذلك يعني اننا أردنا، ولا تزال لدينا حتماً نوايا طيبة، ان نتيح للمتهم تبرئة ذاته امام كل الناس، لا لإحراج موقفه تجاههم عن سابق عمد وإصرار وانا واثق كل الثقة بذلك، على الأقلّ من جهتي شخصياً.

الملك هنري : حسناً، ايها اللوردات، إحترموه الآن وأحسنوا استقباله فيما بينكم وأحيطوه برعايتكم، لأنه يستحقها عن جدارة. ويسعني ان اصرّح بصوت عالٍ، إن كان

هناك ملك مدين لأحد رعاياه بالاحترام والاكرام فانا هو هذا المدين، لما أغدقه عليّ بسخاء من ولاء واخلاص. فمن الآن وصاعداً لا أريد مطلقاً أن اسمع بمثل هذه المكائد والإفتراءات. هيّا عانقوه جميعكم، ومن قبيل الحياء، يا سادة، اعتبروه صديقكم. وانت يا لورد كنتربري، لديّ طلب ارجو أن لا تردّه خائباً، ألا وهو : هناك طفلة صغيرة هي ابنتي بحاجة الى الاعتماد. فأرجوك أن تكون عرّابها ومسؤولاً عن رعايتها.

كرانمر : ان أعظم ملك في عالم الوجود اليوم يشرّفه ان ينعم بما اكتسبته من جلالتك من امجاد. فكيف يتيسّر لي ان اكون أهلاً لذلك انا أحد رعاياك المتواضعين ؟

الملك هنري : هيا ايها اللورد، عليك ان تؤمّن ما ستوزّعه من الهدايا بهذه المناسبة السعيدة. لديك سيدتان مسنّتان تساعدانك هما دوقة نورفولك والمركيزة دورسيه، فهل تعجبانك ؟ مرة أخرى، يا لورد ونشستر، اطلب منك ان تضم الى صدرك هذا الرجل الكريم وتعاهده على المودة الصادقة.

كاردينر (يعانق كرانمر) : من كل قلبي اخصّك بمحبتي الأخوية، يا عزيزي.

كرانمر : يشهد الله على صدق كلامي عندما اصرّح لك بأن هذه المودّة غالية جداً على قلبي.

الملك هنري : ايها الرجل الصالح، ان دموع الفرح هذه التي تسيل على خدّيك هي أفصح برهان على طيبة عنصرك ورحابة صدرك. ولا يسعني ان أصرّح هنا إلّا انك

برّرت هتافات الجمهور بحياتك. ليحفظ الجميع توصياتي هذه : « لو أسأتم معاملة اللورد كنتربري مرةً، وجدتم فيه مع ذلك صديقاً مخلصاً لا يخون العهد أبداً ». هيا أيها اللورد، لا نضيّع الوقت سدًى. علينا ان لا نتأخر في تنصير هذه الطفلة. الآن وقد جمعت شملكم ووطّدت روابط الودّ فيما بينكم، أرجوكم ان تظلّوا هكذا في وفاق ووئام فتتضاعف قوّتي باتحادكم وتزداد إلفتكم متانة بتضامنكم وتعاضدكم.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في باحة القصر.

(تُسمع ضجة صاخبة من خارج خشبة المسرح).

(يدخل البوّاب ومساعده).

البواب : كفّوا عن الضجيج حالاً، ايها الرعاع. أتظنون هذه الباحة حديقة باريس على ضفاف نهر التاميز، ايها المشاغبون ؟ هيّا كفّوا عن صراخكم المزعج.

صوت (من الداخل) : ايها البواب الظريف، انا احد الموظفين.

البواب : هذا لا يهمّني. إذهب واشنق نفسك، يا غبي. هل هذا مكان لسماع عويلك يا شقي ؟ هاتوا عشرة قضبان قاسية لأُفهم بها هذا الخسيس قيمة نفسه. سأحطّم رأسك تحطيماً. هل تريد ان تحضر العماد أم لا ؟ هل

تظنّ أننا نقدّم هنا المآكل والحلوى جزافاً، ايها المتهوّر الخبيث ؟

الخادم : ارجوك، يا سيدي، ان تصبر عليّ. وإلا سأنسف من في الباب بقنبلة مدوّية. انا أعرف ان تفريقهم اصعب من ايقاظ همّتهم باكراً صباح اوّل ايار، الامر الذي لن نشاهده مطلقاً. إن فكّرنا بطردهم يكون ذلك بالحري أهون علينا من ان ننقل معبد القديس بولس من مكانه في لندن.

البواب : كيف تمكّن هؤلاء المحتالون من الدخول ؟

الخادم : يؤسفني ان لا اعرف كيف، وعجبي من ان يتسرّب مدّ هذا البحر البشري الى هنا من خلال هذه القضبان الضخمة وطولها اربعة أقدام، كما ارى من بقاياها البارزة، وقد وزّعت الضربات، لم أستطع، يا سيدي، ان اتلافى الأمر كما يجب.

البواب : لم تقم بأي جهد، يا سيدي.

الخادم : أنا لست جباراً كشمشون، ولا بطلاً مثل سرْ غي أو كولْبرائد، كي أصرعهُم أرضاً عند قدميّ. واذا لم أتمكّن من التغلّب على احد منهم شاباً كان أو شيخاً، ذكراً أو أُنثى، مخدوعاً أو خادعاً فلأُحْرَم طوال حياتي من لذيذ المآكل. سامحني الله إن تماديت قليلاً في الحديث.

صوت (من الداخل) : هل تسمع، ايها البواب ؟

البواب : سأكون بتصرفك بعد لحظة، ايها البليد. ها هو الباب قد أُغلق يا دجّال.

الخادم : ماذا تريدني ان أفعل ؟

البواب : ماذا أريدك ان تفعل ؟ ان تصرعهم بالعشرات وتريحنا. بربكم، هل هذا مكان نزهة لكي تتجمهروا هكذا ؟ أو أن وفداً الى البلاط قدم من الهند ومعه آلته الهائلة حتى تحاصرنا النساء بمثل هذا العدد الكبير ؟ ساعدني يا إلهي. ما هذا التجمّع الماجن عند الباب ؟ بذمتي، إنّ هذا العماد سيجرّ وراءه الفاً، وسيتقاطر الى هنا الاب والعرّاب والجميع دفعة واحدة.

الخادم : سيزداد عدد الهدايا اذاً، يا سيدي. أؤكّد لك ان قرب الباب يقف فتى يبدو في عينيه بصيص الجمر، وملامحه تشبه الكلاب الجائعة، وجميع من يقفون الى جانبه هم على شاكلته، لا يستحقّون إلا الطرد. فضربت شبيه التنّين ثلاث مرات على رأسه، وفي كل مرة كان انفه ينفث دخاناً في وجهي، وقد انتصب أمامي كالهاون يرشقنا بقنابله. وبالقرب منه كانت احدى بائعات لوازم الخياطة وهي حمقاء لم تنقطع عن إهانتي. فانتزعت قبعتها عن رأسها ولطمتها بملعقة كبيرة كي انهيها عن إثارة الفتنة في الباحة بمثل هذه المشاغبة. وحين لم تنجح محاولتي ضربت المرأة الوقحة فصرخت : انا لا ابالي بالقضبان. حينئذٍ رأيت عشرين من حملة القضبان يهبّون الى نجدتها من محلة ستراند حيث تقطن. فبادروا الى مهاجمتي وصمدت في وجههم فاشتبكنا وتبادلنا الضرب بالعصي. وواصلتُ التصدّي لهم. واذا بفتاة رعناء تنبري من خلفهم وتمطرني وابلاً من الحجارة. فما كان مني إلّا ان غنمت نفسي وغادرت ساحة المعركة

لأن الشيطان كان حتما بينهم.

البواب : لقد كانوا من الشبان الذين تعج بهم المسارح ويتشاجرون للحصول ولو على جزء تفاحة، وبين الحاضرين من اعتادوا مشاحنات مسرح « تاور هيل » او رعاع « لايم هاوس » أخصامهم في المناوشات. فسقْتُ بعضهم الى السجن حيث يبيتون في الغالب ثلاثة ايام، فضلاً عما يتلقّونه هناك في الختام من السياط اللاذعة لتهدئتهم.

(يدخل لورد شمبلان).

لورد شمبلان : اشكرك جزيل الشكر. ما هذا الجمهور المتمايل هنا وأعداده تزداد باستمرار. أراهم يتقاطرون علينا من كل حدب وصوب كأننا نقيم في هذا المكان سوق طرائف. اين البوّابون التنابل الذين أقعدهم الفقر والبؤس عن كل عمل مفيد ؟ لقد قمتم بسعي مشكور، أيها الشبّان. وها هو اجتماع آخر قائم على قدم وساق. هل يضمّ اصحابك من القرويّين ؟ بدون شك ستبقى لدينا فسحة كبيرة للسيدات عندما يرجعن من حفلة العماد.

البواب : أرجو ان لا ينزعج خاطرك. لا يوجد هنا سوى الرجال، وكل ما باستطاعتنا ان نفعله بدون ان نهلك ونمسي أشلاء مبعثرة، لم نتأخّر عن عمله، مع ان جيشاً بكامله لا يتوصّل الى التغلّب عليهم.

لورد شمبلان : بحياتي، اذا وجّه الملك اليّ اي لوم سأقتص منكم جميعاً وبأقصى السرعة. وسأفرض عليكم غرامات

لمعاقبتكم على إهمالكم لأنكم لستم سوى تنابل غريبي الأطوار، وستبقون هنا لإفراغ أحجار القرميد عندما تقومون بالخدمة المترتبة عليكم. استمعوا الى صوت البوق. فها هي الجماعة تعود من حفلة العماد. هيّا فرّقوا الجمهور، وشقّوا الطريق مفسحين المجال لمرور موكب الأميرة الصغيرة وإلّا أوجدتُ لكم سجناً تقضون فيه الشهرين القادمين.

البواب : افتحوا الطريق لمرور الأميرة.

الخادم : أنت، أيها الغبي، قفْ جانباً، أو عاجلتك بضربة تشق رأسك.

البواب : وانت، ايها البائع المتجوّل، إبتعد من هنا الى ما وراء السياج، أو أُجلسك على وتد يخترق أحشاءك عند قضبان الحاجز.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في داخل القصر.

(يدخل نافخو الابواق، وهم يعزفون، ثم اثنان من كبار القوم واللورد محافظ لندن وحامل ربطة الساق وكرانمر ودوق نورفولك بيده عصا المارشالية، ثم دوق سوفولك واثنان من النبلاء يحملان وعائين كبيرين لاحتواء هدايا حفلة العماد، ثم اربعة من النبلاء يحملون المظلّة التي تسير تحتها دوقة نورفولك، وتليها العرّابة وهي تحمل الطفلة ملفوفةً بمعطف فخم ووراءها سيدة تحمل ذيل ثوبها. أخيراً تأتي المركيزة دورسيه، والعرّابة الثانية وسيدات اخريات. يجتاز الموكب خشبة المسرح، ويتكلم حامل ربطة الساق).

حامل ربطة الساق : أيتها السماء جودي من عليائك الخصبة بعمر مديد مزدهر وسعادة دائمة على اميرة انكلترا اليصابات، واشمليها بالعز والمقدرة.

(تصدح الموسيقى. ويدخل الملك وحاشيته).

كرانمر (وهو يجثو) : لأجلك يا صاحب الجلالة ولأجل ملكتنا النبيلة، ها هي صلواتنا ترتفع الى العزّة الالهية من فمي وأفواه سيدات مجتمعنا النبيلات. ونستمطر الهناء والبهجة التي تختزنها السماء لتسبغها على أهالي الاطفال وتحصرها بشخص هذه الأميرة الصغيرة الرائعة.

الملك هنري : اشكرك، ايها اللورد رئيس الاساقفة. ما هو الاسم الذي اطلقته عليها ؟

كرانمر : اليصابات، يا مولاي.

الملك هنري : إنهض، يا سيدي. (الملك يقبّل الطفلة) . هذه القبلة هي عربون البركات التي أُلتمسها لك، يا عزيزتي. حفظك الله من كل مكروه وأطال عمرك ومتّعك بالرغد والرفاه.

كرانمر : آمين.

الملك هنري (للعرابتين) : أيتها النبيلتان، لقد ابديتما كرماً فائقاً برعاية هذه الطفلة. فشكراً لكما من صميم فؤادي. وهذا ما ستكرره لكما هذه الطفلة النبيلة يوم تصبح قادرة على تكلّم الانكليزية.

كرانمر : دعني أتحدث، يا مولاي، لان السماء تفرض علي ذلك في هذه المناسبة. ولا يحسبنّ احد ان قولي هو مجرد تمليق. إذ لا بدّ من ان تظهر الحقيقة بعد حين.

لتحفظ السماء هذه الطفلة الملكية التي منذ وجودها في مهدها تستدرّ على البلاد ألوف البركات والخيرات التي ستهبط علينا في أوانها. وستكون هي، طبعاً قليلون بيننا سيرون سموّها عندما تكبر، أجل ستكون مثال جميع اميرات عصرها، وكل من يخلفونها ايضاً. فملكة سبأ لم تكن ايامَ عزّها اكثر حكمة وأنصع فضيلة من روحها الطاهر. ان جميع نِعَم الأمراء المحصورة باشخاص يمتازون بالقوة والعزّة وكافة الفضائل التي يتحلّى بها الصالحون، ستكون مضاعفة في شخصها الكريم. سترعى الشهامة مهدها، وستراود الافكار السامية طموح مواهبها وتوجّهها دوماً الى طريق الحق والاستقامة وستكون محبوبة مرهوبة ويباركها جميع ذويها ورعاياها الأوفياء وسيرتعد أعداؤها هلعاً لمجرد ذكر اسمها كالسنابل عند درسها ويطأطئون أمامها رؤوسهم بخضوع وإزعان وسيزدهر الصلاح في عهدها الميمون. وفي ايام حكمها سيحيا الجميع تحت راية الأمان المرفرفة عالياً وينشدون ترانيم السلام المخيّم على كافة جيرانها. وسيعترف الكل بحقيقة وجود الله وسيحفظ الجميع في محيطها وصاياها وتوجيهاتها ويسيرون على دروب الشهامة والمروءة. وعلى هذا الاساس من الخير لا استناداً الى نسبهم، ستنمو عظمتهم. ولن يغيب هذا الوئام عند وفاتها، بل ستنتقل مواهبها النادرة الى خليفتها التي سترتفع من رحاب مجدها كالنجم الساطع الى اعالي السماء. وحين يموت طائر الفينيق البتول سينهض من رماده وريثه المرتقب ويكون موضوع اجلال واكرام

نظير سلفه، ويتبوّأ ذرى العزّ والسؤدد. وهكذا يظل الأمان والرخاء والحب والحق والقوة ايضاً جميعها في خدمة هذه الطفلة المختارة الفذّة. وحيثما سطعت الشمس في كبد السماء ستتلألأ أبّهتها وتمتاز عظمتها المقرونة باسمها المبجّل فتشمل ثم تؤلّف شعوباً جديدة. وسيزدهر ويتوطّد سلطانها نظير أرز الجبل الشامخ الذي ستظلّل أغصانه السهول المجاورة. سيشاهد هذا الحدث الفريد حتماً أولادنا وأحفادنا وسيباركون القبّة الزرقاء المخيمة فوق رؤوسهم.

الملك هنري : انت تتلفّظ هنا بأقوال عجيبة باهرة تأخذ بمجامع القلوب.

كرانمر : اجل، ستوطّد هذه الطفلة المباركة سعادة انكلترا عندما تبلغ سنّ الرشد، وستحيا عمراً طويلا ولن يمرّ عليها يوم بدون ان يتكلّل بعمل مجيد رائع. لا اريد أن أعدّد اكثر من هذا. وبما انها كسائر الناس ستخضع لتجرّع كأس المنيّة، لا بد للملائكة من ان تحتضنها، وستظل عذراء وتجتاز الدنيا مثل زنبقة بيضاء، وفي نهاية المطاف جميع سكان العالم سيبكون أفضالها ويندبون مزاياها وأمجادها.

الملك هنري : يا سيدي رئيس الاساقفة، بكلامك هذا النبيل خلقت مني رجلاً فخوراً فقبل انجابي هذه الطفلة الحبيبة، لم اكن املك شيئاً. وها هي نبوءتك قد سحرتني بشكل يجعلني، عندما أغادر هذه الأرض الى السماء، أرى ما ستحقّقه هذه الطفلة من مآثر وأبارك خالقي على هذه النعمة الجليلة. شكراً لكم جميعاً. لك ايها اللورد

محافظ لندن، ولكل فرد منكم ايها النبلاء الاعزاء، لأن حضوركم شملني بشرف كبير جعلني أسيرَ جميلكم ما حييت. فسيروا أمامي، ايها اللوردات، إذْ لا بد لكم من ان تذهبوا كلكم بصحبتي لمشاهدة الملكة لكي تشكركم هي أيضاً علىٰ لياقتكم. واليوم لا سبيل لأُحد ان يفكّر بالعودةِ الى منزله، قبل تلبية دعوتي الخاصة لتناول الطعام على مائدتي. وقد جعلتْ طفلتي الحبيبة فعلاً هذا النهار يوم عيد سعيد.

(يخرجون).

خاتمة

لقد تمّ رهان عشرة مقابل واحد، على أن هذه المسرحية لا تُرضي اذواق جميع الحاضرين ها هنا. لأن منهم من أتى ليرتاح ويغفو اثناء فصل او فصلين. وأخشى ان يكون صوت أبواقنا قد روّعهم. لذا لا استغرب ان يقولوا ان مسرحيتنا هذه لا تساوي شروى نقير. وآخرون أتوا لسماع بعض التنديد الصاخب بأحوال المدينة فهتفوا : ما هذه التعابير الفكاهية الحاذقة. مع اننا لم نقصد إضحاكهم. لذا أخاف ان لا اسمع ما يقال في هذه المسرحية نظراً الى سماحة رأي النساء الفاضلات اللواتي عرضنا عليهنّ بعض المشاهد الاخلاقية. فاذا ابتسمنَ وهتفنَ « هذا مقبول »، فأنا على يقين بأن أفضل الرجال سيميلون الى تأييد رأينا. اذ إن صراحتهم لن تزعجنا حين تحرّضهم نساؤهم على التصفيق تقديراً لما بذلناه من جهود في سبيل نيل إعجابهم.

(تمت)

أعمال شكسبير الكاملة

الملاهي

الاول:

العاصفة ــ سيدان من فيرونا ــ زوجات وندسور المرحات ــ واحدة بواحدة ــ مهزلة الاخطاء.

الثاني:

جعجعة دون طحن ــ عذاب الحب الضائع ــ تاجر البندقية ــ حلم ليلة صيف ــ كما تشاء.

الثالث:

ترويض الشرسة ــ العبرة في النهاية ــ الليلة الثانية عشرة ــ حكاية الشتاء.

المآسي

الرابع:
تاجر البندقية ــ يوليوس قيصر ــ انطونيوس وكليوباترا ــ هملت.

الخامس:
مكبث ــ روميو وجولييت ــ مأساة كوريولانوس ــ سمبلين.

السادس:
الملك لير ــ تيمون الاثيني ــ تيطس اندرونيكس ــ ترويلوس وكروسيدا.

التاريخيات

السابع:
ريتشارد الثاني ــ ريتشارد الثالث ــ الملك جون ــ بيريكليس امير صور.

الثامن:
هنري الرابع ١/٢.

التاسع:
هنري الخامس ــ هنري الثامن.

العاشر:
هنري السادس ١/٣.

Bibliotheca Alexandrina
0463868

احتيالك غاليا. أكمل الآن طريقك. ان عناء السير يضطرني الى التمدد لأستريح على هذا السرير المجلّد. وعند بلوغ النهار سأبادر الى مقابلتك.

(يتمدد وينام، ثم تدخل هيلينا)

هيلينا : يا ليل، ما أطولك وما أكرهك ! ألا انقضِ بسرعة ودع أضواء الشرق تسطع. فان نور الشمس يشجعني ويشدد من عزيمتي لأصل الى آثينا عند انبلاج الفجر، بعيدا عن جميع من يهربون من حجتي الواهية. وأنت أيها النوم أرح القلوب المعذبة وتعال انتشلني من دوّامة همومي ولو لحظة وجيزة.

بوك : ثلاثة تكفي وعلى الرابعة أن تخرج، فيكون لديّ اثنتان من كل فئة. ها هي المسكينة المنكودة الحظ التي قرّح الحزن فؤادها. أما كوبدون فهو ماجن عابث يرمي النساء الضعيفات بالهوس والجنون.

هرميا : ليس في الكون أتعس وأشقى مني. فرطوبة الندى انهكت جسمي، والأشواك أدمت قدميّ ولم يعد يسعني، يا للأسف، أن أمشي خطوة واحدة. وساقاي لا تحملانني الى حيث أشاء، فما عليّ الا أن أتمدد وأنتظر بروز ضوء النهار. واذا كان لا بد من المجابهة فصوني أيتها الآلهة ليساندر ونجِّه من كل أذى.

بوك : نم هانئا على هذه الأرض المضيافة يا صاح، فأنا مستعد لمساعدتك بسكب هذا العلاج على أجفانك يا صديقي اللطيف ليساندر.

(يعصر لسغ النبتة على عيني ليساندر)

وعندما تستيقظ ستشعر بلذة فائقة في تأمل نجلاء العيون التي تجذبك وتنعش مهجتك، فتنعم بحب حسنائك ؟ وكما يقول المثل السائر لكل مجتهد نصيب، ستجني ما زرعت يداك. ان يقظتك تأتي برهانا دامغا على هنائك، فتحظى بلقاء حبيبتك، ولا يبقى هناك من مشكلة. حقق الله أماني كل مشتاق.

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في نفس المكان. ليساندر وديمتريوس وهيلينا وهرميا

(يناموِن مستلقين على الأرض)

(تدخل تيتانيا ويليها بوبين مع زهرة الربيع وشبكة العنكبوت وخفة الفراشة وحبة الخردل وغيرها من الجنيات، وفي المؤخرة يدخل اوبرون متخفيا)

تيتانيا: تعال اجلس على هذا الفراش المكسو بالأزهار، ودعني ألامس خدك الوردي النضير وشعرك اللامع، وأقبِّل أذنيك الجميلتين الطويلتين، يا حبيبي ومصدر بهجتي وسروري.

بوبين : أين زهرة الربيع ؟

زهرة الربيع : أنا هنا.

بوبين : حكّي رأسك، يا زهرة الربيع. أين شبكة العنكبوت ؟

شبكة العنكبوت : أنا هنا.

بوبين : سيدتي شبكة العنكبوت، أشهري سلاحك ثم اذهبي واقتلي ذكر النحل، أحمر الساقين الواقف على رأس شوكة غليظة. واجلبي لي جراب

عسله... لا تدعي العراك يحتدم بينكما واحرصي على أن لا تثقبي جراب العسل هذا كي لا يندلق ويلوثك، اذ يشق عليّ كثيرا أن أراكِ غارقة في هذه المادة اللزجة يا مولاتي. أين سيدتي حبة الخردل ؟

حبة الخردل : أنا هنا.

بوبين : أرجوكِ أن تعيريني نعومتك يا سيدتي حبة الخردل، فتساعدني على فرض احترام شخصك الجليل، يا حبة الخردل.

حبة الخردل : ماذا تريد مني ؟

بوبين : لا شيء يا مولاتي، سوى أن أسهِّل على سيدتي شبكة العنكبوت أن تحكّ جلدي. سأضطر الى الذهاب الى المزين لأن شعري طويل على ما يبدو، وأنا حمار حساس فأقل نثرات شعر تدغدغ جلدي وتحملني على حكه.

تيتانيا: هل تريد أن تشنِّف أذنيك بأنغام موسيقية، يا عزيزي ؟

بوبين : لعمري ان سمعي ليس مرهفا لتذوق الألحان. مع ذلك أرجو أن تضربوا على الدف والصنوج.

تيتانيا: وماذا تريد أن تأكل يا عزيزي ؟

بوبين : لحسن طالعي هذا مكيال من العلف، وأنا متلهف الى مضغ بعض الشعير ومعه حفنة من التبن الشهي.

تيتانيا: ان بين جنِّياتي واحدة مغامرة تعرف كيف تهتدي الى اهراء السنجاب لتجلب لك بعض الجوز الجديد.

بوبين : أنا أفضِّل عليه قبضة أو اثنتين من الحمص الجافّ. ولكن أرجوكِ أن لا تدعي أحدا من جماعتك يزعجني، لأني أشعر بالتعب وبحاجة ماسة الى الرقاد.

تيتانيا: نم هانئا يا حبيبي، فأغطيك بذراعيّ. اذهبن أيتها الجنِّيات وتفرَّقن.

(تخرج الجنيات)

وهكذا يعانق اللبلاب زهر العسل العاطر بحنان، وتتشابك الأفنان المتسلقة الخضراء بأغصان الدردار الخشنة قائلة : أنا أحبك، أنا أهيم بهواك، أنا أعشقك حتى الجنون.

(ينام كلاهما، ثم يدخل بوك)

اوبرون (يتقدم) : أرحّب بقدومك يا عزيزي بوك. أرأيت هذا المشهد الرائع ؟ لقد بدأت أشفق عليها وأخشى أن ينتابها الهوس. عندما صادفتها منذ هنيهة وراء الأجمة مرتبكة تبحث عن هدية لهذا البليد البغيض عنّفتها وزجرتها لأنها وضعت على رأسه اكليلا من الزهور الفوّاحة، وقطرات الندى منشورة كاللآلىء على براعمها كأنها دموع على خدود الورد استدرّها ما لحق بها من أسى ومذلة. عندما قسوت عليها توسلت اليّ بمنتهى اللطف لأعاملها بتؤدة، فطالبتها بفتاها المخطوف، وما كان منها الا أن تنازلت لي عنه فورا، وأرسلت إحدى جنّياتها لتوصله الى مقرّي بين الأشجار في قلب مملكة الجن. والآن بعد أن حصلتُ على هذا الغلام، أود أن أشفي عينيها من علتهما الشنيعة. فارفع يا عزيزي بوك هذه القبعة التي تموّه بوبرها الكثيف رأس هذا العلج الآثيني. وهكذا حالما يستفيق مع رفاقه الأربعة يتمكنون جميعهم من الرجوع الى آثينا دون أن يشهدوا أحداث هذه الليلة أو يتعرضوا لعذاب كابوسها المروّع. لكني أريد أن أطلق سراح الملكة أولاً. (ينشد) :

عودي الى ما كنت في الماضي عليه
وانظري الى ما تعودتِ أن تريه
فالزهرة الزاهية بشذاها تبارك
ما جرّه كوبيدون عليكِ من معارك.

هيا، يا تيتانيا، يا مليكتي اللطيفة الحلوة، هيا استيقظي.

تيتانيا: حبيبي اوبرون، ما هذه الرؤيا التي تجلت لعينيّ ؟ يخيل اليّ اني عشقت حمارا.

اوبرون: أنظري، هذا حبيبك ممدد على الأرض.

تيتانيا: آه ! كيف تم ذلك ؟ وكم ينفر من قباحة وجهه نظري الذي لم يألف سوى روائع الجمال ؟

اوبرون: اخلع عنك يا بوك رأسك المستعار. وأنتِ يا تيتانيا هدّئي روعك، ومُري باسماعنا بعض الألحان الساحرة التي تغرق هؤلاء النيام في رقاد أعمق مما تعودوه.

تيتانيا: هيا، أسمعونا من الأنغام ما يثقل أجفان الجميع بسبات عويص.

(تسمع أنغام لطيفة)

بوك (لبوبين) : عندما تستفيق، أنظر الى ما حولك أيها الأحمق.

اوبرون: علّوا صوت الموسيقى. وأنت أيتها الملكة اشبكي أصابعك بيدي ولنهدهد برقصاتنا الأرض التي يرقد عليها هؤلاء النيام. ها نحن قد عدنا أنا وأنت أصدقاء، وغدا عند منتصف الليل سنرقص بأبهة ومرح في قصر الأمير تازيوس وسنضفي عليه البهجة والفرح. وسيحتفل هذان الزوجان بزفافهما، تظللهما أجنحة الهوى والنشوة والهناء.

بوك : يا مليك الجن، علينا أن نتهيأ في هذا النهار للاحتفال لأني أسمع تغريد البلبل والحسون والهزار.

اوبرون: وأنت يا مليكتي تعالي نتبع بهدوء فارس الليل ونسرح معه في الأحلام لأننا نستطيع أن ندور حول الأرض بسرعة تفوق جري الخيل.

تيتانيا: لنذهب يا مولاي، وأثناء اجتيازنا الطريق تروي لي ما حدث لك من غرائب الأمور وكيفَ نمتَ على الأرض طوال الليل نظير سائر الناس.

(يخرجان، ويسمع صوت النفير. يدخل تازيوس وهيبولات وحاشيتهما)

تازيوس : ليمضِ أحدكم وينادِ حارس الغابة لأننا انتهينا من اقامة شعائرنا. وبما ان النهار أوشك أن يطلع علينا أود أن تُسمع حبيبتي عواء كلاب الصيد التي ترافقنا. فاطلقوا كلابنا في غرب الوادي، وهيا أسرعوا وأجلبوا الحارس الأمين.

(يخرج أحد الخدم)

سنمضي يا مليكتي الحلوة الى أعالي الجبال لنسمع عواء الكلاب يختلط بالأصداء التي تتجاوب في تلك البطاح.

هيبولات : كنت يوما بمعية هرقل وقدموس عندما كانا يصطادان دباً في إحدى غابات جزيرة كريت، ومعنا كلاب من اسبرطا فلم أسمع في حياتي ضجة أروع منها لأن الاحراج والقمم والسماوات وجميع الجهات كانت منسجمة في تصعيد صوت واحد مهيب.

تازيوس : كلابي هي أيضا من أصل اسبرطي، بجلودها ورؤوسها وأحناكها

وآذانها الطويلة المتدلية التي تلامس ندى الصباح يلمع كاللآلىء على الأعشاب، وقوائمها المفتولة كأنها قوائم ثيران منطقة تسّاليا اليونانية، هي بطيئة السير، انما أصواتها تشبه رنين الأجراس الجهورية. أجل، لم أسمع في حياتي أصوات كلاب منسجمة كهذه مع نبرات أبواق الصيد، ان في كريت أو في اسبرطا أو في تساليا، وستحكم على صحة قولي حالما يستسيغها سمعك. لكن مهلا، من هي عرائس الماء هذه التي تتراءى لي ؟

ايجيو : مولاي، هذه ابنتي تنام هنا. وهذا ليساندر، وهذا ديمتريوس، وهذه هيلينا الحسناء ابنة ندار العجوز.

تازيوس : لا بد من أن يكونوا قد استيقظوا باكرا للاحتفال بشهر ايار. واذا علموا بما ننوي القيام به، قدموا الى هنا للاشتراك في حفلاتنا. لكن، قل لي يا ايجيو، أوَليس فيَ هذا اليوم ستعلن لنا هرميا اختيارها ؟

ايجيو : أجل، يا مولاي.

تازيوس : اصدر اذاً أمر الى صيادينا لايقاظهم على صوت الأبواق.

(يسمع صوت أبواق وصيحات. يستيقظ ليساندر وديمتريوس وهيلينا وهرميا مذعورين)

صباح الخير يا أصحاب. لقد انقضى عيد الربيع وآن اليوم لعصافير الغاب هذه أن تتجامع.

ليساندر : أمرك، يا مولاي.

(يجثو أمام تازيوس)

تازيوس : أرجوك أن تنهض يا صديقي (لليساندر وديمتريوس) : أنا أعلم بأنكما خصمان متزاحمان، فمن أين لكما هذا الاتفاق والانسجام الذي أبعد الحقد عن الشك، وأقنع حذرك بأن ينام الى جانب ريبه دون أن يخشى أحدكما ضربة قاضية ؟

ليساندر : جوابي على تساؤلك يا مولاي، والدهشة تسيطر عليّ قبل غيري، كرجل نصف نائم ونصف مستيقظ، هو اني أقسم لك بأني أنا نفسي لا أدري حقيقة كيف جئت الى هذا المكان. غير اني أعتقد، وأنا لا أبغي الا أن أقول الصدق، بعد التفكير الطويل بما جرى بالضبط، بأني قدمت بصحبة هرميا،

وكنا كلانا ننوي الهرب من آثينا لنلجأ الى مكان آمن يساعدنا على التملص من الشرائع الآثينية.

ايجيو : كفى يا مولاي. انك تعرف من أمره ما يلزم. فأنا أتمنى أن تطاله العدالة. كان يحاول الهرب، فيهضم ديمتريوس حقنا نحن الاثنين : أنت بالنسبة الى المرأة التي وعدك بها، وأنا بالنسبة الى وعدي بأن أهبك امرأة.

ديمتريوس : مولاي، لقد أعطتني هيلينا بهربها وبعزمها على المجيء الى هذا الغاب درساً قاسياً لن أنساه ما حييت. فدفعني الغيظ الى اللحاق بهما، كما دفع الحب هيلينا الى اللحاق بي. انما يا مولاي، أنا أجهل تحت تأثير أي سحر، اذ لا سبيل الى نكران وجود السحر، ذاب حبي لهرميا مثل الثلج. والآن يخيل اليّ ان هذه الذكرى باطلة كوهم كان عزيزا على قلبي أيام حداثتي. لأن فضيلتي وإيماني بالحب وأغلى أمانيّ تنحصر كلها في شخص هيلينا الملائكية. فقد كانت خطيبتي قبل أن أعرف هرميا. ولما أعياني المرض مدة من الزمن فترة هيامي بها. لكني الان بعد أن عادت صحتي الى سابق عهدها سرعان ما رجعت أنا الى ما كنت عليه. اني أحب هيلينا وأتمنى وصلها وأنشد قربها وأنوي أن أظل وفيا لها مدى العمر.

تازيوس : ما أحلى اللقاء أيها العشاق الظرفاء ! سأستمع فيما بعد الى نهاية هذه القصة. (لإيجيو) : اعذرني ان لم ألبِّ رغبتك. ففي المعبد عما قليل سيربط كلا من هؤلاء الأربعة بحبيبه وثاق أبدي، وفي ذات الوقت، أرتبط أنا بشريكة حياتي. وبما ان الساعة قاربت الضحى، علينا أن نؤجل مشروع الصيد. فتعالوا معنا الى آثينا لنحتفل نحن الثلاثة مع عرائسنا بهذه المناسبة السعيدة. هيا اتبعيني يا عزيزتي هيبولات.

(يخرج تازيوس وهيبولات وايجيو وحاشيتهم)

ديمتريوس : كل هذه الأحداث تبدو لي ثانوية ومبهمة كأنها جبال بعيدة تحجبها المسافة بين الغيوم.

هرميا : وأنا أجدني أنظر اليها بعين الارتياب لأني أبصر الأشياء متشابكة بدون وضوح.

هيلينا : وأنا أرى الأمور كذلك. فقد تبين لي أن ديمتريوس كجوهرة تخصني ولست واثقة من امتلاكها.

ديمتريوس : هل أنت على يقين بأنكِ مستيقظة ؟ يخيل اليّ اننا لا نزال نغطّ في النوم واننا نحلم. مع ذلك لا سبيل الى نكران وجود الأمير الذي كان هنا ورجانا أن نتبعه.

هرميا : أجل، ووالدي كان أيضا هنا.

هيلينا : وكذلك هيبولات.

ليساندر : ولقد طلب منا فعلا أن نلحق به الى المعبد.

ديمتريوس : فاذاً نحن في يقظة لا في منام. فلنتبعه، وأثناء الطريق نسرد أحلام بعضنا للبعض الآخر.

بوبين (مستيقظا) : عندما يأتي دوري، نادوني لأتكلم، والرد التالي يكون : « بيرام العظيم... » لكن، يا لكوان النجار، يا فلوتيو مصلح المنافيخ، يا لوباك المبيِّض، يا كرنكالي، أين أنتم ؟ لعمري جميعهم هرولوا وتركوني نائما هنا وحدي. لقد أبصرت رؤيا بديعة، ورأيت حلما غريبا جدا يفوق ادراك البشر، ولا أستطيع أن أجد له تفسيرا. ما أغبى الرجل الذي يحاول فك رموز مثل هذا الحلم ! أظنني كنت... لا، ليس من رجل قادر على تفسيره. يُخيَّل اليّ اني كنت... حقا هو مهرج سخيف ذاك الذي يود أن يقول كيف كنت. ان أذن الانسان لم تسمع، وعينه لم تبصر، ويده لم تلمس، ولسانه لم يذق، وقلبه لم يتوقع ما شاهدت في حلمي. سأسأل لكوان أن ينظم قصيدة في وصف هذا الحلم الذي سأدعوه حلم بوبين، لأنه يدور بأجمعه حول شخصي أنا بوبين المستعد لانشاد هذه القصيدة في سياق المسرحية أمام الأمير، ولكي أزيدها روعة وجمالا، ربما أنشدتها عند موت تازيوس.

المشهد الثاني

آثينا في منزل لكوان

(يدخل لكوان وفلوتيو وكرنكالي)

لكوان : هل ارسلتم أحدا في طلب بوبين ؟ وهل أتى هذا الأخير ؟

كرنكالي : لا سبيل الى تقصّي أخباره. فلا بد من أن يكون قد ذهب مع الجنيات.

فلوتيو: اذا لم يعد، فعلى تمثيليتنا السلام. اذ لا يسعنا أن نقدم الحفلة بدونه، أليس كذلك ؟

لكوان : كلا، لا يسعنا، ما دام في جميع أنحاء مدينة آثينا ليس من رجل جدير سواه للقيام بدور بيرام.

فلوتيو: من المؤكد، لا. فبين جميع حرفيي آثينا، هو أقدر شخص لإدائه.

لكوان : لا شك في ذلك مطلقا. ثم ان تكوين جسمه هو الأنسب لهذه الشخصية. أما صوته فله نبذات بعيدة المدى، وفيه رخامة فائقة.

فلوتيو: تريد أن تقول نبرات لأن النبذات هنا، سامحك الله، لا معنى لها بتاتا.

(يدخل بنجون)

بنجون : سادتي، لقد خرج الأمير من المعبد، ومعه اثنان أو ثلاثة. فاذا نجحنا في حفلتنا غنمنا ثروة طائلة.

فلوتيو: يا لبوبين الباسل من رجل عظيم ! هكذا يخسر ستة دراهم يوميا، وهو لا يسعه أن يخسر أكثر من ذلك طوال أيام حياته المديدة. اني مستعد لأن أشنق نفسي اذا لم يستحق أن يمنحه الأمير ستة دراهم كل يوم لقاء براعته في

تمثيل دور بيرام. وأنا على يقين بأنه يستحق فعلا هذا المبلغ.

(يدخل بوبين) .

بوبين : أين هؤلاء الشجعان ؟ أين الأصحاب الأوفياء ؟

لكوان : أبشِّرك يا بوبين بحلول يوم المجد، وأنبئك بدنو امتلاكنا الثروة التي تتوق اليها.

بوبين : لديّ أخبار عجيبة أود أن أتحفكم بها، يا سادة. انما لا تطلبوا مني الان أن أفصح لكم عنها. لأني ان فعلت أكون أكبر منافق في كل آثينا. سأروي لكم القصة بكاملها كما جرت حرفيا، انما فيما بعد.

لكوان : كلنا آذان صاغية، يا عزيزنا بوبين.

بوبين : لا، لن أنبس ببنت شفة. فكل ما أستطيع أن أخبركم به هو ان الأمير قد تناول عشاءه. فاجمعوا ألبستكم وشدوا لحاكم المستعارة بخيوط متينة الى ذقونكم، وزوّدوا أحذيتكم بسيور جديدة، فملتقانا بعد فترة سيكون في القصر. ليراجع كل واحد منكم دوره جيدا، لأن تمثيليتنا، بكلمة وجيزة تساوي مئة، مدرجة في البرنامج. أؤكد على تسبا أن ترتدي ملابس داخلية نظيفة، وعلى من يمثل الأسد أن لا يقضم أظفاره لأنها ستكون ظاهرة عند ابراز براثن الأسد. أخيرا، يا أعزائي الممثلين، لا تأكلوا بصلا ولا ثوما لأن أفواهنا يجب أن لا تنفث الا أنفاسا عاطرة ولا تتلفظ الا بطليّ العبارات. حتى يعترف الجميع بدون تردّد بروعة هذه المسرحية المؤثرة. كفانا أن نتحدّث عنها الآن، ولنعجل في الذهاب.

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

آثينا، في قصر تازيوس

(يدخل تازيوس وهيبولات وفيلستراط ووجهاء وخدم)

هيبولات : ان ما يرويه هؤلاء العشاق لغريب حقا.

تازيوس : أجل، هو غريب أكثر مما هو حقيقي. أنا لا أصدّق أبدا هذه القصص السمجة ولا هذه الروايات المبهمة. فالعشاق كالمجانين دماغهم يتعطل عن العمل، وخيالهم يسرح ويمرح على هواه، فيتخيلون أحيانا أمورا شاذة يمجها الذوق السليم. فالمجنون والعاشق والشاعر كلهم يعيشون في عالم غير واقعي. المجنون تسكنه أبالسة أكثر مما في الجحيم، والعاشق لا يقلّ ضياعا عنه فيكتشف ان جمال هيلينا مثلا يخفي وراءه محتالة غامضة. أما عين الشاعر فتتيه في غيبوبة النشوة، تصعد تارة من الأرض الى أعالي السماء، وطورا من السماء تنزل الى أعماق الأرض. ومهما ابتدعت مخيلته من شخصيات مجهولة، فان قلمه يكيفها ويغدق عليها مزايا غير معقولة ويحبسها في مقر معين ويخلع عليها شتى الأسماء والصفات. واذ يتسع مجال خياله الخصيب، تراه يبتكر لها ظروفا غريبة مبهمة ويبتدع عالما خاصا بها، حتى انه

حين يهيمن الوجل عليه في الليل لا يحجم عن أن يحسب الشجيرة دباً ضخما.

هيبولات : غير ان القصة التي سردوها عن ليلهم، وعن تبدل العواطف فجأة في قلوبهم الواجفة، تبدو كأنها مستمدة من صور وهمية اعتبروها حقيقة أكيدة مع انها لا تعدو كونها تخيلات غريبة عجيبة.

(يدخل ليساندر وديمتريوس ثم تدخل هرميا وهيلينا)

تازيوس : أرحب بعشاقنا الأعزاء. يبدو لي ان عيونكم تشعّ غبطة وسرورا. فأرجو أن يحالف السعد حبكم المتجدد في قلوبكم يا أصدقائي الأوفياء.

ليساندر : وأنا أرجو أن يواكب الهناء أيامكم ويؤنس نزهاتكم الملكية، ويفيض البهجة على موائدكم الفخمة وأسرّتكم الوثيرة.

تازيوس : أخبرني، أي غناء وأي رقص يمكن أن يملأ هذه الفترات التي تدوم ثلاث ساعات بين تناولنا الحلوى بعد العشاء وموعد النوم ؟ أين سيد اللهو والطرب ؟ ما هي التسليات التي يعدّها لنا ؟ أوَلم يهيىء لنا تمثيلية شيّقة لتخفف عنا أوقات السأم والضجر ؟ نادوا فليستراط.

فليستراط : ها أناذا يا مولاي.

تازيوس : ما هي حفلتنا هذا المساء ؟ أية تمثيلية ايمائية أو وصلة موسيقية أعددت لنا ؟ كيف سنقضي الساعات البطيئة، ان لم تتحفنا بتذوّق أحلى المسرات ؟

فليستراط : المنوّعات جاهزة وها هي لائحتها فما على سموك الا أن تختار ما تحب أن تشاهد منها أولا.

(يناوله ورقة)

تازيوس (يقرأ) : « منازلة السنطور، المخلوق العجيب بنصف انسان ونصف حصان، هذه المنازلة التي يتغنى بها الآثيني عازفا على القانون ». أنا لا أريدها. فلقد رُويت لي ولحبيبتي بغية تمجيد نسيبي هرقل. أمّا حفلات السكر والعربدة التي تحييها كاهنات الهيكل بنشوة وسط الفوضى والتشويش على أناشيد تراقيا فهي ليست جديدة بالنسبة الي، اذ شاهدت اداءها أثر عودتي من انتصاراتي في طيبة، وهي تدور حول إلاهات الشعر التسع أثناء ندبهن العاشق المخلص الذي

مات حديثا في أسوأ حالات البؤس والشقاء. هذه ملهاة ممضّة وبذيئة لا تلائم حفلات الزفاف لأنها تقوم على مشهد قصير ممل بين بيرام وحبيبته تسبا وهي مأساة أليمة للغاية، قصيرة وسئيمة، ذريَّة وحزينة وهي بالحري كالجليد الملتهب المحرق والثلج الأسود كالابنوس، فكيف السبيل الى التوفيق بين هذه المتناقضات ؟

فليستراط : الرواية يا مولاي طولها عشر كلمات، ولا أعرف غيرها أقصر منها. انما هي أطول من اللازم بعشر كلمات أيضا، وهذا ما يجعلها في الواقع تبعث على الضجر. اذ من أولها الى آخرها ليس فيها تعبير واحد صادق، ولا ممثل جدير بدور ملائم. انها رواية كئيبة حتما يا مولاي بما ان بيرام ينتحر فيها. لقد استمعت الى مراجعات المشهد المذكور، ولا أنكر انه حملني على سكب العبرات السخينة، لكنه لا يوازي قهقهات الهزليات التي تستدرّ دموع السرور والانشراح.

تازيوس : ومن هم الممثلون ؟

فليستراط : حرفيُّون من آثينا، خشان الأيدي، لم يستغلوا أبدا دماغهم وهم الان يجهدون ذاكرتهم لإنجاح هذه التمثيلية على شرف قرانكم الميمون.

تازيوس : اذاً سنشاهدهم ونصغي اليهم.

فليستراط : كلا يا مولاي الكريم، المسرحية ليست بمستواكم. فقد سمعتها من فاتحتها الى خاتمتها، ولقيتها في الحقيقة تافهة، الا اذا وجدتم لذة في تقدير ما بذله القائمون بها من جهد جبار هو أضخم من مقدرتهم، وما عانوه من مشقة في حفظ أدوارهم اكراما لشخصكم المبجَّل.

تازيوس : أريد أن أشاهد هذه المسرحية. اذ لا يمكن تصنيفها كفاشلة عندما تقدم ببساطة واحترام. أيتها السيدات تفضّلن بالجلوس.

(يخرج فيلستراط)

هيبولات : يحزنني أن أرى الفقر المدقع وحسن النية والاجتهاد المضني ترزح كلها تحت وقر الرغبة التي تفوق طاقة من يحاول أن يتحلى بها.

تازيوس : لن تري يا عزيزتي شبيها لهذه التمثيلية.

هيبولات : لقد قيل لي اننا لن نحضر مسرحية مرضية كما تظنها.

تازيوس : ونحن لن نجود الا بالشكر لقاء ما يقدم لنا من تافه التسلية. يسرني شخصيا أن آخذ بعين الاعتبار ما يعرض عليّ من أمور ولو غير موفقة لأن ما لا يتقنه هزال الشخصية يساوي في نظر النفس السمحة بفضل الجهد المبذول، مقدار ما يحرزه الناجحون من فوز واستحقاق. ففي سياق أسفاري كثيرا ما حيّاني موظفون من أنصاري بخطب مدروسة، وغالبا ما أبصرتهم يشحبون ويرتعشون ويتلعثمون في منتصف عباراتهم، ثم بصوت يخنقه الوجل، وبالرغم من تدربهم يطغى عليهم الارتباك فيلوذون بالصمت المفاجيء ويحرمونني لذة الاستماع الى تقاريظهم المفرحة. على كل حال، صدقيني يا عزيزتي، اني لقيت استقبالا حارا وحفاوة بالغة حتى في سكوتهم، وفي تحفُّظهم واحترامهم المرتعش اذ تسنى لي أن أتبين عواطف أمينة أوفى من فصاحة الكلام المنمَّق العابق بجسارة البلاغة المريبة. أجل، ان المودة والبراءة التي تصون زلة اللسان لهي برهان قاطع على الجدارة والولاء أسطع مما تتدفق به طلاقة التعبير وطلاوة البيان.

(يعود فيلستراط)

فليستراط : ان أمرتم بالمباشرة، فالمقدمة جاهزة، يا مولاي.
تازيوس : دعهم يبدأون.

(تسمع أنغام أبواق، ويدخل لكوان ليلقي المقدمة)

لكوان : ان لم يعجبكم تمثيلنا، فأملنا وطيد بأن يشفع لديكم فينا حسن نيتنا واقتناعكم بأننا لا نتوخى سوى تسليتكم ونيل رضاكم. ان جل ما يصبو اليه طموحنا هو أن نعرض عليكم فننا البسيط المتواضع، راجين أن لا يغرب عن بالكم أننا وصلنا الى هنا بالرغم من كل ما اعترضنا من صعوبات وغايتنا لا أن نحظى باعجابكم فقط، بل أن نمارس التمثيل. ولا تظنوا اننا هنا لنؤمِّن لكم ما يسركم بل ما يجنبنا استياءكم. والمسرحية التي سترونها الان تطلعكم على ما تودون معرفته.
تازيوس : هذا المراوغ ليس بعيدا عن التنكيت والفكاهة.
ليساندر : لقد جعل مقدمته تجري كمهر أسيء تدريبه ولم يتعلم الوقوف عند

اللزوم. فهذا درس قاسٍ يا مولاي، اذ ليس المهم تدفق لغو الكلام بل التعبير عن المغزى المفيد في محله.

هيبولات : في الحقيقة، لقد ألقى مقدمته كما ينفخ الولد في مزماره أنغاما عفوية ليس فيها أي فن وانسجام.

تازيوس : في الواقع، يشبه خطابه سلسلة متشابكة لا تشويه في حلقاتها، انما لا يعرف أولها من آخرها. من يا ترى سيأتي بعده ؟

(يدخل بيرام وتسبا ومن يمثلون الحائط وضوء القمر والأسد)

لكوان : مولاي، ربما استغربت هذا المشهد، لكن الحقيقة لا تلبث أن تتضح لك جلية. فأرجوك أن تعلم بأن هذا هو بيرام والسيدة الجميلة هي تسبا، ومن يكسوه الجصّ والآجر يمثل الحائط المقيت الذي يفصل بفظاظة بين هذين الحبيبين، فلا يتسنى لهما أن يتخاطبا همسا الا من خلال شق صغير فيه. وذلك المسكين حامل حزمة الحطب وبيده مصباحه ووراءه كلبه، هو ضوء القمر. مع العلم ان هذين العاشقين لا يستنكفان من الذهاب الى قبر نينوس ليتلاقيا ويتناجيا في ضياء القمر. أما هذا الحيوان الهائل الذي يشبه الأسد، ففي ليلة ظلماء حين جاءت تسبا لأول مرة، فاجأها وحملها على الهرب من شدة الفزع. وفي أثناء فرارها سقط معطفها عن كتفيها، فلوّثه الأسد، اذ عضه بأنيابه الدامية. فأقبل الشاب الوسيم بيرام وحالما أبصر على معطف حبيبته تسبا اللطخ الحمراء، غلى الدم في عروقه، ومن شدة اليأس انتضى خنجره الحادّ وغرزه في صدره المنقبض. ولما وقع نظر تسبا على هذا المشهد الأليم، التقطت الخنجر ولجأت الى ظل شجرة توت وقتلت نفسها. أما باقي القصة فيرويها الأسد والحائط وضوء القمر والعاشقان كل بدوره عندما يظهرون تباعا على المسرح.

(يخرج لكوان وتسبا والأسد وضوء القمر)

تازيوس : اني أتساءل : هل سيتكلم الأسد ؟

ديمتريوس : لا تدهش يا مولاي، اذا رأيت الأسد قادرا على النطق ما دام عدد كبير من الحمير لا ينقطعون عن القاء الخطب.

(يتقدم الحائط)

في هذا المقطع، يتفق لي، أنا المدعو لوباك، أن أمثِّل حائطا. وهذا الحائط، صدقوني، فيه ثقب أو شق يتناجى همسا من خلاله العاشقان بيرام وتسبا ويتسامران. وهذه المواد أعني الجصّ والآجر والحجر، التي تكسوني تدل بدون شك على اني هذا الحائط. وها هي الفجوة عن اليمين وعن الشمال ليتخاطب من خلالها هذان الحبيبان الواجفان.

(يفتح أصابع يده)

تازيوس : من منا لا يتمنى أن يسمع حلاوة الهمسات التي تجتاز هذا الخليط من مواد البناء كالقنب والكلس ؟

ديمتريوس : أي وأبي، هذا أروع حائط أبصرته في حياتي وسمعته يتكلم.

(يدخل بيرام)

تازيوس : ها هوذا بيرام يقترب من الحائط. فلنصغِ اليه جميعا صامتين.

بيرام : يا ليل، يا قاسي القلب، يا ليل، يا فاحم السواد، يا ليل، أراك تحضر عندما يغيب النهار. يا ليل، كن شاهدا على أساي ولهفتي وعلى خشيتي من أن تنسى حبيبتي تسبا وعودها. وأنت يا حائط، يا صديقي الحميم، يا منِ تقوم حاجزاً بين مسكني وبيت أبيها، أرجوك أن توسع فجوتك كي أسترقَ منها ولو نظرة واحدة.

(يفتح الحائط أصابع يده)

شكرا لك أيها العطوف. لتحفظك الآلهة بعنايتها. ولكن ماذا أرى ؟ اني ألاحظ غياب تسبا. فتباً لك أيها الحائط الغليظ لأنك تحجب عني سعادتي. ولتحلّ جميع لعنات الأرض والسماء، عليك وعلى أحجارك المخيِّبة.

تازيوس : يخيل اليّ ان الحائط الذي لا يخلو من مروءة سيصبّ بدوره على بيرام سيلا من الشتائم.

بيرام : كلا يا مولاي. يترتب عليه أن لا يفعل ذلك لأن عبارة « على أحجارك المخيِّبة » هي اشارة بدء تسبا في القاء مقطعها. عليها أن تدخل الآن، وعليّ أنا أن أتطلَّع اليها من خلال الحائط. سترون كيف ستجري الأمور تماما كما أسلفت لكم. هيا انظروا اليها، ها هي قادمة.

(تدخل تسبا)

تسبا : أيها الحائط، لقد سمعتني مرارا أنتحب، وأنت تقف حائلا بيني وبين بيرام، وتعلم ان شفتيَّ اللتين تشبهان كرزتين قد قبَّلتا مرارا لا تحصى حجارتك وكلسك وقنّبك.

بيرام : اني أسمع صوتا. سأقترب من الشق، وأحاول أن أرى محياك، يا حبيبتي تسبا.

تسبا : حبيبي بيرام، أنا أعتقد بأنك حاضر بشحمك ولحمك...

بيرام : اعتقدي بما يحلو لك، فأنا حبيبك الوفي، ونظير ليساندر سأظل أمينا على عهدك.

تسبا : وأنا سيكون حالي مثل هيلينا، قبل أن يجور عليها القدر.

بيرام : ان دليلة لم تكن أوفى منها لشمشون.

تسبا : وشمشون لم يكن أوفى منه لدليلة.

بيرام : ألا قبّلي شفتيّ من خلال هذه الفجوة.

تسبا : اني أقبّل الفجوة ولا أصل الى شفتيك.

بيرام : هل تريدين أن توافيني الى قبر نيني ؟

تسبا : حيّة أو ميتة سألقاك هناك بدون تأخير.

(يخرج بيرام وتخرج تسبا)

الحائط : ها أناذا الحائط قد قمت بدوري. وهكذا أنا الحائط أغادر هذا المكان.

(يخرج)

تازيوس : أنظروا كيف تهدم الحائط بين هذين الجارين.

ديمتريوس : هذا قدر محتوم يا مولاي، عندما تكون الأسوار مشتاقة هكذا الى الانصات بدون سابق إشعار.

هيبولات : لم أسمع في عمري مثل هذه الحماقات.

تازيوس : ان أحلى المشاهد العاطفية هي من نسج الخيال، والأسوأ منها ليس الا الواقع المرير الذي يعجز الخيال عن وصفه.

هيبولات : طبعا، مخيلتك أنت لا مخيلة الممثلين.

تازيوس : اذا لم تتصورها أسوأ مما يرسمونها لبرعوا وبلغوا ذروة التفوق. ها

اني أرى شخصين مرموقين قادمين نحونا هما ضوء القمر والأسد.

(يدخل الأسد وضوء القمر)

الأسد : يا سيداتي، يا من ترتعش مهُجَكنّ لمجرد رؤية فأرة صغيرة تجري على الأرض اذ تحسبنها غولاً مخيفا، لا بد من أن ترتعد فرائصكن لدى سماع زئير الأسد. اعلمن اذاً اني أنا بنجون النجار ولست أسدا ولا لبوءة. ولو حاولت أن أهاجم كأسد حقيقي لخانتني شجاعتي حتما.

تازيوس : يا لك من حيوان شهم، حي الضمير.

ديمتريوس : لم أبصر أبدا يا مولاي، انسانا يمثل بحذق هكذا دور سيد الوحوش.

ليساندر : ان هذا الأسد لثعلب ماكر بما يظهره من مسكنة.

تازيوس : أجل، لكنه من ناحية الحكمة، ليس سوى أوزة غبية.

ديمتريوس : كلا يا مولاي. ان بسالته تفوق فطنته، ما دام الثعلب يحتال على الأوزة المغفلة ويغدر بها.

تازيوس : لا أنكر ان حنكته لا توازي شجاعته، كما ان الأوزة لا يسعها أن تحتال على الثعلب. فيكفينا أن نثق بمروءة الأسد. ولنستمع الان الى القمر.

ضوء القمر : كيف يمثل هذا البهلول قمراً ذا قرنين ؟

ديمتريوس : يتحتم عليه أن يضع القرنين على رأسه بشكل هلال.

تازيوس : لكن هذا ليس هلالا بل هو بدر تمام، وقرناه غير واضحين لأنهما في داخل دائرته.

ضوء القمر : هذا الغبي يمثل القمر ذا القرنين. أما أنا فلست سوى الرجل الذي ترونه ضمن القمر.

تازيوس : هذا أفدح الأخطاء طرّاً، اذ كان عليه أن يضع الرجل في المصباح وإلا كيف يتسع القمر ليقبع فيه الرجل.

ديمتريوس : هو لا يجرؤ على ولوجه بسبب الشمعة المضاءة التي يحملها، خوفا بدون شك من أن تنطفيء.

هيبولات : ويح قلبي، علامَ أرثي لحال هذا الانسان ؟

بيرام : أيتها الطبيعة، لماذا أنجبت الأسود ؟ ان واحدا منها افترس حبيبتي، يا

للأسف، وهي، بل بالحري كانت، أعذب امرأة وُجدت على وجه الأرض، وأحبتني باخلاص لا مزيد عليه. سيلي يا دموعي، واغرز يا خنجري في أعماق صدري، من جهة الشمال حيث يخفق قلبي المعذب أنا بيرام التعيس.

(يطعن نفسه)

هكذا تخمد شعلة حياتي وأغادر هذه الدنيا غير آسف، وتطير نفسي الى العلاء. فاخرس يا لساني، وبأجنحتك الكبيرة صفّق وطر أيها القمر.

(يخرج ضوء القمر)

مُت اذاً، مت يا بيرام مت.

(يموت)

ديمتريوس : هكذا أشاهد ميتا واحدا قضى نحبه أربع مرات.
ليساندر : لماذا لم يردع أحد هذا المخبول عن الانتحار ؟
تازيوس : قد يتسنى للجرّاح أن يتولى أمره ويعيد اليه الحياة، لأن بيرام الميت سيتقمص حمارا حيا.
هيبولات : كيف غاب ضوء القمر قبل أن ترجع تسبا وتلاقي حبيبها على نوره ؟
تازيوس : ستجده على ضياء النجوم. ها هي تختتم التمثيلية بمقطعها.

(تعود تسبا)

هيبولات : يغلب ظني انها لن تجد مجالا لاطالة الحديث عن بيرام كهذا الثقيل الظل، وآمل أن يكون كلامها وجيزا.
ديمتريوس : من سيكون الفائز، بيرام أم تسبا ؟ ان قشة خفيفة، ترجّح كفة الميزان. هو كرجل وقانا الله منه، وهي كامرأة بارك الله فضائلها.
ليساندر : غير ان عينيها النجلاوين قد أبصرتا الجثة.
ديمتريوس : ها قد شرعت في النحيب.
تسبا : يا حبيبي، هل أنت نائم، أم أنت ميت يا ملاكي ؟ انهض يا كنزي الغالي، تكلم يا روحي. لماذا لا تنبس ببنت شفة ؟ هل حقا فارقت الحياة، وسيضم القبر حدقتيك البراقتين كالنجوم وشفتيك النقيتين كالزنبق، وأنفك الدقيق ووجنتيك الورديتين ؟ هل حقا زالت جميعها من الوجود ؟ ابكوا معي أيها العشاق واندبوا عينيه الزرقاوين. وأنت أيها الموت الظالم تعال، وبيديك

الصلبتين الشاحبتين انتزع ما تبقى من حيتي، أنت الذي بفأسك الجاني قطعت وريد شبابه. أصمت يا لساني، ويا خنجر اخترق صدري بحدك الجارح واقطع نياط قلبي المسحوق.

(تطعن نفسها)

وداعا يا أصحابي، فقد قضت تسبا نحبها، وداعا أيتها الحياة البائسة الشقية.

(تموت)

تازيوس : لم يبق سوى ضوء القمر والأسد لدفن هاتين الجثتين الهامدتين.
ديمتريوس : أجل، هناك الحائط أيضا.
بوبين (ينهض بغتة) : لا، لا. ان الحائط الذي كان يفصل بينهما قد تداعى. فهل يروق لكم أن تشاهدوا الخاتمة أم تفضلون أن تروا رقصة يقوم بها اثنان من الممثلين ؟
تازيوس : كلا، كلا. لا أريد الخاتمة، من فضلك. لأن المسرحية لا تحتاج الى مغزى. لاحقا، لا حاجة الى المغزى عندما يموت جميع الممثلين ولا يبقى من أحد لتقع عليه الملامة. وحق السماء، لو قام مؤلف المسرحية نفسه بدور بيرام وشنق ذاته بحمَّالة جورب تسبا لكانت المأساة أروع. لكنها كما هي الان، رواية كئيبة، وان مثلت بطريقة غير مألوفة. هيا أرونا رقصتكم، وضعوا خاتمتكم جانبا.

(يبدأ الرقص)

دقت الساعة الثانية عشرة مشيرة الى منتصف الليل. فتعالوا يا عشاق السمر نسحب، اذ حان وقت تجمُّع الجنِّيات. وأخشى أن لا يتسنى لنا تخصيص فترة للنوم تعادل ما استنفده منا السهر هذه الليلة. في الواقع، هذه التمثيلية، بالرغم من سخفها، جعلت الساعات البطيئة تمرّ هذا المساء بسرعة. فالى النوم يا أعزائي. ان أفراح أصحابنا ستدوم مدة أسبوعين نقضيهما معا في حفلات ليلية ومتعات طريفة متجددة.

(يخرجون ويدخل بوك في يده مكنسة)

حان أوان تجوّل الأسد الجائع، وعواء الذئب في ضياء القمر. بينما الفلاح ينام وقد أرهقه التعب من الفجر الى الغروب. آن وقت انطفاء قرص الشمس كالجمرة المشتعلة، ودقت ساعة نعيب البوم الذي يذكّر التنبل النائم بالأكفان الجاهزة لمماته. وفي أحلك ساعات الليل هذه، تنكشف أحجار القبور لتخرج منها الأرواح السجينة وتجوب المدافن الموحشة. ونحن الجنيات المتحررات نلاحق الأحياء بدون كلل بعيداً عن أشعّة الشمس المتوارية لائذات بالعتمة كأننا في حلم، ونتجوّل ببهجة وسرور، لأن ليس ما يروّع هذه المساكن المباركة التي تدعونا بكل طمأنينة الى كنس ما بين جدرانها ووراء أبوابها من أوساخ.

(بغتة يدخل أوبرون ومعه تيتانيا وحاشيتهما الى القاعة الواسعة حاملين مشاعل يضيئونها من الموقدة أثناء مرورهم أمامها)

اوبرون: يا خدام، أنيروا بلهب هذه المشاعل جميع الأماكن. وأنتن أيتها الجنّيات رفرفن بأجنحتكن فرحات كالعصافير فوق الأوراق المرتعشة وردِّدن بعدي هذه اللازمة، وارقصن بطرب ومرح.
تيتانيا (لأوبرون) : أنشد أولا هذه الترنيمة المفرحة لأن في كل لفظة من كلماتها نبرة عذبة. ثم سر على رأس موكب زاه، ورتِّل مع الآخرين استدرارا للخير والبركة.

(يدمدم اوبرون لحن أغنية الجنيات ويرددنا معه ويرقصن بشكل دائرات في القاعة الفسيحة)

اوبرون: والآن امرحوا جميعا حتى مطلع الفجر وتجولوا في أجمل القاعات لمباركة أسرّة المتزوجين، وجعل الأولاد المنبثقين من ليالي الحب ينعمون بالسعادة والهناء. سيظل هؤلاء العرائس والعرسان تحت رعايتنا، أمناء على عهودهم مدى الحياة. وفي ذرّياتهم لن تتفشى العاهات، ولن يوصم أي من أطفالهم بعلّة خبيثة، بل كل نسلهم سيصان من الأذى. فباركي أيتها الجنيات كل بيت، وكذلك كل قصر. استمطري عليه السلام والوئام، ولا سيما على

سيده النبيل، واشمليه برعايتك الكريمة. ودعينا دوما نلتقي في هذا المقر الهادىء الامين عند طلوع النهار.

(خاتمة يلقيها بول) :

اذا لم نعرف كيف نرضيكم، قولوا لأنفسكم تلافيا للندم، انكم عفوتم عن تقصيرنا بينما نحن نقدم لكم هذه التمثيلية، بل الرواية القصيرة التي تبدو لكم خيالية كالحلم. لا تنتقدونا يا سادتي، بل اعذرونا اذا لم يحالفنا الحظ والنجاح، ولا ترشقونا بالتنديد والتحقير، لأننا سنعوض عليكم قريبا. وإلا لا يكون بوك سوى منافق خداع. نتمنى لكم ليلة سعيدة، ونسألكم أن تحافظوا على الصداقة بيننا، وأن تولونا ثقتكم الغالية لأنكم اذا صفقتم لنا استحسانا تؤاذروننا بتجنُّب الأخطاء في المستقبل وتحمِّسوننا للاجتهاد في تحسين انتاجنا والسلام.

﴿ تمّت ﴾

كمَا تشاء

تعـريب

ج . يـُونس

أشخاص المسرحية

الدوق المسن المنفي		
فريدريك	:	شقيقه، دوق مغتصب
جاك اميان	}	سيدان لحقا بالدوق المنفي
لوبو	:	صديق فريدريك
شارل	:	مقاتل
اوليفير جاك اورلاندو	}	أبناء السيد رولانان دي بوا
بيار دي توش	:	مهرج
ادم دنيس	}	خادما اوليفر
اوليفر جاش تكست	:	وكيل
كوران سيلفيوس	}	راعيان

وليم : فلاح، مغرم باودري
روزالند : ابنة الدوق المنفي
سيليا : ابنة فريدريك
فيبير : راعية
اودري : فلاحة

أسياد، صيادون، خدم

الزفاف

المشاهد أحياناً في الولايات التي اغتصبها فريدريك وأحياناً أُخرى في غابة الاردين.

الفصل الأول

المشهد الأول

حديقة أمام منزل اوليفر

(يدخل اورلاندو وآدم)

اورلاندو : مخاطباً آدم ــ لقد أوصي لـي أبي بحفنة من المال؛ كما أوعز إلى شقيقي بتربيتي تربية حسنة تحت طائلة اللعنة الأبوية؛ وقد كان هذا كله مصدراً لأحزاني. فشقيقي ينفق على أخي جاك في المدرسة ويهتم به لدرجة أن شهرته أصبحت تجوب الآفاق ــ أما أنا فإنه يعاملني بخشونة في المنزل، أو قلْ انه يحتجزني في البيت بدون أية عناية. ان معاملته لي لا تختلف في شيء عن معاملته للثيران في زريبتها؛ وهذا لا يليق بشخصٍ نبيلٍ مثلي. ان أحصنته تلقى اعتناءً أفضل مني، إذ ان لديها من العلف ما يفيض عنها، كما انها تروَّضُ من قبل خيالة يتقاضون مبالغ طائلة مقابل عملهم هذا.

أما أنا شقيقه، فإن مكسبي الوحيد تحت رعايته هو النمو : ومن هذا القبيل فإني أخضع له خضوع الحيوانات في مربضها. مقابل هذا اللاشيء الذي يغدقه

عليَّ بسخاء، فإنه يتصنع جميع الوسائل لسلبي القليل الذي أعطتنيه الطبيعة : فهو يطعمني مع زمرة خدمه، ويحرمني من منصب الشقيق، ويقوّض أصلي النبيل بتربيته لي وذلك بقدر مستطاعه. هذا ما يحزُّ في قلبي يا آدم. إلا أن روح أبي، التي أعتقد بأنها تستعر فيّ، بدأت تتمرد على هذا الاستعباد : لا أُريد أن أتحمل ذلك زمنا طويلاً، رغم اني أجهل الوسيلة الناجعة التي ستعتقني منه.

(يدخل اوليفر)

آدم : هو ذا شقيقك قد أتى.

اورلاندو : ابقَ بعيداً، يا آدم، وستسمع كيف سيوبخني.

اوليفير مخاطباً اورلاندو) والآن، ماذا تفعل هنا ؟

اورلاندو : لا شيء — لم يعلمني أحدٌ أن أفعل شيئاً.

اوليفير : من قدر من تحطُّ بكلامك هذا ؟

اورلاندو : في الواقع ان خمولي يساعدك على أن تحطَّ من قدر أخٍ لك بائسٍ وغير جدير بك، خلقه الله.

اوليفير : عليك أن تشغل نفسك بغير هذا وتذهب إلى الجحيم.

اورلاندو : هل أنا مخلوقٌ لأحرس خنازيرك وآكل البلوط معها ؟ ميراث أي ابن شاطر بدّدتُ حتى أتخبط في هذا البؤس ؟

اوليفير : أتعلم أين أنت ؟

اورلاندو : حسناً، اني أعلم بأني هنا في حديقتك.

اوليفير : أتدري أمام من تقف أنت ؟

اورلاندو : انّ من أقف أمامه، أعلم من هو، في حين هو لا يعلم من أنا — أعلم انك أخي البكر، ومن هنا فإن عليك أن تدرك بحكم روابط الدم من أنا. ان أدب الأمم يعطيك حق التقدم علي بحكم كونك المولود البكر، ولكن هذا التقليد لا يسلبني أصلي، ولو وُجِدَ عشرون أخٍ بيننا. في كياني من أبي بمقدار ما فيك، برغم اني أعترف بأنك بحكم مجيئك إلى العالم قبلي مؤهل أكثر مني لتصبح مثله جليلاً.

اوليفير : ماذا تعني أيها الوقح ؟

اورلاندو (ممسكاً بعنق شقيقه) : لنمضِ، لنمضِ، أخي البكر، فإنك لا تزال حديث السن في هذا.

اوليفير : أتريد أن تعتقلني أيها الفظّ ؟

اورلاندو : لست فظاً. أنا الابن الأصغر للسيد رولان دي بوا : لقد كان أباً لي، والذي ينعته بأنه أنجب أولاداً « سمجاء يكون هو سمجاً » لو لم تكن أخي لما أفلتت يدي هذه عنقك قبل أن تكون الأخرى قد انتزعت لسانك لأنه تكلم هكذا؛ لقد أهنت نفسك بنفسك.

آدم : مهلاً أيها الأسياد الأعزاء؛ بحق ذكرى أبيكم اتفقوا.

اوليفير : دعني، قلت لك.

اورلاندو : ليس قبل أن أريد ذلك. أتفهمني... لقد أوعز اليك أبي في وصيته بتربيتي تربية حسنة؛ فربيتني تربية فلاح؛ وخنقت فيّ خصال الرجل النبيل، ولكنَّ روح أبي استيقظت فيَّ، ولن أتحمل هذا طويلا. خصص لي اذن التمارين التي تليق برجل نبيل، وإلّا فهبني الوفر الحقير الذي تركه لي أبي في وصيته، وبذلك أمضي باحثاً عن مصيري.

اوليفير : وماذا ستفعل ؟ ستتسول بدون شك بعد أن تكون قد أنفقت كل شيء ؟ حسناً، أدخل. لن أتبرم بك بعد اليوم ـــ سيكون لك جزءٌ مما ترغب. دعني أرجوك.

اورلاندو (ساحباً يده) : لن أنكِّل بك أكثر مما يتطلبه حقي.

اوليفير (مخاطباً آدم) : أدخل معه أيها الحقير ؟

آدم : حقير ! هذا أذن جزائي ؟ لقد شختُ في خدمتك... رحم الله السيد القديم ! لم يكن ليقول مثل هذا القول.

(اورلاندو وآدم يخرجان)

اوليفير : هكذا ! لقد بدأت تتعدى عليّ. حسناً سأتدبر أمرك بدون عناء... دُني.

(يدخل دُني)

دُني : تدعوني يا سيدي ؟

اوليفير : هل حضر شارل، مقاتل الدوق، ليكلمني ؟

دُني : انه يقف في الباب ويطلب مقابلتك.

اوليفير : دعه يدخل (يخرج دني) سيكون وسيلتي الفضلى... غداً القتال.

(يدخل شارل)

شارل : السلام عليك يا سيدي.

اوليفير : شارل، ما الأنباء في القصر الجديد ؟

شارل : ليس هناك من أنباء فيه سوى الأنباء القديمة : أي ان الدوق المسن منفيّ من قبل أخيه الشاب، الدوق الجديد، ومعه ثلاثة أو أربعة أسياد، كلهم مخلصين له، وقد نفوا أنفسهم نفياً طوعياً. ان أراضيهم ومحصولها ستغني الدوق الجديد، الذي مقابل هذا سمح لهم بالتشرد.

اوليفير : هل بإمكانك أن تفيدني ما اذا كانت روزالند، ابنة الدوق، منفية مع أبيها ؟

شارل : كلا ! انها باقية، لأن ابنة الدوق الجديد، تحبها كثيراً لأنها نشأت معها منذ الصغر، حتى انها تفضل اللحاق بها في المنفى أو الموت اذا ما انفصلت عنها. هي في القصر حيث يحبها عمها كما يحب ابنته، ولم يحدث بعد ان امرأتين تحابتا مثلهما.

اوليفير : أين سيعيش الدوق المُسِن ؟

شارل : يقال بأنه أصبح في غابة الأردين، مع العديد من أصحابه السعداء، وإنهم يحيون هناك نظير روبير هُود الانكليزي المسن. ويقال بأن العديد من النبلاء الشباب يتوافدون يومياً عليه، ويمضون الوقت بلا هم ولا غم، تماماً كما كان يحصل في العصر الذهبي.

اوليفير : ويحك، هل ستقاتل غداً أمام الدوق الجديد ؟

شارل : نعم، بدون شك، وقد أتيتُ لأعلمك بأمر. لقد تناهى إليَّ سراً، بأن أخاك الأصغر اورلاندو، يتهيأ للقدوم متستراً بغية الانقضاض عليك. غداً سأقاتل من أجل شهرتي، ومن سيفلت مني بدون أن يكسر أحدُ أعضائه، سينجو لحسن حظه. ان أخاك جدُّ شاب وجدٌّ لطيف، ومراعاة لك سأكون مكرهاً على صرعه؛ كما سأكون مرغماً على ذلك بحُكم شرفي، إذا ما مثل أمامي. ونظراً لمحبتي لك جئتُ أحذرك، علّك تستطيع أن تثنيه عن عزمه، أو

تتأهب للشر الذي يثيره ضدك : انه هو الذي يسعى اليه رغماً عني.

اوليفير : شارل، اني شاكر لك مودتك لي، وتأكد من عرفاني لجميلك. لقد علمت شخصياً بمقاصد أخي، وبذلت قصار جهدي لأثنيه عنها؛ ولكنه مصرٌّ عليها. ماذا أقول لك يا شارل ! انه أعند فتىً في فرنسا، ومن الأقران الذين يحسدون في الآخرين خصالهم، انه ثعلب وجبان، يتآمرعليّ أنا أخيه بالولادة.

هكذا، تصرف كما يحلو لك. أُحب لو انك تدق عنقه بدل أن تكسر اصبعه... وحسناً تفعل إذا حذرته؛ لأنك إذا لم تُعدّ له هزيمة نهائية، أو إذ لم يحرز عليك انتصاراً كاسحاً، فإنه سيدس لك السمُّ، وسيوقعك في مكيدة غدّارة، ولن يدعك قبل أن يجهز عليك بطريقة أو بأخرى. لأني أجزم لك، وأكلمك والدموع في عينيَّ، انه لا يوجد اليوم مثله فتىً مجرم بهذا المقدار. حتى الآن ما زلت أكلمك عنه بصفتي أخاً له، لأني إذا ما كشفت لك نفسيته بصورة كاملة، فسأرغم نفسي على البكاء والخجل وسيعلو وجهك الاصفرار من الدهشة.

شارل : إني مرتاح جداً لقدومي إلى هنا والالتقاء بك. إذا قَدم غداً سأوليه ما يستحق. وإذا استطاع بعد ذلك أن يتجول بمفرده، فسأعدلُ عن القتال لقاء أجر ما... وعليه حفظك الله !

اوليفير : إلى اللقاء أيها المخلص شارل !

(يخرج شارل)

الآن سأحث هذا الرجل المقدام. اني آمل بأن أرى نهايته، فإن نفسي لا تكره شيئاً أكثر منه، بيد انه لطيف وعليم رغم انه لم يتثقف، مشبعٌ بالأفكار النبيلة، محبوب من جانب كل الطبقات، ومستحوذ في الواقع على قلوب الجميع وبخاصة قلوب رجالي الذين يعرفونه جيداً حتى انهم أصبحوا يحتقرونني بسببه. ولكنَّ هذا لن يطول. ان هذا البطل سينهي كل شيء. بقي علي أن الهب حمية هذا الفتى للقتال، وسأمضي في هذا الطريق. (يخرج).

المشهد الثاني

مرجة أمام قصر الدوق

(تدخل سيليا وروزالند)

سيليا : أرجوكِ روزالند، يا ابنة عمي الحبيبة، افرحي.

روزالند : عزيزتي سيليا، إني أبدي من الفرح أكثر مما أملك، وتريدينني أيضاً أن أكون أكثر سعادة ! إذا كنت لا تستطيعين أن تنسيني أباً منفياً، فلن يكون في مقدورك أن تعيدي إلى ذاكرتي أية فكرة فائقة المتعة.

سيليا : أرى من خلال ذلك أنك لا تحبينني بالقدر الذي أحبك فيه : لو أن عمي، أباك المنفي، نفى عمك، أبي الدوق، وكنت أنتِ لازمتني دائماً، لكنت روضت محبتي على أن تحب أباك أباً لي، وهذا ما ستفعلينه إذا كانت محبتك لي تعادل في قوتها محبتي لكِ.

روزالند : فليكن ! سأنسى حالتي لأنعم بحالتكِ.

سيليا : أنتِ تعلمين بأنه ليس لأبي من أبناء سواي؛ وليس من المحتمل أن يكون له أولادٌ آخرين، وبكل تأكيد فإنكِ سترثينه بعد مماته؛ فإن ما أخذه من أبيكِ بالقوة سأرده إليكِ بالمحبة، أقسمُ بشرفي بأني سأفعل ذلك، وإذا حنثتُ في يميني فلأكن متوحشة !.

هكذا يا حلوتي ويا حبيبتي روزالند، كوني سعيدةً.

روزالند : سأكون سعيدة من الآن فصاعداً، يا ابنة عمي العزيزة وسأتفنن في اللهو... ما رأيكِ؟ هلاَّ نستسلمُ للحب !

سيليا : في الواقع، عليك أن لا ترددي، اجعلي من الحب إلهاءً لكِ ؛ ولكن

حذارِ أن تحبي رجلاً بطريقة جدية، ولا تسترسلي في اللهو بحيث يتعذر عليكِ بعد ذلك الحفاظ على شرفكِ وعلى طهارةٍ غير منقوصة مع ما يصحبها من الخفر.

روزالند : إذن بماذا سنلهو؟

سيليا : لنجلس، ومن ثم فلنحرج الحظّ، تحت وطأة تهكمنا : ليتعلم كيف يوزع من الآن فصاعداً عطاياه بانصاف.

روزالند : آملُ أن يكون هذا ممكناً، لأنّ نِعَمَهُ مرتبةٌ بشكل مريع ويختلط عليه الأمر خاصةً في عطاياه للنساء.

سيليا : هذا أكيد : فاللواتي يجعلهن جميلات قلما يكنَّ فاضلات، واللواتي يجعلهنّ فاضلات قلما يكنَّ فاتنات.

روزالند : ألا ترين بأنكِ انتقلت من ميدان الحظ إلى ميدان الطبيعة ؟؟. فالحظ يرتّبُ عطايا هذا العالم وليس الخصال الطبيعية.

(يدخل بيار دي توش)

سيليا : لا أعتقد ذلك ــ فعندما تصنع الطبيعة كائناً جميلاً أفلا يستطيع الحظ تحطيمه ؟ (مشيرة إلى بيار دي توش). لو أنّ الطبيعة وهبتنا روح الاستخفاف بالحظ؛ أليس أن الحظ قد أرسل الينا هذا المهرج ليقطع علينا حديثنا !.

روزالند : في الحقيقة، إن الحظ جدٌ قاس بحق الطبيعة عندما يستخدم الغباوة الطبيعية ليقطع الحديث على الفكر المبدع.

سيليا : قد لا يكون هذا من عمل الحظ ولكن من صنع الطبيعة، التي إذ لحظت بأن نفوسنا لا تزال جدُّ بليدة لتفكر بأهلية تامة بمثل هؤلاء الآلهة قد بعثت بهذا الأبله ليشحذها، لأن الغباوة تُستخدمُ دائماً لشحذ أفكارنا. (مشيرةً الى بيار دي توش)، إلى أين تجنح بفكرك الآن ؟

بيار دي توش : سيدتي، عليكِ أن تذهبي إلى أبيك.

سيليا : هل أنت رسوله !

بيار دي توش : كلا، أقسم بشرفي ! ولكن قيل لي بأن آتي لاحضارك.

روزالند : أين تعلمتَ هذا اليمين أيها المهرّج ؟

بيار دي توش : من أحد الفرسان الذي كان يقسم بشرفه بأن الفطائر المحلاة هي ممتازة، وأن الخردل لا يوازي شيئاً. أما أنا فإني أجزم بأن الفطائر المحلاة لا تساوي شيئاً، وأن الخردل هو ممتاز، ومع ذلك فإن الفارس لم يحلف زوراً.

سيليا : وكيف لك أن تثبت ذلك بكل ما أوتيت من علم ؟

روزالند : انزع القناع عن حكمتك.

بيار دي توش: حسناً، تقدما كلاكما، داعبا ذقنيكما، وأقسما بلحيتيكما بأني وغدٌ.

سيليا : أجدت ! هذا تعبير حسن الإخراج.

بيار دي توش : وإذا زَنُخَت في يوم من الأيام قريحتي ؟

روزالند : تتوقف على أن تكون ذات رائحة ذكية

لوبو : إنكنَّ تحيرنني. كنت أود أن أحدثكم عن قتال شديد فاتتكم مشاهدته.

روزالند : اذكر لنا دائماً تفاصيل هذا القتال.

لوبو : سأصف لكما البداية؛ فإذا أعجبتكما فبإمكانكما رؤية النهاية؛ لأن ما هو أروع لم يتم بعد، ولكن سيتم تنفيذه هنا بالذات حيث تقيمان.

سيليا : حسناً لنرى هذه البداية التي انتهت.

لوبو : هوذا آتٍ شيخٌ وأولاده الثلاثة.

سيليا : بإمكاني أن أطابق بين هذه البداية وحكاية قديمة.

لوبو : ثلاثة شبان لهم قامة مديدة ومظهر رائع.

روزالند : انهم يحملون في أعناقهم لافتات تقول : إلى كل من سيرى هذه اللافتات سلام !

لوبو : بكرُ هؤلاء الثلاثة، قاتَل شارل، مقاتل الدوق، الذي رماه أرضاً في لحظة واحدة، وكسر له ثلاثة أضلع، لدرجة أن لا أمل في معافاته. والثاني والثالث لقيا نفس المصير — انهم هناك مطروحون أرضاً؛ والشيخ المسكين، والدهم، يتفجع بحزن عليهم، حتى أن جميع المشاهدين لزموا جانبه باكين معه.

بيار دي توش : ولكن أية سلوى فاتت السيدتان؟

لوبو : حسناً ! السلوى التي تحدثتُ عنها.
بيار دي توش : هكذا يزداد الناس علماً يوماً بعد يوم ! هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها بأن رؤية تكسير الأضلع هي تسلية للنساء.
سيليا : وأنا أيضاً أشاطرك الرأي.
روزالند : ولكن هل يوجد أيضاً شخص يرغب في سماع هذا الكسر الموسيقي في أضلعه ؟ هل هناك من محبٍّ للأضلع المحطمة ؟ هل سنرى هذا القتال يا ابنة عمتي ؟
لوبو : يجب ذلك، إذا بقيتِ هنا؛ لأن هذا هو المكان المعد للقتال، وهم مستعدون الآن لمباشرته.
سيليا : بكل تأكيد، ها هم قد أتوا. لنبقَ إذن ولنرَ ما سيحدث.

(جوقة ــ يدخل الدوق فريديريك اورلاندو، شارل، أسياد وخدم)

الدوق فريديريك : إلى الأمام ! بما أن هذا الشاب لا يريد الإذعان، فليمض في تهوره !
روزالند (مشيرة إلى اورلاندو) : أهذا هو الرجل ؟
لوبو : انه هو يا سيدتي.
سيليا : انه أمرٌ مؤسف، فهو لا يزال شاباً، ولكن تبدو على وجهه ملامح الانتصار.
الدوق فريديريك : وأنتِ يا ابنتي، وأنتِ يا ابنة أخي، ما بالكما هنا، أتريدان رؤية القتال ؟
روزالند : بالطبع يا سيدي، إذا كنت تتنازل وتأذن لنا بذلك.
الدوق فريديريك : أستطيع أن أقول لكما بأنكما لن تسرّا البتة بذلك : فهناك تفاوتٌ كبيرٌ بين الناس ــ اني رحمة بشباب هذا المحرّض سأكون جدَّ مرتاح إذا استطعت أن أثنيه عن عزمه، ولكنه لا يريد الانصياع. كلّماه، علّكما تستطيعان التأثير عليه.
سيليا : اذهب في طلبه أيها العزيز لوبو.
الدوق فريديريك : افعلا ذلك، سأبتعد.

(يبتعد الدوق)

لوبو (متوجهاً إلى اورلاندو) : سيدي المحرض، الأميرات يدعونك.
اورلاندو : اني أذعن لأوامرهن بكل احترام وإكبار ـــ (يقترب من الأميرات).
روزالند : أيها الشاب، هل أنت الذي تحدّى المقاتل شارل ؟
اورلاندو : كلا أيتها الأميرة الجميلة : لقد أطلق هو تحدياً عاماً. وقد أتيت أنا مثل الآخرين لأجرِّب عنفوان شبابي ضده.

سيليا : أيها الشاب النبيل، ان طبيعتك متهورة جداً بالنظر لعمرك. لقد سبق لك واقتنعت ببأس هذا الرجل ـــ فإذا كنت تستطيع أن تعرف نفسك بنفسك، وأن تحكم على ذاتك بعقلك، فإن الخوف من الخطر الذي تتعرض له سيشير عليك بتجنبه ـــ اننا نتوسل اليك، خوفاً عليك، من ان تستدرك سلامتك الخاصة، وتقلع عن هذه المحاولة.
روزالند : افعل ذلك يا سيدي : فإنه لن يحطّ البتة من سمعتك؛ نحن نتكفل بأن نحصل من الدوق على أمر بإيقاف القتال عند هذا الحد.

اورلاندو : أتوسل اليكما بأن لا تحكما عليَّ بما هو ليس فيَّ، رغم أني أعترف بأني مخطىء في رفض أي طلب لسيدتين كاملتين وجميلتين مثلكما. ولكن لترافقني عيونكما الجميلة وأمانيكما الرقيقة في هذا القتال !

إذا هزمت فلن يكون هناك من حقير سوى مخلوق كان لغاية الآن سيء الطالع؛ وإذا قتلت فلن يكون هناك من ميتٍ سوى كائن راغب في الموت، لن أُلحق أي أذى بأصحابي لأني لا أملك واحداً منهم ليبكيني؛ ولن أُلحق أي ضرر بالعالم لأني لا أملك فيه شيئاً ـــ أنا لا أشغل في العالم سوى مكان سيصبح أكثر امتلاءً عندما سأتركه فارغاً.

روزالند : كان بودي أن أضيف إلى بأسك القليل من القوة التي أملكها.
سيليا : كان بودي أيضاً أن أضيف إلى شجاعتك القليل من القوة التي أملك.
روزالند : أتمنى لك حظاً سعيداً.
سيليا : لتصحبك أماني قلبك.
شارل : هيا ! أين هو هذا الشاب الظريف الذي يتضايق ليرقد مع أمه الأرض !

اورلاندو : متقدماً، ها أنذا ! ولكنه في قرارة نفسه لم يكن راغباً في هذا القتال.

الدوق فريديريك : ستتوقفان عند أول سقطة لأحدكما.

شارل : كن مطمئناً، لن تحتاج إلى تشجيعه على سقطة ثانية، بعد أن جنبته ببراعة السقطة الأولى.

اورلاندو : أنت تأمل في أن تسخر مني بعد القتال، ولكن ليس لك أن تحتقرني قبله ــ هيا ! تقدم.

روزالند : ليكن هرقل في عونك أيها الشاب.

سيليا : كنت أتمنى لو أصبح كائناً غير منظور لأمسك بساق هذا الرفيق القوي !

(شارل واورلاندو يتصارعان)

روزالند : يا له من شاب رائع !

سيليا : اني أعلم من سيطرح أرضاً.

(شارل يسقط ــ تصفيق)

الدوق فريديريك : كفى ! كفى.

اورلاندو : لنتابع القتال ! اني أستحلفك. سعادتك.

الدوق فريديريك : كيف حالك يا شارل ؟

لوبو : انه لا يستطيع الكلام يا سيدي.

الدوق فريديريك : لأعوانه احملوه ــ (يحمل شارل). (مخاطباً اورلاندو) : ما إسمك أيها الشاب ؟

اورلاندو : اورلاندو يا سيدي، الإبن الأصغر للسيد رولان دي بوا.

الدوق فريديريك: ليتك كنت ابن رجل آخر! كان الناس يعتبرون أباك رجلاً نبيلاً، ولكني وجدت فيه على الدوام عدواً لي؛ لو كنت تتحدر من عائلة أخرى لأعجبتني بطولتك أكثر. وداعاً ! أنت فتىً مقدام؛ كنت أتمنى لو انك ذكرت لي أباً آخر. (يخرج تتبعه حاشيته ولوبو).

سيليا : لو كنت مكان أبي لما تصرفت هكذا، يا إبنة عمي.

اورلاندو: إني فخورٌ بكوني الإبن الأصغر للسيد رولان... آه! لن أبدّل هذا

اللقب مقابل لقب الوريث المتبني من قبل فريديريك.

روزالند : كان والدي يحب السيد رولان حبه لنفسه، والكل كان من رأي والدي ــ لو كنت أعلم مسبقاً أن هذا الشاب كان ابناً له لتوسلت اليه بالدموع بدل أن أدعه يجازف هكذا.

سيليا : هيا نشكره ونشجعه : ان مزاج والدي الجاف والحسود حز في نفسي ــ (مشيرة إلى اورلاندو) سيدي : لقد استحقيت الكثير ــ إذا كنت تستطيع أن تفي بوعودك في الحب كما استطعت الآن أن تتجاوز كل وعد، فإن خليلتك ستكون سعيدة.

روزالند : تعطي اورلاندو عقداً انتزعته من عنقها ــ أيها النبيل، علّق هذا كتذكار مني، من مخلوقة لفظها الحظ، والتي كانت ستعطي أكثر لو توافرت لها الوسائل اللازمة لذلك... هيا نمضي يا ابنة عمي ؟

سيليا : وداعاً أيها النبيل الجميل (تبتعدان) !

اورلاندو : ألا أستطيع أن أشكركما ؟ ان قواي قد انهارت، وما تبقى هنا فلا يعدو كونه دمية، أو كتلة جامدة.

روزالند : تتجه نحو اورلاندو ــ انه يدعونا... إن كبريائي سقط بسقوط حظي : سأسأله ماذا يريد... هل دعوتنا يا سيدي ؟ لقد قاتلت ببسالة وتجاوز نصرك أعداءك.

سيليا : ألا تأتين يا ابنة عمي ؟

روزالند : اني بتصرفك... وداعا (تخرج سيليا وروزالند).

اورلاندو : أي إحساس إذن يعقد لساني ؟ لم أستطع أن أكلمها، ومع ذلك فقد بعثت هي الحديث (يدخل لوبو). مسكين أورلاندو ! لقد هُزمت : إذا لم يكن شارل هو الذي هزمك، فإن مخلوقة ضعيفة هي التي قهرتك.

لوبو : سيدي، إني أنصحك كصديق بأن تترك هذا المكان ــ فرغم أنك حُزت على إعجاب الجميع وتقديرهم ومحبتهم، فإن مزاج الدوق جعله يفسّر سلبياً جميع ما قمت به ــ الدوق غريب الأطوار : ما هو عليه في الحقيقة، عليك أنت أن تدركه، وليس عليَّ أنا أن أقوله.

اورلاندو : إني أشكرك يا سيدي... قل لي، أرجوك، انه من السيدتين اللتين شاهدتا المبارزة هي ابنة الدوق !.
لوبو : لا هذه ولا تلك إذا أردنا أن نحكم على ذلك بموجب طبع كل منهما؛ ومع ذلك فإن الصغرى هي ابنته. والأخرى هي ابنة الدوق المنفي، عمها المغتصب يحتفظ بها هنا لتبقى في صحبة ابنته : إن حبهما المتبادل لهو أعربُ من التعلّق الطبيعي الذي يكون عادة بين شقيقتين. ولكني أستطيع أن أقول لك، أنه منذ فترة وجيزة، والدوق هذا يسعى لتكدير عيش ابنة أخيه لسبب واحد وهو أن الشعب يمتدحها لطيب خصالها ويشفق عليها لحبها لأبيها. أقسم بحياتي بأن غضبه حيالها سيتفجر فجأة... وداعاً سيدي ! غداً وفي عالم أفضل من هذا سأطلب منك أن تكون صداقتك لي ومعرفتك بي أمتن وأعمق.
اورلاندو : إني مدينٌ لك — وداعاً ! (لوبو يخرج). والآن أصبح عليَّ أن أنتقل من وطأة دوق طاغية إلى وطأة أخٍ طاغية ... آه ... يا روزالند ما أعزبك ! (يخرج).

المشهد الثالث

في قصر الدوق

(تدخل سيليا وروزالند)

سيليا : حسناً يا ابنة عمي؟ حسناً يا روزالند!.. اشفقي على نفسك! ولا تنبثي بكلمة!.
روزالند : ولا كلمة ولو مبتذلة!
سيليا : إن كلامك أثمن من أن يكون مبتذلاً، هيا لنقرع الحجة بالحجة.
روزالند: بقي أمامنا إذن أن يحجر علينا نحن الاثنتين: الواحدة لأن أفكارها غير مجنحة والثانية لأنها مجنونة (تتنهد).

سيليا : كلُّ هذا الغم بسبب أبيك!
روزالند : وبسبب والد ابني أيضاً. آه.. كما هي مزروعة بالأشواك أيام عملنا!
سيليا : ما هذا كله سوى أشواك علقت بك في غمرة أحد الأعياد، فإذا لم نسلك في حياتنا الطرق المألوفة علقت بأذيالنا.
روزالند : لو أن هذه الأشواك علقت بأذيالي لنفضتها عنها ولكنها في قلبي.
سيليا : اقتلعيها.
روزالند : سأحاول ذلك إذا كانت النتيجة الحصول عليه هو!
سيليا : هيا، هيا قاومي مشاعركِ.
روزالند : لقد انحازت مشاعري نحو مناضل هو أقوى مني.
سيليا : إني أتمنى لك التوفيق. ستأتي ساعة تحاولين فيها الوقوف بوجه مشاعرك، ولو أدّى ذلك إلى الفشل.. ولكن لنعدل عن المزاح ونتكلم بجدية: أيعقل أن الابن الأصغر للسيد رولان استمال قلبك بهذه السرعة!
روزالند : إن أبي كان يحب أباه بعمق.
سيليا : وهل ينتج عن ذلك أنَّ عليكِ أن تحبي ابنه بعمق! بموجب هذا المنطق يتحتم عليَّ أن أكرهه لأن والدي كان يكره والده بعمق ومع هذا فإني لا أكره أورلاندو.
روزالند : لا تكنِّي له الكره حباً بي؟
سيليا : ولماذا أكرهه! أليست له جدارة فائقة!
روزالند : دعيني أحبه لهذا السبب، وأنتِ حباً بي أحبيه.. انتبهي الدوق آتٍ.
سيليا : أرى الغضب في عينيه.

(يدخل الدوق فريديريك مع حاشيته)

الدوق فريديريك (مخاطباً روزالند) : استدركي سلامتك واتركي هذا القصر أيتها الفاجرة.
روزالند : أنا يا عمي!
الدوق فريديريك : أنتِ يا ابنة أخي.. ستموتين إذا لم تتجاوزي خلال عشر أيام، العشرين ميلاً من قصري.
روزالند : أرجوك، دعني أعلم ما هو ذنبي — فإذا كنت في الحقيقة أملك

كامل وعيي، فلا أهذي ولا أحلم وأدرك مشاعري، فإني على قناعة بأني لم أتعرض لك البتة.

الدوق فريديريك: هكذا يتصرف جميع الخونة: فلو كانت تبرئتهم منوطة بكلامهم، لكانوا أكثر الناس براءةً — إني لا أثق بكِ؛ فاكتفي بهذا!

روزالند: إن عدم ثقتك بي غير كافٍ لتخويني. قل لي ما الشبهات التي تحوم حولي؟

الدوق فريديريك: أنت ابنة أبيك، وهذا كافٍ.

روزالند: كنت ابنته أيضاً عندما سلبته دوقيته، وعندما نفيته. الخيانة ليست وراثية يا سيدي؛ وحتى لو كانت وراثية فإنها لا تعنيني؟ لم يكن أبي في يوم من الأيام بخائن. فلا تحكم عليَّ زوراً، وترى حتى في بؤسي خيانةً.

سيليا: سيدي، أرجوك ان تسمعني.

الدوق فريديريك : نعم سيليا — لقد أبقيناها هنا بسببك وإلا لكانت منذ زمن طويلة متشردة مع أبيها.

سيليا : لم أتوسل إليك يومها بأن تبقيها: فقط إرادتك المطلقة ورحمتك قاما بذلك كنتُ يومها صغيرة بعد لا أقدّر ابنة عمي، ولكني الآن أعرفها، إذا كانت خائنة، فأنا خائنة أيضاً: كنا دائماً نتام معاً ونغادر السرير معاً، نتعلم ونلعب ونأكل معاً؛ وحتى كنا لا نفترق بل نسير كما يسير الأوز أزواجاً أزواجاً.

الدوق فريديريك : انها ثاقبة البصيرة حيالك: دماثة خلقها، سكوتها وصبرهاتخاطب الشعب الذي يشفق عليها — انتِ مجنونة؛ انها تسلبك سمعتك —.ستتألقين أكثر وستبدين أكثر كمالاً عندما تبتعد هي من هنا — فلا تتكلمي — ان الحكم الذي أصدرته بحقها مطلق وغير قابل للرجوع عنه؛ انها منفية.

سيليا : أصدر هذا الحكم بحقي أيضاً؛ لا أستطيع العيش بدونها.

الدوق فريديريك : أنتِ مجنونة... وأنت يا ابنة أخي استعدي للسفر؛ إذا تجاوز بقاؤك هنا الوقت المحدد، فإني أُقسم بشرفي وبعظمة كلامي بأنكِ ستموتين!

(يخرج مع حاشيته)

سيليا : أين ستذهبين، يا روزالند المسكينة؟ أتبغين استبدال أبيك؟ سأعطيك أبي ـــ آه ـــ! سأنتصر لكِ لا تكوني أكثر حزناً مني.

روزالند : ان لديَّ من الأسباب ما يجعلني أكثر حزناً منك.

سيليا : بتاتاً يا ابنة عمي ـــ تشجعي أرجوك! أتجهلين أن أَبي قد نفاني أنا ابنته؟

روزالند : لا أعلم هذا.

سيليا : لم ينفني؟ ألا تشعرين إذن، يا روزالند، بالمودة التي تجعل منا نحن الاثنين شخصاً واحداً؟ ماذا! سننفصل الواحدة عن الأخرى ونبتعد عن بعضنا؟ كلا ـــ ليبحث أبي عن وريثة أخرى! هكذا لنصمم معاً كيف سنهرب وأين سنذهب وماذا سنحمل معنا. آه، لن يكون ألمك ملكك لوحدك ولن تتحملين أحزانك بمفردك، سأشاطرك كل هذا؛ فبحق هذه السماء التي تشاركنا مآسينا بشحوبها سأذهب معك إلى حيث تذهبين.

روزالند : حسناً، أين سنذهب؟

سيليا : سنلحق بعمي في غابة الأردين.

روزالند : يا للأسف! ما أشد الخطر الذي سيحيق بإبنتين مثلنا في ترحال بعيد كهذا! فالجمال يثير اللصوص أكثر من الذهب.

سيليا : سأرتدي زياً مضحكاً وحقيراً، وسأطلي وجهي بالتراب ـــ وستفعلين مثلي. وسنسلك طريقنا متجنبين المهاجمين.

روزالند : ألا يكون من الأفضل أن أرتدي زيَّ رجل لأن قامتي أطول من المعتاد؟ فيكون لي سكين يزين جنبي، وحربة في يدي، ومظهرٌ متبجح وعسكري نظير العديد من الجبناء الذين يخفون جبانتهم بوجوهٍ مقنعة ـــ كل هذا رغم أنّ قلبي سيتفطر جزعاً.

سيليا : وماذا سأدعوك في مثل هذه الحالة؟

روزالند : سأحمل اسم خادم الإله جُوبان فسمني إذن جانيماد ـــ وأنت ماذا سأدعوك؟

سيليا : سمني باسم يليق بحالتي: ان سيليا لم تعد موجودة، لقد أصبحت تدعى آليانا.

روزالند : قولي لي اذن هل نحاول أن نخطف مهرِّج أبيك علَّه يكون لنا عوناً في ترحالنا؟

سيليا : انه يذهب معي إلى آخر الدنيا، دعيني أُغريه لوحدي ــ هيا بسرعة لنجمع ثروتنا ومجوهراتنا ــ وبعد ذلك سننتهز الفرصة المناسبة وسنسلك الطريق الأكثر أماناً لنتفادى الملاحقات التي ستحصل بعد هروبنا ــ لننطلق بفرح ليس نحو المنفى ولكن نحو الحرية (تخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

مغارة في غابة الأردين

(يدخل الدوق المسن أميان، وبقية الأسياد بلباس الصيد)

الدوق المسن : حسناً، يا رفاقي في المنفى، ألا تدرون بأن حياتنا هنا هي أرق وأعزب من حياة القصور؟ أليس أن الحياة في هذه الغابة تجعلنا في مأمن من الأخطار أكثر من الحياة في فلك مستهدف! إننا هنا لا نلقى من عقاب سوى عقاب آدم ولا نتحمل من مشقة سوى تلك التي تنتج عن تعاقب الفصول. فإذا ما لفح البرد القارس جلد جسدي حتى لتصطك أسناني فإني لن أنفك عن البقاء مسروراً وعن أن أردد: هنا لا أثر للتملق، بل إذا كان هناك من مرشد يقف إلى جانبي فانه يشعرني بما أنا عليه. كم هي سَلِسَة أساليب العداوة: فهي كمثل ضفدع بغيضٍ ومُسِّم تعلو رأسه جوهرةٌ ثمينة. إنّ حياةً كهذه في منأى عن غوغاء الجمهور، لتجعلنا نكتشف أن للأشجار أصواتاً، وأن في الجداول

المنسابة كتباً، وأن في الحجـارة عبراً، وأن الخير كل الخير قـد تجده في كل شيء.
اميان : لم أكن أرغب في تغيير نمط حياتي. كم أنتَ سعيدٌ يا سيدي لأنك استطعت أن تترجم عداوة القدر لك بأسلوب هاديء وعذب.
الدوق المسن : هلّا نذهب إلى الصيد؟.. ولكني أربأ بنفسي أن أرى هذه المخلوقات البائسة، التي تقطن هذه الناحية المقفرة، تصابُ في عقر دارها، بسهامنا المتشعبة فتتخضب بالدم أوراكها المستديرة.
السيد الأول : ان هذا يؤلم أيضاً جاك صاحب المزاج السوداوي؛ إنه يقسم بأنك من هذه الناحية مغتصبٌ أكثر من أخيك الذي قام بنفيك. لقد تسللتُ اليوم، يرافقني اميان، خلفه إلى حيث كان مستلقياً تحت سنديانة ترمي بجذورها فوق جدول ينساب مدندناً عبر هذه الغابة، كان هناك أيل ضلَّ طريقه بعد أن جرحته سهام الصيادين؛ لقد كان يحشرج؛ كان الحيوان المسكين يرسل زفرات كادت وطأتها أن تمزق جلده؛ دموعُ كبيرة كانت تتساقط على أنفه البريء بعد أن أفلت من قبضة الصيادين التي تسببت له بهذا الشقاء، وهكذا كان جاك صاحب المزاج السوداوي، يتأمل بعطف هذا الحيوان المغطى بالوبر والواقف على الضفة الأخرى للجدول المتسارع في جريانه ليزيد من تدفقه بدموعه المدرارة.
الدوق المسن : وماذا قال جاك؟ ما هي العبر التي استخلصها من هذا المشهد؟
السيد الأول : لقد طَلَعَ بألف مقارنةٍ ومقارنة، فعندما رأى دموع الأيل المتساقطة في الجدول قال: مسكين أنتَ، انك مثلنا نحن أبناء هذه الدنيا، توصي الآن بما عندك إلى من يملك من قبلُ الكثير الكثير. وعندما رآه وحيداً متروكاً من قبل أصدقائه الغارقين في التنعم. ان المصيبة تباعد بين الأصدقاء. وفجأة وصل سرب من الأيائل وراحوا يقفزون بالقرب من الأيل الجريح غير مبالين به. وهنا راح جاك يخاطبهم قائلاً: ابتعدوا عنه أيها الأصدقاء الذين جعلكم اعتناؤه بكم من أصحاب السمنة؛ ولكنه الآن بات مفلساً فماذا ينفع ان تلقوا عليه ولو نظرة عابرة. ان هذا هو شأن أصدقاء هذا الزمان وهكذا فإن سهام شتائمه أصابت عمق الحياة في الريف والمدينة والقصور وحتى حياتنا

نحن: فهو يقسم بأننا محض مغتصبين وطغاة وما هو أسوأ من ذلك كله، لأننا نخيف هكذا الحيوانات ونسحقها في عقر دارها.
الدوق المسن : وهل تركته مسترسلاً في تأمله هذا؟
السيد الثاني : نعم لقد تركته يتأمل ويبكي هذا الأيل المنازع.
الدوق المسن : ارشدني إلى مكان وجوده، فإني أحب رؤيته وهو على ما هو عليه من الحزن والكآبة، فإنه في مثل هذه الحالة يذخر بكل ما هو عميق من افكار.
السيد الثاني : سأقودك اليه توّاً. (يخرجان)

المشهد الثاني

في قصر الدوق

(يدخل الدوق فريديريك ومعه حاشيته وبعض الأسياد)

الدوق فريديريك : هل يعقل بأن أحداً لم يَرَهما؟ لا بد أن بعض الخونة في قصري هم متواطئون معهما.
السيد الأول : لا أعلم بأن أحداً قد رآهما، ان النسوة اللواتي يخدمنها قد رأينها ذاهبة لتنام؛ ولكنهن عند الصباح وجدن السرير وقد نزع عنه ما كان يزينه من ذخائر ثمينة.
السيد الثاني : سيدي، ان المهرج النذل الذي كان يضحك من وقت إلى آخر قد اختفى أيضاً. إن ايسبيري، المؤتمنة على حُلي الأميرة، قد سمعت سراً ابنتك وابنة أخيك يمتدحان بإطراء صفات ومحاسن المقاتل الذي صرع مؤخراً شارل القوي؛ وهي تعتقد بأنه سيكون بصحبتهما في أي مكان يكونان قد لجأ اليه.

الدوق فريديريك : ارسل بطلبه من عند أخيه؛ وإذا كان غائباً فأتني بأخيه فسأجعله يتكفل بإيجاده. أسرع ولا تدخر وفراً في خطاك وتحرياتك للإمساك بهاتين المجنونتين الشريدتين. (يخرجون).

المشهد الثالث

أمام منزل أوليفير

(أورلاندو وآدم يلتقيان)

اورلاندو : من هناك!

آدم : ماذا يا أحب وأطيب سيد عرفته، يا صورة السيد رولان المُسِن! ماذا تفعل هنا! لماذا أنت فاضل هكذا؟ لماذا يحبك الناس؟ ولماذا أنت لطيف وقويٌ ومقدام! لماذا أيها المغفَّل صرعت بطل الدوق الغريب الأطوار؟ ان انتصارك قد سبقك بسرعة فائقة إلى هنا. أتعلم يا سيدي، بأن هناك أناساً تكون خصالهم أعداءً لهم؟ أنت منهم: ان صفاتك بالنسبة اليك تشكل حفنة من الخونة. أي عالم هذا هو الذي تفسد فيه كل مأثرة صاحبها!

اورلاندو : ماذا تعني؟

آدم : لا تدخلن من هذا الباب أيها الفتى المسكين! فإن تحت هذا السقف يقيم عدوك. أخوك أصبح على علم بانتصارك: انه عازم هذه الليلة على حرق المكان الذي ترقد فيه عادة فتحترق أنت في داخله. وإذا فشل في ذلك فإنه سيلجأ إلى شتى الوسائل للقضاء عليك. لقد فاجأته في مكائده. ان هذا المنزل لم يعد ملائماً لك انه مقصلة. فاحذره ولا تدخل اليه.

اورلاندو : ولكن إلى أين أذهب؟

آدم : إلى أي مكان ولكن لا تبق هنا.

اورلاندو : أتريدني أن أذهب مستعطياً قوتي اليومي، أو طالباً إياه بحد السيف كما يفعل قطاع الطرق؟ هذا ما سأفعله حتماً في مثل هذه الحالة، ولكني لن أقدم عليه مهما كانت الأسباب. اني أفضل عوضاً عن ذلك أن أكون معرَّضاً لشراسة أخٍ دموي تنكر لأصله.

آدم : لا تفعل ذلك. ان لديَّ خمسماية درهم ادخرتها يوم كنت في خدمة ابيك، وقد احتفظت بها لتكون عوناً لي في شيخوختي عندما ستجف الحيوية في أعضائي البالية. خذها! أما أنا فإني أترك أمر شيخوختي إلى العناية الإلهية التي تطعم الغربان وتوفر القوت للعصافير !... اني أعطيك كل ما أملك من الذهب. دعني فقط أخدمك. اني ما زلت قوياً ونشيطاً رغم شيخوختي. فإني في ريعان شبابي لم أهدر طاقتي في تناول الكحول ولم أتلف قواي في ارتكاب المحرمات. وهكذا فإن شيخوختي هي أشبه بشتاء قارس ولكنه سليم. دعني أذهب معك: فإني سأخدمك في كل أمورك وفي كل حاجاتك كما لو كنت في ريعان شبابي.

اورلاندو : انك شيخٌ فاضل! إنك تجدُّ بدافع الواجب وليس بدافع المنفعة، تماماً كما كان يفعل الخادم الجلود في غابر الأيام. أنت لست من أبناء هذا الزمان الذي يجدُّون في سبيل منفعتهم، فإذا حصلوا عليها خنقوا حميتهم بأنانيتهم: أما أنت فلست كذلك. أيها العجوز المسكين، انك لتعتني بشجرة فاسدة لا تستطيع أن تعطيك مقابل أتعابك وعنايتك بها حتى ولو زهرة واحدة، ولكن تعالَ واصحبني، فقبل أن ننفق ما ادخرته أنت في شبابك من المال فإننا لا شك واجدون مصيراً نرتاح اليه.

آدم : إلى الأمام يا سيدي! سأتبعك حتى آخر نفسٍ لي بثبات واستقامة. منذ أن كنتُ في السابعة عشرة من عمري وإلى أن بلغتُ الثمانين عشتُ هنا، ولكمني الآن لا أرغب البتة في العيش هنا. في السابعة عشرة من العمر، يسعى الكثيرون في طلب الثروة ولكن من كان في الثمانين يدرك بأن القطار قد فاته ـــ هذا لا يهم! ان القدر لا يستطيع أن يكافئني بأكثر من أن يميتني شريفاً وغير مدين لسيدي بشيء. (يخرجان)

المشهد الرابع

على حدود غابة الاردين

(تدخل روزالند بثياب فلاح، سيليا متخفية بزي راعية. وبيار دي توش)

روزالند : كم أن روحي متعبة!

بيار دي توش : أما أنا فإني لا أعاني من التعب في روحي بقدر ما أعاني منه في رجليَّ.

روزالند : اني على استعداد كلي لأن ألحق العار بلباس الرجل الذي أتخفى به وأن أبكي كامرأة؛ عليَّ أن ألزم جانب الفريق الأضعف. أليس الرجال هم مدينون في شجاعتهم للنساء: تشجعي إذن يا نفسي!

سيليا : أرجوك أن تتحمَلي قوايَ المنهارة: لا أستطيع الذهاب أبعد من ذلك.

بيار دي توش : من ناحيتي، أفضل أن أتحمل قواكِ المنهارة على أن أحملك؛ ولكن إذا اقتضى الأمر وحملتك، فإن حملي سيكون خفيفاً، لأنه على ما أعتقد، لا يوجد درهم واحد في محفظتك.

روزالند : هوذا غابة الاردين!

بيار دي توش : ها انني في غابة الآردين؛ ان هذا ليزيد من جنوني. عندما كنت في البيت كنت أفضل من الآن؛ ولكن على المسافرين أن يُسرُّوا بكل شيء.

روزالند : كن مسروراً. ولكن أنظر ها ان شاباً وشيخاً قادمان الينا. وهما يتحدثان.

(يدخل كوران وسيلفيوس)

كوران : ان هذه الطريقة تجعلها دائماً تحتقرك.
سيلفيوس : آه يا كوران، لو كنت تعلم كم أحبها!
كوران : إن هذا الأمر ليس بغريب عني، فقد سبق لي وأحببت فيما مضى.
سيلفيوس : انك وقد أصبحت الآن شيخاً. لم تشعر في صباك بلفحة الحب المحرقة التي تقضُّ علي مضجعي. وهب ان حبك كان يشبه حبي فهلا ذكرت لي بعضاً من الأعمال المثيرة للسخرية التي عرَّضك لها حبك هذا؟
كوران : لقد جرني حبي إلى ألف عمل وعمل من هذا النوع، ولكن نسيتها جميعاً.
سيلفيوس : انك لم تحب البتة كما أحب أنا الآن. فإذا كنت لا تذكر ولو حماقةً واحدةً من تلك التي جرَّك اليها هواك فإنك لم تحب. وإذا كنت لم تجلس كما أفعل أنا الآن وترهق من يستمع اليك بمديح حبيبتك فإنك لم تحب أيضاً. وإذا كنت لم تغادر صحبك فجأة ودونما استئذان، تحت وطأة الحب، كما أفعل أنا الآن فإنك لم تحب أيضاً...

(يخرج منادياً فيبي! فيبي! فيبي)!

روزالند : انك إذ كنت تسبر جرحَك، أيها الراعي المسكين، إذا بي أرى جرحي ينفتح، يا لها من مصادفة محزنة.
بيار دي توش : وأنا أشعر بأن جرحي قد انفتح. اني أذكر كيف اني عندما كنتُ عاشقاً أقدمت على تحطيم سيفي فوق أحد الصخور قائلاً له : هذا جزاء من يقصد ليلاً حبيبته. وإني أذكر كيف قبلت المخباط الذي كانت تحمله، وضرع البقرة التي كانت تحلبه أناملها الجميلة المغطاة بالشقوق. وفي أحد الأيام رحتُ أداعب قرن البقرة بدلاً من مداعبة حبيبتي، وبعد أن أمسكت به قدمته اليها والدموع في عيني وقلت لها: احمليه بحق حبك لي. نحن العشاق الحقيقيون ستستلم لنذوات غريبة. وكما ان كل كائن هو ميت فإن كل عاشق هو مصاب بالجنون.
روزالند : انك تتكلم بمثالية تامة دون أن تنتبه لذلك.
بيار دي توش : اني لا أهتم لهذا الأمر.
روزالند : ان حبَّ هذا الراعي يشبه كثيراً حبي.

بيار دي توش : ولكن حبي بدأ يعتريه الفساد.

سيليا (مشيرة إلى كوران) : أرجوكما فليطلب أحدكما إلى هذا الرجل بأن يأتينا بالطعام مهما غلا ثمنه فإني أتضور جوعاً.

بيار دي توش (منادياً): تعالَ أيها الوغد؟

روزالند : اخرس أيها المجنون فإنه ليس بقريبك.

كوران : من ينادي؟

بيار دي توش : يناديك من هو محظوظٌ أكثر منك.

كوران : ولو لم يكن كذلك لكان من أشقى الناس.

روزالند : اسكت قلتُ لك!.. مساء الخير يا صديقي!

كوران : مساء الخير يا سيدتي لكِ ولجميع الحاضرين!

روزالند : أرجوك أيها الراعي، بأن تؤمن لنا في ناحية ما من هذه الصحراء مأوىً نلجأ اليه حيث نجد الراحة والطعام. فإن سيليا مرهقة من التعب وتتضور من الجوع.

كوران : اني أرثي لحالها، وأتمنى لو يحالفني الحظ لنجدتها. ولكني لست سوى راعٍ لرجل آخر ولا أستطيع حتى أن أجز الخراف التي أرعاها. ان سيدي هو صاحب طبع متوحش ولا يهتم بالضيافة فيعتبرها طريقاً يفتح له باب السماء. وبالإضافة إلى ذلك فإن كوخه ومواشيه ومراعيه هي كلها الآن معروضة للبيع؛ وبسبب غيابه فإنه لا يوجد في الحظيرة ما يؤكل. ولكن هلموا وانظروا فأنا لست مسؤولاً إذا أسيء استقبالكم.

روزالند : من تقدم لشراء مواشيه ومراعيه؟

كوران : هذا الراعي الشاب الذي ترينه، والذي لا يهمه الآن شراء أي شيء.

روزالند : إذا كانت الإهانة لا تقف حائلاً دون ذلك، فإني أطلب اليك بأن تشتري الكوخ والمرعى والقطيع، وإننا سنتكفل بدفع الثمن.

سيليا : ونحن سنزيد من ضماناتك. اني أحبُّ هذا المكان، وسأمضي بقية أيامي فيه.

كوران : اني متأكد بأن هذا كله معد للبيع. تعاليا معي. وبعد أن تستعلما تماماً عن موضوع البيع، فإذا أحببتما الأرض ومدخولها وهذا النوع من الحياة،

فإني سأكون راعيكما الأمين وسأشتري كل هذا مباشرة بما تملكان من ذهب. (يخرجون)

المشهد الخامس

(في الغابة)

(يدخل اميان، جاك وآخرون)

اميان : مغنياً —

ليت الذي يحب الاستلقاء معي
تحت الشجرة الخضراء
وينغم أغنيته المرحة
فتبدو منسجمة مع صوت العصفور الشجي،
ليته يأتي إلى هنا
حيث لا عدو سوى الشتاء والطقس الرديء!

جاك : أرجوك أن تسترسل في الغناء!

اميان : ان هذا يجعلك كئيباً يا سيد جاك!

جاك : أرجوك أن تسترسل في الغناء، لأن لي قدرة على امتصاص الكآبة التي تذخر بها أغنية ما، تضارع قدرة ابن عرس على امتصاص البيضة.

اميان : لقد بُحَّ صوتي، لذلك لن أستطيع أن أجعلك مسروراً.

جاك : اني لا أسألك بأن تجعلني مسروراً، ما أطلبه اليك هو أن تغنّي فقط — هيا! قدِّم لنا مقطعاً آخر — ألا تسمّي مقاطع هذا الذي تردده على مسمعي؟

اميان : سمّه ما شئت يا سيدي.

جاك : لا تهمني التسمية ـــ ألا تريد أن تغنِّي؟
اميان : فليكن!ا سأغني بناءً على طلبك وليس لأن ذلك يسرني.
جاك : إذا كان عليَّ أن أشكر أحداً فهو أنت ـــ ان ما يسميه الناس ثناءً يشبه لقاء اثنين من القِرَدة؛ اني أشبِّه الشخص الذي يشكرني عن مودَّة، بمتسوِّل يبدي نحوي عرفانه بالجميل لقاء مبلغ زهيد من المال وهبته إياه. هيا، غنِّي... أما أنتم الذين لا تغنون فاحبسوا ألسنتكم.
اميان : حسناً، سأنهي الأغنية... ضعوا الغِطاء، فإن الدوق يريد أن يشرب تحت هذه الشجرة. (مشيراً الى جاك) لقد بحث عنك النهار كله.
جاك : أما أنا، فقد تجنبته النهار كله. انه يماحكني كثيراً. اني أفكر بمقدار ما يفكر هو، ولكني أشكر السماء على أن هذا لا يحملني على الكبرياء. هيا غنِّي.
اميان: (يغني والجميع يرافقونه):

أغنيته

ليت الذي يبتعدُ عن الطمع
ويحبُّ العيش في الشمس
باحثاً عن قوته
مكتفياً بما يحصل عليه
ليته يأتي إلى هنا

حيث لا عدو سوى الشتاء والطقس الرديء.
جاك : سأقدم لك مقطعاً نظمته البارحة رغماً عن خيالي، بإمكانك ان تغنِّيه على نفس النغم.
اميان : سأغنيه.
جاك : هذا هو:
اذا حصل صدفةً
وتحول إنسان ما إلى حمار
إرضاءً لنزوة عنيدة،

فليات إليّ! (يتكلم باليونانية)
فسيرى انه يوجد هنا مجانين مثله

اميان : ما معنى هذا التعبير اليوناني الذي تلفظتَ به؟

جاك : هذا دعاءٌ يوناني يستعمل لجعل الحمقى ينتظمون في حلقة واحدة... سأنام اذا استطعت.

اميان : وأنا سأبحث عن الدوق؛ ان مأدبته جاهزة. (يتفرقون).

المشهد السادس

(على حدود الغابة)

(اورلاندو وآدم يدخلان)

آدم : سيدي، لا أستطيع الذهاب أبعد من ذلك... اني أموت جوعاً! سأستلقي هنا كمن ينام في حفرته الأخيرة ـــ وداعاً يا سيدي!

(ينهارُ على الارض).

اورلاندو : ما بالك! هل فقدت كل شجاعتك! عليك أن تحيا ولو قليلاً لتساعدني! اذا كان في هذه الغابة من حيوان غير أليف، فإما أن آتيك به لتأكله، وإما انه سيفترسني. ان الموت يعشعش في مخيلتك أكثر منه في قواك. تشجع، وأبعد عنك شبح الموت، بحق محبتك لي. سأعود اليك فوراً، وإذا لم آتيك بما تأكله فإني سأسمح لك بأن تموت؛ ولكنك إذا متَّ قبل عودتي فمعناه انك تسخر من شقائي... الحمد لله انك تستعيد نشاطك ! سأعود اليك فوراً... ولكنك هنا مستلق في الهواء الصَّقِع. تعالَ سأحملك الى أحد الملاجىء، ولن أدعك تموت من قلة الطعام حتى ولو لم يكن في هذه الصحراء سوى كائنٌ حيٌ واحد... تشجع!

(يخرج حاملاً معه آدم)

المشهد السابع

(في الغابة ـــ مائدة تحت الأشجار)

(يدخل كلّ من الدوق المسن، اميان وبعض الأسياد)

الدوق المسن : إني أعتقد بأنه تحول إلى حيوان، فإني لن أجده في أي مكان بشكل إنسان.

السيد الأول : لقد كان هنا الآن مسروراً لسماعه أحد الأغاني.

الدوق المسن : إذا أصبح موسيقاراً، وهو على ما هو عليه من التناقضات فإن خلافاً سيقع بين الأفلاك. اذهب وابحث عنه؛ قل له اني أريد أن أتكلم اليه.

(يدخل جاك)

السيد الأول : انه قادمٌ، لقد وفَّر عليَّ عناء البحث عنه.

الدوق المسن : أهكذا تكون الحياة بين الأصدقاء! هل هو مفروض على أصحابك أن يستجدوا صحبتك؟ ولكن ماذا؟ انك تبدو لي فرحاً.

جاك : مجنون! مجنون! لقد التقيت بمجنون في الغابة، مجنون يرتدي بدلة مزركشة... مسكين هذا العالم! لقد صادفتُ مجنوناً مستلقياً على الأرض، يطلب الدفء في الشمس، ويسخر من القدر بتعابير منتقاة، ومع ذلك فإنه مجنون يرتدي بدلة خادم بادرته قائلاً: صباح الخير أيها المجنون، فأجابني: لا تسمني مجنوناً طالما ان السماء لم تجعلني محظوظاً. ثم تناول من جيبه ساعة وحدَّق فيها بعينٍ كامدة قائلاً بتعقل: انها الساعة العاشرة!... وأكمَل قائلا: هكذا يمكننا أن نرى كيف يكافح العالم؛ منذ ساعة كانت الساعة تشير الى التاسعة؛ وبعد ساعة ستشير إلى الحادية عشر؛ وهكذا من ساعة إلى أخرى،

ننضج نحن ويعترينا الفساد وينتهي التاريخ. عندما سمعت هذا المجنون يتأمل الزمان وهو يرتدي بدلة خادم، رُحتُ أغنِّي كالديك؛ ورحت أضحك سحابة ساعة بدون انقطاع... كم أنتَ نبيل أيها المجنون! وحدها بدلة الخادم هي الهندام الأنيق.

الدوق المسن : من هو إذن هذا المجنون؟

جاك : لقد كان في القصر. يقول طالما ان النساء ما زلن شابات وجميلات فإنهنَّ يتعرفن اليه؛ في دماغه الجاف بعض الملاحظات يبديها مقاطعاً بالضحك — آه لو كنت مجنوناً وكان لي بدلة خادم مزركشة!

الدوق المسن : ستكون لك بدلة خادم مزركشة.

جاك : انها الوحيدة التي تليق بي ولكن عليك أولاً أن تستأصل من حكمك الصائب هذا الرأي المتأصِّل فيه والقائل بأني إنسان عاقل — أريد أن تكون لي صراحة تامة، وأن أكون طليقاً كالهواء، فإن المجانين يتمتعون بهذه الميزة — والذين سيسخرون مني أكثر، هم أولئك الذين سينال منهم جنوني أكثر من سواهم ولماذا كل هذا يا سيدي؟ لأن اشراقة الذهن الجريئة التي يتمتع بها مجنون ما تعرِّي الجنون الهاجع في الرجل العاقل. ألبسني ثوبي المزركش، واسمح لي بأن أعبِّر عن أفكاري، فإني أتعهد بأن أطهِّر هذا العالم الغارق في الفساد، شريطة أن تدعوا علاجي هذا يفعل فعله بأناة.

الدوق المسن : اني أعلم ماذا ستفعل.

جاك : ماذا سأفعل في النهاية سوى الخير؟

الدوق المسن : انك سترتكب أشنع خطيئة عندما ستوبِّخ أحدهم على خطيئته. لأنك أنت سبق لك وكنت شهوانياً فاسقاً، وكل الشرور المتأصلة فيك التي جمعتها أيام فجورك ستنقلها إلى العالم أجمع.

جاك : سأتكلم بشكل عام — لن أوجّه كلامي إلى شخص بحد ذاته. فإذا صدف وامتعض أحد السامعين فهذا يعني بأن الرذيلة التي أدعوا الناس الى التخلص منها هي متأصلة فيه. أما إذا كان المستمع إليَّ بغير لوم فإن حديثي لن يطاله بسوء.

(يدخل اورلاندو ممتشقاً حسامه)

اورلاندو : توقفوا عن الطعام!
جاك : لم آكل بعد.
اورلاندو : ولن تأكل قبل أن أقضي حاجتي.
جاك : أي نوع من الرجال أنت؟
الدوق المسن : هل ان مصابك هو الذي يجعلك تتطاول إلى هذا الحد؟ أو هل أن احتقارك الفظ للآداب الحميدة هو الذي يجعلك فاقداً كل تهذيب؟
اورلاندو : لقد أصبت فيما يتعلق بالشق الأول من كلامك — لقد عضَّني الجوع وأفقدني كل مظاهر التهذيب؛ ومع ذلك فإني أنتمي إلى بلد متحضّر وأعرف كيف أحسن العيش — توقفوا، قلت لكم! سيموت كل من ستلمس يداه هذه الفاكهة، قبل أن أقضي حاجتي!
جاك : فليقضِ عليَّ إذا كانت كل الحجج غير كافية لإقناعك!
الدوق المسن : ماذا تريد؟ لقد كان الأجدر بك أن تستميلنا بلطفك وليس بقوتك.
اورلاندو : اني أموت جوعاً، أعطني فآكل.
الدوق المسن : إجلس وكل، أهلاً بك الى مائدتنا.
اورلاندو : انك تتكلم بلطف! عذراً أرجوك! كنت أعتقد بأن كل شيء هنا هو متوحش، لذلك تكلمت اليكم بصيغة الأمر. ولكن لا يهمني من أنتم؛ ما يهمني هو أن أعرف اذا كنتم، وأنتم الآن تضيعون وقتكم سدى مستظلين هذه الأغصان الحزينة في هذه الصحراء البعيدة، اذا كنتم قد عرفتم في يوم من الأيام حياة أفضل من هذه، وإذا كنتم قد عشتم هناك حيث تنادي الأجراس المتعبدين الى الكنيسة، وإذا كنتم قد جلستم الى مائدة أحد الرجال الشجعان، وإذا كنتم كفكفتم دموعكم مدركين بذلك ما هي الشفقة؟ في مثل هذه الحالة فليتحول العنف الذي فيَّ الى لطف! وعلى هذا الرجاء فإني أغمد سيفي وأخجل من نفسي.

(يغمد سيفه)

الدوق المسن : لقد كانت لنا حياة أفضل، وسبق لنا وسمعنا الجرس المقدس ينادينا إلى الكنيسة، كما سبق لنا وجلسنا الى مائدة رجال شجعان وكفكفنا

دموعنا التي سببتها الشفقة المقدسة؛ وهكذا فما عليك إلا أن تجلس إلى مائدتنا بكل لطف وتتناول بكامل حريتك ما يسد حاجتك من الموارد المتوافرة بين أيدينا.

اورلاندو : حسناً، تأخروا قليلاً لتناول طعامكم، ريثما أسرع في احضار مرافقي ليأكل معنا ــ انه شيخٌ مسكين حمله وفاؤه لي على أن يتبعني بخطى متثاقلة، فإلى أن يستعيد قواه المنهارة بسبب تقدمه في العمر وبسبب ما يعانيه من الجوع، لن تلمس يداي شيئاً.

الدوق المسن : هيا، أحضره، فإننا لن نتناول شيئاً قبل عودتك.

اورلاندو : اني أشكرك على ما تكرمت به عليَّ من مساعدة. (يخرج).

الدوق المسن : مخاطباً جاك ــ أنت تدري الآن بأننا لسنا وحدنا تعساء، ان مسرح الكون الواسع يحفل بمشاهد أشد ايلاماً من المشهد الذي نظهر نحن من خلاله.

جاك : ان العالم مسرح والناس فيه ممثلون ــ كل واحد فيه، يدخل اليه ويخرج منه، ويلعب فيه الأدوار المختلفة لدراما مقسمة الى سبعة أعمار ــ الدور الأول يقوم به الطفل الوليد وهو يصرخ ويبصق لعابه بين ذراعي مرضعته ــ يليه الدور الثاني عندما يغدو التلميذ إلى المدرسة رغماً عنه، والبكاء يعلو وجهه المنوَّر، حاملاً محفظته ــ يليه أيضاً العاشق المتيم والمحترق بأتون الحب الذي يضمره لعشيقته ــ ومن ثم يأتي دور الجندي المتحرق الى القتال واقتناص الشرف والشهرة التي سرعان ما تتبخر بعد أن تكون قد رمت به في فوهة المدفع ــ ويلي هذا الدور دور القاضي صاحب النظرات القاسية، واللحية المشذبة، والبطن المستدير، والأحكام المبتذلة ــ بعد كل هذه الأدوار يأتي دور الرجل المسن، النحيل الجسم، تعلو أنفه نظارتان، وقد غار صوته الأجش ــ أما المشهد النهائي الذي ينهي هذه الدراما التاريخية، الغريبة والمليء بالأحداث فإنه عبارة عن طفولة ثانية، انها حالة من النسيان التام، يصبح فيها الإنسان فاقد الأسنان والعينين، والذوق، انه فاقد لكل شيء.

(يعدو اورلاندو حاملاً آدم)

الدوق السمن : أهلاً بك! انزل عنك مرافقك ودعه يأكل.

اورلاندو : اني أشكرك من صميم قلبي من أجله.
آدم : حسناً فعلت... لأني لا أستطيع الكلام حتى أشكره من أجلي.
الدوق المسن : أهلاً بك الى مائدتنا!.. لا أريد أن أزعجك باستفساري عن مغامراتك.. استمع إلى الموسيقى! وأنت يا ابن عمي غني.
اميان: (مغنياً):

انفخ انفخ يا هواء الشتاء
فإنك لست بأسوإ من
نكران الجميل عند الإنسان
ان نابك ليس بقاطعٍ
لأنك غير منظورٍ
ونفسَكَ أيضاً ليس بقاسٍ
لنغنِّي تحت هذه الشجرة الخضراء

في أغلب الأحيان تكون الصداقة كاذبة والحب مجرد جنون لذلك فإن حياتنا هذه هي الأكثر حبوراً.

صقّعي، صقّعي أيتها السماء القاسية
فإن لسعتك ليست بأقسى
من معروف منسي
فمهما جَلَدت المياه بقسوة
فإن سوطك لا يجرح أكثر
مما يجرح نسيان صديق لأصدقائه.
لنغني تحت هذه الشجرة الخضراء

في أغلب الأحيان، تكون الصداقة كاذبة والحب مجرد جنون لذلك فإن حياتنا هذه هي الأكثر حبوراً.

(فيما كان اميان يغني، كان الدوق المسن يتحدث بصوت منخفض مع اوزلاندو)

الدوق المسن : إذا كنت في الحقيقة ابن السيد رولان الشجاع، كما قلته لي وكما تثبته لي نظرتي اليك التي ترى في محيَّاك صورة صادقة وحيَّة لوجه أبيك، فإنه لا يسعني إلا أن أرحِّب بك أشد الترحيب.. أما بالنسبة للبقية الباقية

من مغامراتك فستقصها عليَّ في كهفي ــ مخاطباً آدم ــ اني أرحب بك أيضاً أشد الترحيب أيها العجوز الطيِّب ــ مخاطباً أحد أفراد حاشيته ــ امسك بذراعه ــ مخاطباً اورلاندو ــ هات يدك وأطلعني على جميع مغامراتك.

الفصل الثالث

المشهد الأول

(في قصر الدوق)

(يدخل كل من الدوق فريديريك. اوليفير وبعض الأسياد والخدم)

الدوق فريديريك (مخاطباً اوليفير): لم تَرَه منذ ذلك الحين؟ هذا ليس بمعقول. لو لم أكن رحوماً لكنت أنتَ موضوع انتقامي، ولكن انتبه، عليك أن تجد أخاك حيثما يكون؛ فتش عنه على ضوء المشاعل عُد به حياً أو ميتاً، وذلك قبل سنة؛ وإلا فلن تكون لك حياة فوق أرضنا. سأستولي على أرضك وجميع ممتلكاتك إلى أن تبرِّىء نفسك بفم أخيك من جميع الشكوك الموجهة ضدك.

اوليفير : آه! لو كنت تعرف أعماق قلبي؟ لم أحب أخي طوال حياتي.

الدوق فريديريك : هذا لا يزيدك إلا خساسة... هيا، أخرجوه من هنا، ولتجمد أملاكه ومنزله! اطردوه من هنا وافعلوا ما أُمرتم به بسرعة.

(يخرجون)

المشهد الثاني

(في الغابة)

(يدخل اورلاندو ويعلق ورقة على الشجرة)

اورلاندو: منشداً ـــ

تسمَّري هناك، أشعاري، شهادة لي على حبي
وأنتَ يا مليك الليل المتوج ارسل من علياء فلكك
الشاحب، نظراتك الطاهرة
إلى التي ملكت عليَّ حياتي
روزالند! سأجعل من هذه الأشجار دفاتري
وسأحفر في قشورها أفكاري
لترى جميع العيون المبصرة في هذه الغابة
فضيلتك المشهود لها في كل مكان.
أسرع، أسرع، اورلاندو، دوِّن فوق كل شجرة
ذكرى تلك الجميلة، الطاهرة، والفائقة الوصف! (يخرج)

(يدخل كوران وبيار دي توش).

كوران : وكيف تجد حياة الرعاة هذه؟

بيار دي توش : اني أقدرها حق قدرها لأنها حياة منعزلة في الريف، ولكنها مملة لبعدها عن القصور. انها تلائم طبعي لكونها حياة بساطة وتقشف، ولكن ذوقي يمجُّها لكونها خالية من الرخاء ـــ وأنت أيها الراعي هل لك من فَلسفة خاصة بك؟

كوران : ان فحوى فلسفتي هو ان المريض لا يشعر بالسعادة، وإن فاقد المال والمورد والقناعة هو فاقدٌ لثلاثة أصدقاء؛ وإن من خواص النار أن تحرق والمطر أن يبلّل والمرعى الخصب أن يربِّي قطيعاً مسمَّناً، وإن علة الليل غياب الشمس، وإن الذي حرمته الطبيعة أو العلم من الذكاء عليه أن يندبَ سوء تربيته أو كونه ولد من أبوين بليدين.

بيار دي توش : هذه فلسفة طبيعية... هل سبق لك وعشت في القصر أيها الراعي؟

كوران : كلا.

بيار دي توش : اذن أنت هالك.

كوران : آمل أن لا يكون نصيبي الهلاك.

بيار دي توش : بل أنت هالك ومحكوم عليك بالهلاك بكل تأكيد.

كوران : كل هذا لأني لم أعش في القصر! كيف هذا!

بيار دي توش : حسناً إذا كنت لم تعش في القصر فهذا يعني انك تجهل السلوك الحسن وإن سلوكك هو حتماً سيء، ولك ما هو سيء هو خطيئة وكل ما هو خطيئة حصيلته الهلاك. انك في وضع خطر أيها الراعي.

كوران : ليس الأمر كذلك البتة. لأن ما تعتبرونه سلوكاً حسناً في القصر هو موضوع سخرية في الريف كما أن ما يحسب سلوكاً حسناً في الريف هو موضوع سخرية في القصر ــ لقد قلت لي بأنكم تحبون بعضكم البعض في القصر عن طريق تقبيل الأيادي: إن هذا يعتبر أمراً مستهجناً لدينا نحن الرعاة.

بيار دي توش : هات برهانك على ذلك، أسرع!

كوران : حسناً، نحن نلمس باستمرار خرافنا وأنت تعلم بأن ضعفها مدهن.

بيار دي توش : حسناً، وهل أن أيدي أفراد الحاشية لا تنضح بالعرق؟ أليس هذا العرق هو سليم مثل الدهن السائل من صوف الشاة ! إن الحجة التي تقدمت بها هي إذن فارغة. هيا هات حجة أفضل منها...

كوران : بالاضافة إلى ما ذكرت فإن أيدينا هي خشنة.

بيار دي توش : هذه الخشونة تجعل شفاهكم تشعر أفضل عندما تلامسها. هذه حجة فارغة أيضاً! هات حجة أقوى منها!

كوران : ومن ثم فإن أيدينا غالباً ما تكون مغطاة بالقطران، عندما نعتني بقطيعنا... أتريد منا إذن أن نقبل القطران، في حين أن أيديكم أنتم أبناء القصور تفوحُ منها رائحة المسك؟

بيار دي توش : إنك إنسان محدود، استمع إلى من أوتيَ الحكمة وفكِّر. أن استخراج المسك هو أقل كلفة من استخراج القطران. هيا اعطني حجة أفضل أيها الراعي!

كوران : إنك بالنسبة إليَّ صاحب عقل راجح، لذلك سأكتفي بما أدليت به من حجج.

بيار دي توش : أتريد أن تبقى هالكاً؟ ليكن الله في عونك أيها الإنسان المحدود. ليفتح الله عقلك! كم أنت ساذج.

كوران : سيدي، إني لست سوى عامل يومي متواضع، أكسب ما يسد حاجتي من الطعام واللباس، إني لا أضمر الحقد لأحد؛ لا أحسد أحداً على سعادته بل أفرح لفرحه وأصبر على كل شدة تحل بي، وأشد ما أكون فخوراً عندما أرى نعاجي ترعى وحملاني ترضع منها.

بيار دي توش : هذه أيضاً بساطة تلام عليها. أنت تجمع النعاج والكباش، وتقوم بدور الوسيط لتحقيق المجامعة بينهم، كل ذلك على حساب تقدمك العقلي. فإذا كان كل هذا غير كافٍ لجعلك هالكاً، فلأن الشيطان لا يريد رعيانا في عداد الهالكين معه، وإلا فإني لا أدري كيف يمكنك أن تنجو من الهلاك.

كوران : إن السيد غانيماد (قادم، هو الأخ الأصغر لعشيقتي الجديدة).

(تدخل روزالند وهي تقرأ مطبوعة)

روزالند :

من الشرق حتى الهند الغربية.
لا توجد جوهرة تضارعك، روزالند!
إن مجدك الذي يمتطي الهواء
يحملك عُبرَ الكون يا روزالند.
إن الوجوه الأكثر إشراقاً

تبدو مظلمة حيالك يا روزالند.
ليكن منسياً كل جمالٍ
خارج عن جمالكَ يا روزالند!

بيار دي توش : إن باستطاعتي أن أنظم لكِ شعراً كهذا مدة ثماني سنوات متواصلة باستثناء ساعات الطعام والنوم. إني أفعل ذلك بنشاط يضاهي نشاط بائعة السمن وهي ذاهبة إلى السوق.

روزالند : اهدأ أيها المجنون.

بيار دي توش :

إذا طلب أيلٌ غزالة.
فليذهب في طلب روزالند
وإذا نشدت هرَة بعلها.
فهكذا تفعل روزالند.
إن لباس الشتاء يجب أن يكون مزدوجاً.
وهكذا يجب أن تكون روزالند النحيلة.
في الحصاد يجب أن نضم باقات القمح.
ونربطها وننقلها مع روزالند.
إن الجوزة الأكثر عذوبة هي التي تغلفها قشرة صلبة.
هذه الجوزة هي روزالند.
من ابتغى الحصول على أحلى وردة.
فإنه وجد شوكة الحب وروزالند معاً.

لماذا تجعلين نفسك تنضحين بالرائحة الكريهة المتفشية من هذه الأبيات وذلك بتردادك لها.

روزالند : اخرس أيها الأحمق! لقد وجدتها معلقة على الشجرة.

بيار دي توش : في الواقع، ان تلك الشجرة تعطي ثماراً رديئة.

روزالند : سأطعمك بهذه الشجرة ومن ثم سأطعمك بشجرة زعرور، وعندئذ ستصبح الشجرة الأكثر كمالاً في هذه الناحية، وستعطي ثماراً فاسدة قبل نضوجها، هذا ما تفعله شجرة الزعرور.

بيار دي توش : لقد تكلمتِ، بقي على هذه الغابة أن تقرر ما إذا كان كلا منا مصيباً أم لا.

(تدخل سيليا وهي تقرأ مطبوعة)

روزالند : اخرس إن شقيقتي قادمة وهي تقرأ، لننظم أنفسنا.

سيليا: (منشدة):

لماذا هذه الغابة مقفرة.
هل لأنها غير مأهولة؟ كلا.
سألصق بكل شجرة ألسنةً.
لتعلن حقائق عظيمة.
ستقول كيف أن حياة الإنسان
تعبر مسرعة، غير مستقرة في هذا العالم.
وكيف أن سنيّ حياته هي في قبضة يد مشدودة
وكم من مرةٍ حنث صديقان في يمين
كانا قد أقسماها.
وسأكتب فوق أجمل الغصون.
وفي نهاية كل جملة... اسم روزالند.
لكي يعلم كل من يقرأ تلك السطور
أن السماء أودعتها خلاصة الجمال.
وهكذا فإن السماء ستكلف الطبيعة.
بأن تودع في جسد واحدٍ
جميع المفاتن المتناثرة في العالم.
وعندها فإن الطبيعة ستمحص جمال « إيلات » بدون قلبها،
وعظمة « كليوباترا » وجمال « أتلانت » الفائق،
وعفة « لوكريس » العارمة.
وهكذا يكون المجمع السماوي قد كوُن
روزالند من صفات متعددة؛
حتى أن العديد من الوجوه والنظرات والقلوب

تتنازل لها عن أثمن ما تملك من مفاتن.
لقد قرَّ رأي السماء بأن تكون لها جميع هذه المواهب، وبأن أحيا
أنا وأموت عبداً لها.

روزالند : أيها الرحيم جوبتر! أية أنشودة حبٍ هذه هي التي جئت تضني بها عبادك، دون أن تصرخ بهم أن تمالكوا أنفسكم أيها القوم الطيبون!

سيليا : ماذا! هل كنتما هناك تحرسا‌ننا؟ (مشيرة إلى كوران) أيها الراعي ابتعد قليلاً (مشيرة إلى بيار دي توش) وأنت اذهب معه...

بيار دي توش(مخاطباً كوران): لنذهب أيها الراعي ونقيم في خلوة مشرّفة، ولنأخذ معنا بدل الأمتعة والسلاح، قبعة وسيفاً.

(بيار دي توتش وكوران يخرجان).

سيليا : هل سمعت هذه الأبيات!

روزالند : لقد سمعتها أكثر مما ينبغي.

سيليا : ألم تأخذك الدهشة عندما رأيت اسمك معظماً ومحفوراً فوق هذه الأشجار.

روزالند : لقد أذهلني ذلك جداً، فإنه لم يسبق لي ان كنت موضع تغزّل هكذا!.

سيليا : هل علمتِ من قام بذلك؟.

روزالند : هل هو رجلٌ!.

سيليا : انه يحمل في عنقه عقداً كنت أنتِ فيما مضى تحملينه. ما بك تغير لونك؟

روزالند : من هو أرجوك!

سيليا : يا إلهي! إن لقاء الأحبة لأمر عسير؛ ولكن قد يحدث أن جبالاً تنتقل من مكانها بفعل الزلازل وهكذا تلتقي.

روزالند : ولكن من هو؟

سيليا : هل هذا معقول؟

روزالند : إني استحلفك بكل قواي أن تقولي لي من هو.

سيليا : انه لأمر خارق وخارق جداً!

روزالند : بحق أنوثتي قولي لي من هو؟ أتعتقدين بأني إذا كنت متشحة بثوب رجل، أنه أصبح لي طبع رجل؟ لقد نفذ صبري. أرجوكِ أسرعي وتكلمي، ليتك كنت متأنثة في كلامك، عل هذا السر يفارق شفتيك!

سيليا : أتستطيعين اذن أن تحضني رجلاً في بطنك!

روزالند : ومن يكون هذا الرجل؟ هل هو صاحب لحية؟

سيليا : إن لحيته قصيرة.

روزالند : ليعطه الله لحية طويلة إذا كان عارفاً للجميل. إني انتظر أن تنبت له لحية إذا كنت لا تتأخرين في وصف ذقنه لي.

سيليا : انه أورلاندو الشاب الذي هزمَ في الوقت نفسه المناضل شارل وقلبك معه.

روزالند : هيا! دعيني من هذا المزاح وتكلمي برصانة كعذراء حكيمة.

سيليا : في الحقيقة انه هو.

روزالند : أورلاندو!

سيليا : أورلاندو.

روزالند : ماذا أصنع الآن بلباسي هذا؟. ماذا كان يعمل عندما شاهدته؟ ماذا قال؟ كيف كان يبدو محياه؟ ماذا كان يرتدي؟ ماذا جاء يفعل هنا؟ هل استخبر عني؟ أين بقي؟ كيف افترق عنك؟ ومتى ستلتقين به من جديد؟ أجيبيني بكلمة واحدة.

سيليا : عليك أولاً أن توفري لي فماً يتسع لمثل هذه الكلمة الضخمة. كان من السهل علي أن أجيب على أسئلة التعليم المسيحي من أن أجيب على أسئلتك هذه.

روزالند : وهل يعلم بأني موجودة في هذه الغابة وبلباس رجل ؟ هل أنه ما زال بهي الطلعة كما كان يوم المبارزة ؟

سيليا : انه من الأسهل علينا أن نحصي الذرات من أن نبت في مقترحات العشيقة. ولكن تذوقي تفاصيل هذا الاكتشاف وأنتِ في وحدة تامة... لقد وجدته تحت شجرة... وقد انهارت قواه كبلوطة ساقطة !

روزالند : يمكن أن نطلق على هذه الشجرة اسم شجرة جوبيتير لأنه يتساقط منها ثمر كهذا !
سيليا : استمعي إليَّ يا سيدتي.
روزالند : أكملي.
سيليا : لقد كان هناك ملقى على الأرض مثل فارس جريح.
روزالند : مهما كان هذا المشهد مثيراً للشفقة، فمما لا شك فيه أنه أحدث تأثيراً كبيراً في المنظر الطبيعي الذي كان أورلاندو مقيما فيه.
سيليا : أخرسي أرجوك ! لقد كان يرتدي ثياب الصيد.
روزالند : يا له من شؤم ! انه قادم ليحزنني.
سيليا : كنت أود أن أنشد أغنيتي بدون لازمة؛ إنك تجعلينني أخرج دوماً على اللحن.
روزالند : ألا تعلمين أنني امرأة عندما أفكر يجب علي أن أتكلم. اكملي يا عزيزتي.

(يدخل أورلاندو وجاك)

سيليا : إنك تجعلينني أضل ! أليس هو الذي يتقدم إلى هنا.
روزالند : إنه هو.. لنكمن له هنا ونراقبه (سيليا وروزالند يبتعدان).
جاك : إني أشكرك على صحبتك لي؛ ولكن كان بودي أن أبقى وحيداً.
اورلاندو : وأنا أيضاً؛ ومع ذلك فإني أشكرك على صحبتك لي.
جاك : ليرافقك الله ! لنقلل من لقاءاتنا ما أمكن.
اورلاندو : إني أتمنى أن نصبح تدريجياً غريبين الواحد عن الآخر.
جاك : أرجوك لا تشوه بعد الآن الأشجار بما تكتبه على قشورها من أناشيد الحب.
اورلاندو : أرجوك لا تشوه أبياتي بقراءتك لها وأنت على ما أنت عليه من مزاج سيء.
جاك : روزالند هو اسم عشيقتك ؟
اورلاندو : بالضبط.
جاك : لا أحب اسمها.

اورلاندو : لم يفكر أحدٌ باسعادك يوم عمادها وتسميتها بهذا الاسم.
جاك : كم تبلغ قامتها ؟
اورلاندو : انها بعلو قلبي.
جاك : انك تذخر بالأجوبة الرائعة. ألم تكن لك علاقة مع نساء أحد الصائغين ؟ ألم تقم على اختلاس ما كن يحملنه من خواتم.
اورلاندو : كلا. إني أجيبك بأسلوب يليق بالأسئلة التي طرحتها.
جاك : إنك صاحب روح يقظة. أتريد أن تبقى بقربي فننتقد بعنف ونعترض على الخليقة وجميع مآسينا ؟
اورلاندو : إني لا ألوم في هذا العالم سوى شخص واحد هو أنا، لأني مليء بالعيوب.
جاك : إن عيبك الأكبر هو أنك عاشق.
اورلاندو : هذا عيب لن أستبدله بأعظم ما تتمتع به من خصال. لقد سئمت منك.
جاك : أقسم لك بأني كنت أبحث عن مجنون عندما وجدتك.
اورلاندو : لقد غرق في الجدول، حدِّق فيه فسترى وجهه.
جاك : إني سأرى فيه وجهي.
اورلاندو : انه وجهك الذي أعتبره وجه مجنون أو وجه شخص معدوم.
جاك : لن أقيم معك أكثر من ذلك، إلى اللقاء أيها العاشق المتيم !
اورلاندو : إني مسرور لذهابك، إلى اللقاء أيها البائس التعس.

(يخرج جاك) (روزالند وسيليا تتقدمان)

روزالند : سأكلمه بزي خادم وقح، أيها الصياد أتسمعني ؟
اورلاندو : حسناً، ماذا تريد.
روزالند : كم هي الساعة الآن، أرجوك.
اورلاندو : ليس هناك من ساعة في الغابة.
روزالند : لأنه ليس في الغابة من محب حقيقي، فإن تأوه المحبين كافٍ لتحديد مرور الزمن البطيء، تماماً كما تفعل الساعة.
اورلاندو : بل قل المرور المتسارع للوقت.

روزالند : إن للزمان مظاهر عدة تبعاً لتعدد الأشخاص. سأقول لك مع من يتثاقل الزمن في خطاه، ومع من يسرع، ومن ثم مع من يقف في مساره.

اورلاندو : قل لي مع من يتثاقل الزمن في خطاه ؟

روزالند : انه يتثاقل في خطاه مع الفتاة خلال الفترة التي تفصل بين عقد الزواج والاحتفال به، فعندما تكون هذه الفترة سبعة أيام، فإنها تبدو للفتاة وكأنها سبعة أعوام.

اورلاندو : ومع من يتثاقل أيضاً في خطاه ؟

روزالند : مع كاهن لا يتقن اللغة اللاتينية، ومع غني غير مصاب بمرض النقرس. لأن الأول ينام بخمول لعدم قدرته على التحصيل العلمي، والثاني يحيا سعيداً لأنه لا يشعر بأي ألم. الأول يجهل العبء الثقيل الذي يسببه علمٌ جافٌ وهدام، والثاني يجهل العبء الثقيل الذي تسببه مصيبة مرهقة وقاتمة، هؤلاء هم الذين يتثاقل معهم الزمان في خطاه.

اورلاندو : ومع من يتسارع ؟

روزالند : مع اللص وقد أقتيد إلى المشنقة، فمهما تباطأ في خطاه فإنه يعتقد بأنه سيصل عاجلاً.

اورلاندو : ومع من يتوقف الزمان ؟

اورلاندو : مع رجال القانون خلال العطلة القضائية؛ انهم ينامون الليل كله دون أن يفطنوا لمرور الزمان.

اورلاندو : أين تقيم ؟

روزالند : إني أقيم مع هذه الراعية شقيقتي، على حدود الغابة.

اورلاندو : هل أنت من مواليد هذه البلاد ؟

روزالند : أنا مثل أرنب يقيم حيث يجد من يشاركه في حياته.

اورلاندو : إن في نبرتك من الصفاء ما يستحيل عليك أن تكون قد اكتسبته في هذا المكان المعزول.

روزالند : لقد قاله لي الكثيرون؛ ولكن في الحقيقة لقد تلقنت الكلام من عمي التقي الذي سبق له وكان من سكان المدينة أيام شبابه؛ وقد كان عاشقاً متيماً. وكثيراً ما سمعته يسهب في تقريع الحب وإني أشكر الله على أنه لم يخلقني

امرأة فأكون عرضة لكل تلك العيوب التي كان يأخذها على الجنس بشكل عام.

اورلاندو : هل تذكر بعض تلك العيوب الأساسية التي كان عمك يأخذها على النساء ؟

روزالند : لم تكن هناك من عيوب أساسية بالنسبة اليه، لأنها جميعها كانت في نظره هائلة وفظيعة.

اورلاندو : أرجوك، عدد لي بعضاً منها.

روزالند : كلا. لا أريد أن أستعمل طاقتي على الشفاء إلا لمعالجة المرضى؛ هناك شخص يتردد على الغابة ويسيء إلى أشجارها الفتية بحفره على قشورها اسم روزالند. إنه يعلق أناشيده على أشجار الزعرور ومراثيه على العوسج؛ وكلها تتنافس على تأليه اسم روزالند. لو كان لي أن ألتقي بهذا الواهم لأصف له دواء ناجعاً، لأنه مصاب بحمى الحب اليومية.

اورلاندو : إني هذا المرتعش من الحب، أرجوك صف لي دواءك.

روزالند : لا يظهر عليك أي عارض من العوارض التي عددها عمي.. لقد علمني كيف أتعرف إلى الرجل الواقع في شرك الحب؛ وإني متأكد بأنك لم تقع في شرك الحب هذا.

اورلاندو : ما هي هذه العوارض ؟

روزالند : خد هزيل، وعين يعلوها الازرقاق ومجوفة، وكل هذا لا يبدو عليك؛ لحية مهملة وهو ما لا تملكه، ولكن أعذرك من هذه الناحية لأنك الابن الأصغر بين اخوتك. ومن ثم أن يكون جوربك بدون ربطة، وقبعتك مهملة، وكم قميصك وقد فكت أزراره، وحذاءك وقد حُلّت عقدته، وأن ينم كل شيء فيك عن كآبة غير مبالية بشيء. ولكنك لست البتة هكذا.. إنك تبدو بالأحرى مرهفاً في لباسك المضحك هذا، ومحباً لذاتك وليس لآخر.

اورلاندو : أيها الفتى، كان بودي لو أجعلك تصدق بأني أحب.

روزالند : أنا أصدق هذا ! عليك بالأحرى أن تجعل من تحبها تصدقه، إني أؤكد لك بأنها تصدقك ولكن دون أن تعلن لك ذلك ! هذه حالة من الأحوال التي تخدع فيها النساء ضمائرهن، ولكن لنتكلم بشكل جاد، هل أنت من علق

على هذه الأشجار كل هذه الأبيات التي تمتدح فيها روزالند ؟

اورلاندو : أقسم لك بحق يد روزالند البيضاء، أيها الفتى، بأني هو ذلك الشخص السيء الطالع الذي قام بذلك.

روزالند : ولكن هل أنت عاشق بمقدار ما تثبته أبياتك ؟

اورلاندو : إن الشعر والفكر غير قادرين على التعبير عن حبي.

روزالند : إن الحب هو مجرد اختلال عقلي : إني أعلن لك بأنه يستحق الجلد كالجنون؛ وإذا لم يعامل هكذا ويقمع بهذه الطريقة، فلأن الحب هو شعور طبيعي الى درجة أن الجلادين أنفسهم مصابون به ولكني ألتزم بشفائك من هذا المرض بوصفي لك الدواء الناجع.

اورلاندو : هل سبق لك وشفيت أحد العشاق بطريقتك هذه !

روزالند : لقد شفيت أحدهم، واليك كيف تم ذلك، كان عليه أن يتخيل بأني عشيقته وكنت أجبره على أن يغازلني كل يوم. وهكذا بصفتي فتاة لها أحلامها، كنت أتظاهر أمامه بأني حزينة، ومتطلبة ووقحة وخيالية ومتقلبة، أبتسم حينا وأبكي حيناً آخر. أحيانا كنت أحبه وأحيانا كنت أرذله؛ وكنت تارة أداعبه وتارة ألعنه، تارة أندبه وتارة أبصق عليه وهكذا انتقل من جنون الحب الى جنون مزمن؛ وانتهى به الأمر إلى مغادرة العالم والتزام الحياة الرهبانية. إن بإمكاني أن أشفيك بهذه الطريقة وأنقي قلبك من جميع أدران الحب.

اورلاندو : لن أشفى أيها الفتى.

روزالند : سأشفيك إذا قررت أن تدعوني روزالند وأن تأتي كل يوم إلى كوخي لتغازلني.

اورلاندو : بحق العاشقين إني موافق على ذلك. قل لي أين يقع كوخك.

روزالند : تعالى معي وسأريك إياه؛ وفي الطريق ستقول لي أين تقيم أنت في هذه الغابة. أتريد أن تأتي معي !

اورلاندو : من كل قلبي أيها الفتى ألبي دعوتك.

روزالند : ولكن عليك أن تناديني باسم روزالند (مخاطبة سيليا) هيا يا شقيقتي لنذهب.

(يخرج الجميع)

المشهد الثالث

(في ذات المكان)

(يدخل بيار دي توش وأودري ثم جاك الذي يراقبه عن بعد)

بيار دي توش : هيا بسرعة أيتها العزيزة أودري ـــ سأحضر لكِ ما تملكين من ماعز ـــ هل ان ملامح وجهي تلائمكِ ؟

اودري : عن أية ملامح تتحدث ؟

بيار دي توش : اني أصطحبك وماعزتك وسط هذه المناظر، كما كان يفعل الشاعر أوفيلا وسط مناظر مماثلة.

جاك (على حِدة) : يا للعلم الموضوع في غير موضعه.

بيار دي توش : عندما يلاحظ المرء بأن أبياته باتت غير مفهومة أو ان روحه لا يسعفها العقل، فإن هذا كله يسدِّد له ضربة قاضية. كنت أتمنى لو ان الالهة جعلت منك شاعراً.

اودري : لا أعلم ماذا يعني أن يكون المرء شاعراً. هل يعني ذلك أن يكون شريفاً في القول والفعل ؟ هل الشعر هو الحقيقة ؟

بيار دي توش : ليس الأمر كذلك. لأن الشعر الحقيقي هو مجرد تخيّل، والعشاق هم الذين يستسلمون إلى الشعر.

اودري : وتتمنى أيضاً لو ان الآلهة جعلت مني شاعرة.

بيار دي توش : نعم، لأنكِ أقسمت لي بأنك فاضلة؛ لذلك فلو كنتِ شاعرة لاستطعت أنا أن أعتبر ذلك تخيُّلاً.

اودري : انك تتمنى اذن بأن لا أكون فاضلة ؟

بيار دي توش : كنت أتمنى ذلك لو لم تكوني قبيحة ــ لأن الفضيلة مقرونة بالجمال تشبه العسل المعد لأن يكون صلصة للسكر.

جاك (على حدة) : يا للمجنون.

اودري : حسناً، لست جميلة، وبالتالي فإني أضرع إلى الآلهة بأن تجعلني فاضلة.

بيار دي توش : ولكن أن تعطى الفضيلة لمخلوق قبيح لهو أمرٌ شبيه بوضع طعام فاخر في صحن وسخ.

اودري : لست غير نقية، رغم اني بشعة؛ اني أشكر الله على ذلك.

بيار دي توش : حسناً ! شكراً للآلهة على قباحتك، أما عدم النقاوة فإن لديه دائماً الوقت الكافي ليحدث... ومهما يكن الأمر، فإني عازم على الزواج منك، وقد قابلت لهذه الغاية السيد اوليفير شماس ــ تكست، وكيل القرية المجاورة، الذي وعدني بأن يلحق بي الى هذا المكان في الغابة ليزوجنا.

جاك (على حدة) : سأكون سعيداً لمشاهدة هذا القران.

اودري : هيا، لتجعلنا الآلهة سعداء.

بيار دي توش : آمين... ان انساناً بليداً لا يسعه إلا أن يتردد أمام مشروع كهذا؛ لأننا هنا لا نملك من هيكل سوى الغابة، ومن شهود سوى الحيوانات ذات القرون ــ ولكن تشجعي. فإذا كانت القرون مزعجة فإنها ضرورية. يقال بأن العديد من الناس يملكون قروناً قوية، ولكنهم يجهلون الغاية المعدة لها. هل ان الرجل المتوحد هو سعيد ؟ لا أظن ذلك؛ لأن المدينة تبدو مهيبة أكثر من القرية، وكذلك الرجل المتزوج بالنسبة إلى العازب.

(يدخل السيد اوليفير شماس تكست)

هوذا السيد اوليفير ــ شماس تكست، أهلاً بك، هل نلحق بك إلى كنيستك ؟

السيد اوليفير : ألا يوجد أحدٌ هنا ليقدم المرأة ؟

بيار دي توش : لا أريد تسلمها من أحد.

السيد اوليفير : يجب أن يقدمها أحد الناس وإلّا اعتبر الزواج باطلاً.

جاك (يتقدم) : باشر، باشر، سأتولى أنا تقديمها.

بيار دي توش : أسعدت مساءً أيها السيد، مَن تريد ؟ كيف حالك ؟ أهلاً بك. ليباركك الله على هذه الزيارة الأخيرة... مشيراً الى القبعة التي يحملها جاك بيده، ما هذه التحفة التي في يدك يا سيدي ؟ هيا أرجوك، ضعها على رأسك.

جاك : أتريد أن تتزوج أيها المجنون ؟

بيار دي توش : ان للإنسان رغباته شأنه في ذلك شأن جميع المخلوقات، وكما ان الحمام ينقر بعضه البعض الآخر، كذلك الأزواج.

جاك : ماذا ! كيف يرضى انسان مثقف مثلك الزواج كالمتسول تحت هذه الشجيرات ؟ اذهب الى الكنيسة، واختر لك كاهناً ممتازاً يستطيع افهامك ما هو الزواج ــ أما هذا الخبيث فإنه سيلحق بكما.

بيار دي توش (على حدة) : اني أفضل أن أتزوج على يد هذا الخبيث الذي لا يجيد اتمام مراسيم الزواج، لأن هذا سيفسح لي في المجال بأن أترك امرأتي فيما بعد.

جاك : تعالَ معي واتخذني مشيراً لك.

بيار دي توش : تعالي أودري... أمامنا إما الزواج أو العيش في حالة الزنى... وداعاً أيها السيد اوليفير. (مدندناً).

كلا... أيها الباسل اوليفير،
أيها الباسل اوليفير،
لا تدعني وراءك.
ولكن أمخر عباب البحر،
ارحل بسرعة، قلت لك.
لا أريدك بعد الآن من أجل زفافي.

(يخرج جاك، وبيار دي توش وأودري)

السيد اوليفير : سيّان عندي كل هذا... لن يستطيع أحد من هؤلاء الرجال الظرفاء أن ينال من مهنتي.

(يخرج)

المشهد الرابع

(كوخ على حدود الغابة)

(تدخل روزالند وسيليا)

روزالند : لا تلوميني بعد الآن، اني أريد البكاء.
سيليا : كما تريدين أرجوك. ولكن لا تنسي بأن الدموع لا تليق بالرجل.
روزالند : ولكن أليس لدي من سبب يحملني على البكاء ؟
سيليا : ان لديك سبباً كافياً، فاسترسلي في البكاء.
روزالند : ان شعره بالذات له لون الخيانة.
سيليا : انه أشد اسمراراً من شعر يهوذا؛ وفي الواقع فإن قبلاته هي قبلات يهوذا.
روزالند : في الواقع ان شعره يتمتع بلون رائع.
سيليا : رائعة، ان اللون الكستنائي هو دائماً لونك المحبب.
روزالند : وقبلاته تشبه في عذوبتها ملامسة الخبز المبارك.
سيليا : ان له شفاهاً من نوع ممتاز ـــ لا تستطيع راهبة أن تقدم قبلات أطهر من قبلاته؛ إنها ملئى بكل صقيع العفة.
روزالند : ولكنه لماذا أقسم لي بأنه سيأتي هذا الصباح ولم يأتِ.
سيليا : بكل تأكيد، لقد فقد شرفه.
روزالند : أتعتقدين ذلك ؟
سيليا : اني أعتقد بأنه ليس سلّاب أموال أو سارق أحصنة، أما بالنسبة لأمانته في الحب، فإني على يقين بأنه نظير كأس فارغ أو جوزة أكلها الدود.
روزالند : ليس بصادق في حبه ؟

سيليا : انه صادق إذا أحب، ولكني لا أعتقد بأنه يحب.
روزالند : لقد سمعته يقسم غالباً بأنه كان يحب.
سيليا : كونه كان يحب لا يعني بأنه يحب الان ـــ من جهة أخرى فإن يمين العاشق لا تفوق قيمتها كلام صاحب ملهى... انه هنا في الغابة خلف أبيك.
روزالند : لقد التقيت الدوق البارحة، وكان لي معه حديثاً مطولاً. لقد سألني إلى أية عائلة أنتمي؛ ولما قلت له بأني أتحدر من عائلة تضاهي عائلته، ضحك وتركني أذهب في سبيلي. ولكن لماذا الكلام عن الآباء، عندما يوجد شخص مثل اورلاندو.
سيليا : هوذا رجل ظريف. انه ينظم أبياتاً غزلية، ويتكلم بأسلوب غزلي، ويكثر من حلفان اليمين بطريقة غزلية، ولكنه سرعان ما يحطم يمينه على قلب عشيقته، تماماً كما يفعل فارس مبتدىء عندما يهمز حصانه من جهة ثم يحطم رمحه ـــ هذا لا يهم. فكل ما تمتطيه الشبيبة وكل ما يقوده الجنون يبقى دائماً ظريفاً... من القادم إلى هنا ؟

(يدخل كوران)

كوران : سيدتي، سيدي، لقد كنتما دوماً تتقصيان أخبار هذا الراعي الذي كان يشكو من الحب والذي رأيتماه جالساً بقربي على العشب، يمتدح عشيقته الراعية.
سيليا : وماذا بعد ؟
كوران : اذا شئتما رؤية مشهد طبيعي من مشاهد الحب، فتعاليا معي أقودكن الى حيث تشاهدان ذلك.
روزالند : هيا، لنذهب، ان رؤية العشاق تعضد المحبين... امضِ بنا الى هذا المشهد، وسترى بأني سأقوم بدور فاعل في المسرحية.

(يخرجون).

المشهد الخامس

(في الغابة)

(يدخل سيلفيوس وفيبي)

سيلفيوس : لا، لا ترذليني يا حبيبتي، أيتها الجميلة ــ قولي بأنك لا تحبينني، ولكن لا تقولي ذلك بخشونة ــ ان الجلاد وقد حجَّر قلبه مشهد الموت الدائم لا يجهز على ضحيته قبل أن يطلب السماح ــ أتريدين أن تكوني أشد قساوة من ذاك الذي يحيا من الدم المهدور طوال حياته.

(تدخل روزالند، سيليا، وكوران، ويقفون بعيداً)

فيبي: لا أريد أن أكون جلادك؛ اني أبتعد عنك لكي لا أعذبك. تقول لي ان قاتلك هو في عيني؛ كيف تجرؤ وتطلق على العيون لقب القاتل والجزار والمستبد وهي في الحقيقة من أضعف المخلوقات وأكثرها نعومة. ان قلبي بدأ يشمئز منك، إذا كانت لعيني القدرة على أن تجرح فلتقتلك. هيا تظاهر بالإغماء، هيا انطرح أرضاً، وإلا فليحملك حياؤك على الكف عن الكذب بقولك ان العيون قاتلة، هيا دعني أرى الجرح الذي سببته لك نظرتي... إذا كان لك أن تخدش جلدك بدبوس، أو أن تتوكأ على قصبة، فإن ذلك يترك أثراً ما، علامة ما على جلدك أو يدك، في حين إن النظرات التي أرسلتها اليك لم تجرحك البتة، لأني على يقين بأن العيون لا تملك القدرة على الإيذاء.

سيلفيوس : أيتها العزيزة فيبي، إذا أعجبتِ في يوم من الأيام بوجه وسيم الطلعة، فإنك ستعرفين الجراح غير المرئية التي تحدثها سهام الحب الحادة.

فيبي : فليكن، وإلى أن تأتي تلك اللحظة، لا تقترب مني، وعندما تحين تلك اللحظة فاسخر مني بدون شفقة تماماً كما فعلت أنا بالنسبة اليك لغاية الآن.

روزالند (تتقدم) : ولماذا عليَّ أن أتوسل اليك، من أي أصل تنحدرين حتى تلعني وترهقي المعذبين، حتى لو كنتِ جميلة، فإن هذا لن يكون.

سيليا : سبباً كافياً يحملك على أن تكوني متعالية وخالية من الشفقة. لماذا تنظرين إليَّ هكذا ؟ اني لا أرى فيك شيئاً خارقاً للطبيعة. لا تأملي بأن يحملني جفناك وهما بلون الحبر. وشعرك الحريري الأسود، وعيناك السوداويتان، وخداك وهما بلون القشدة، على الخضوع لكِ ! ــ مخاطبة سيلفيوس ــ وأنت أيها الراعي الأبله، لماذا تلاحقها كمن يرقص وراء السراب ؟ انك كرجل أفضل منها بكثير كامرأة ــ ان البلهاء أمثالك هم الذين يغرقون العالم بالأولاد التعساء ــ ليست مرآتها هي التي تظهرها جميلة في عينيها، ولكنك أنت الذي تفعل ذلك ــ بفضلك أنت، ترى نفسها أكثر جمالاً مما هي عليه في الحقيقة ــ مخاطبة فيبي ــ هيا اعرفي نفسك، اركعي، صومي، اشكري السماء لأن رجلاً شريفاً يحبك ــ اني أحضّك على الاستسلام له فإنه لن يرذلك. توسلي اليه، أظهري له حبك واقبلي ما يقدمه لك ــ ان السفاهة تزيد القبح ــ وهكذا أيها الراعي اتخذها امرأة لك... وداعاً.

فيبي : أتوسل اليك أيتها السيدة بأن تسترسلي في توبيخك لي؛ اني أفضل سماع توبيخك على مداعبات هذا الرجل.

روزالند : لقد أحبت بشاعتها، وها هي الآن تحب غضبي ! مخاطبة سيلفيوس ــ إذا كان الأمر كذلك، فما عليك إلا أن تشبعها كلاماً لاذعاً، كلما حدجتك بنظرات عبوسة ــ مخاطبة فيبي ــ لماذا تنظرين إليّ هكذا ؟

فيبي : اني لا أنظر اليك بقصد الأذى.

روزالند : أرجوكِ، لا تُغرمي بي لأني لا أحبك. اذا كنت تودين معرفة المكان الذي أنزل فيه، فما عليك إلا أن تقصدي واحة الزيتون القريبة من هنا ــ هيا يا شقيقتي ــ وأنتَ ضمّها اليك... وأنت ابتسمي له ولا تتكبري؛ لن يُغرم بك أحد في العالم كما يفعل هذا الرجل ــ هيا لنرحل ! (تخرج روزالند وسيليا وكوران).

فيبي : أيها الراعي لقد أدركت الآن قوة كلامك القائل؛ ان من يحب يحب لأول نظرة.

سيلفيوس : حبيبتي فيبي.

فيبي : ماذا تقول يا سيلفيوس ؟

سيلفيوس : فيبي، اشفقي عليّ.

فيبي : اني أرثي لحالك يا سيلفيوس.

سيلفيوس : حيث توجد الشفقة، يوجد العزاء؛ وإذا كنت تشفقين على حبّي المعذب، فما عليك إلا أن تعطيني حبّك، وبذلك يزول عذابي وتزول شفقتك في آن معاً.

فيبي : أنت تملك محبتي، أليس كذلك ؟

سيلفيوس : أريدك أنتِ.

فيبي : ان ما تقوله هو من قبيل الشهوة يا سيلفيوس ــ لقد كرهتك في الماضي... ولكن هذا لا يعني بأني أصبحت أحبك؛ ولكن بما انك تجيد لغة الحب، فمهما كانت صحبتك لي مزعجة، فإني أتحملها وأرضى أن تكون في خدمتي؛ ولكن لا تنتظر مني مكافأة سوى السعادة التي تلقاها في خدمتي.

سيلفيوس : طاهرٌ هو وعفيف الحب الذي أكنه لك. كل ما أطلبه اليك هو أن تبتسمي لي من وقت الى آخر، فإن هذا كاف ليحملني على الاستمرار في البقاء.

فيبي : أتعرف من هو الشاب الذي كان يخاطبني منذ لحظة ؟

سيلفيوس : لا أعرفه تماماً ولكن سبق لي والتقيته مراراً. انه هو الذي اشترى الكوخ والبستان اللذان كان يملكهما كارلو.

فيبي : لا تعتقد بأني أحبه لأني أستعلم عنه ــ ليس سوى فتى مضجر... ومع ذلك يحسن الثرثرة. ولكن ما همي من الكلام ومع ذلك فإن الكلام له وقع حسن إذا كان قائله محبّبٌ إلى سامعه. انه فتىً جميل... ولكن ليس فائق الجمال، انه فخور بذاته وهذا يليق به ــ سيكون شاباً رائعاً ــ ان أجمل ما يملك هو محيَّاه؛ وبالسرعة التي كان لسانه يجرح بها، كانت نظراته تشفي خلالها... لا يبدو عليه الكبر ولكنه كبير بالنسبة لعمره... ان ساقه هي بين بين... ومع ذلك فإنها حسنة ــ كما يعلو شفتاه احمرار فاتن، له لون غامق بالنسبة للاحمرار الذي كان يميِّز خدّه. هناك من النساء من يقعن في غرامه قبل

أن يستجمعن كل هذه التفاصيل عنه... أما بالنسبة إليَّ، فإني لا أحبه ولا أكرهه؛ ومع ذلك فإني ميّالة إلى كرهه أكثر مني الى حبه. ولكن بأي حق عمد الى توبيخي هكذا ؟ لقد قال بأن عينيَّ سوداويتان وبأن شعري كذلك ! وإني أتذكر الآن بأنه احتقرني وإني أعجب لنفسي كيف لم أرد عليه — ولكن هذا سيّان عندي. سأخطُّ له رسالة بذيئة وستحملها أنت اليه؛ هل تفعل ذلك يا سيلفيوس ؟

سيلفيوس : من كل قلبي، يا حبيبتي.

فيبي : سأخطّها فوراً. ان مضمونها هو في قلبي وفي رأسي؛ سأكون لاذعة معه — تعال معي، سيلفيوس.

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(على حدود الغابة ـــ واحة من أشجار الزيتون أمام كوخ)

(تدخل روزالند وسيليا وجاك)

جاك : من فضلك أيها الشاب الجميل، دعنا نتعارف في العمق.
روزالند : يقال عنك بأنك رجل حزين.
جاك : هذا صحيح، اني أفضل أن أكون حزيناً على أن أكون ضاحكاً.
روزالند : ان الذين يغالون في الكآبة أو في الضحك، هم أناسا مرزولون، يعرِّضون أنفسهم كالسكارى لانتقاد عابري السبيل.
جاك : يجدر بنا أن نكون راضين ولا نقول شيئاً.
روزالند : اذن من الأفضل لنا أن نكون كالأعمدة.
جاك : لست أملك كآبة الطالب التي ليست سوى منافسة، ولا كآبة الموسيقار التي ليست سوى تخيلاً، ولا كآبة رجل البلاط التي لا تعدو كونها حبّاً للظهور؛ ولا كآبة الجندي التي لا تعدو كونها طموحاً؛ ولا كآبة رجل القانون التي لا تعدو كونها لباقة؛ ولا كآبة المرأة التي لا تعدد كونها تصنعاً؛ ولا كآبة العاشق التي هي مزيج من كل هذا؛ ولكن لي كآبتي الخاصة بي

وهي خليط من أشياء كثيرة؛ إنها خلاصة تأملي لرحلاتي المتعددة؛ وهو تأمل غالباً ما أجدني غارقاً فيه.

روزالند : مسافر ! أقسم بأنك على حق في أن تكون كئيباً، إني أخشى من أن تكون قد بعت أرضك لترى أرض الآخرين. وفي مثل هذه الحالة، فإن كونك قد رأيت كثيراً ولم تعد تملك شيئاً يعني أن لك عيوناً ملآنة وأيدي فارغة.

جاك : لقد أحسنت اكتساب خبرتي.

(يدخل اورلاندو)

روزالند : وخبرتك جعلتك كئيباً ! إني أفضل جنوناً يجعلني فرحاً على خبرة تجعلني كئيباً.

اورلاندو : أسعدت صباحاً أيتها العزيزة روزالند !

جاك (ناظراً إلى أورلاندو) : إنك تنطق بالشعر ! ليرعاك الله (يخرج).

روزالند : متجهة نحو جاك الذي بدأ يبتعد. وداعاً أيها المسافر ! ارتدي ملابس أجنبية؛ احتقر جميع حسنات موطنك؛ ليخب أملك من مجيئك الى العالم؛ ووبخ الله على المظهر الذي وهبك إياه.. وإلا فاني لن أصدق بسهولة أنك أبحرت في زورق بندقي !.. حسناً، أين كنت كل هذا الوقت يا أورلاندو ؟ أنت، عاشق ! اذا كنت ستخدعني، فلا تدعني أراك بعد الآن.

اورلاندو : عزيزتي روزالند، لقد تأخرت ساعة عن موعدي لك.

روزالند : إن هذا وقت طويل بالنسبة للمحبين.

اورلاندو : سامحيني أيتها العزيزة روزالند.

روزالند : إذا كنت الى هذا الحد متأخراً عن مواعيدك؛ فإني أفضل أن أكون محبوبة من حلزون.

اورلاندو : من حلزون !

روزالند : نعم من حلزون، لأنه اذا كان يأتي اليّ ببطء، فانه يحمل بيته على ظهره؛ وكذلك فإنه يحمل مصيره معه !

اورلاندو : ماذا ؟

روزالند : انه يحمل ثروته معه، وهذا ما يجنب زوجته النميمة.

اورلاندو : ان روزالند التي أحبها هي امرأة فاضلة.

روزالند : أنا هي روزالند التي تحب.
سيليا : يحلو له أن يخاطبك هكذا؛ ولكنه يحب روزالند أخرى أفضل منك.
روزالند : هيا، غازلني فإني اليوم مستعدة للموافقة على ذلك، ماذا كنت ستقول لي الآن لو كنت روزالند الحقيقية التي تحب !
اورلاندو : كنت قبلتك قبل أن أخاطبك.
روزالند : من الأفضل لك أن تتكلم أولاً؛ ومن ثم عندما نصبح في مأزق لانعدام الموضوع، تقبلني. هناك من الخطباء من يبصق عندما يُعْقَل لسانه. أما بالنسبة للعشاق، فإنهم يلجؤون إلى التقبيل عندما ينعدم لديهم موضوع الكلام.
اورلاندو : ولكن إذا رفضتِ أن أقبلكِ ؟
روزالند : عندها تروح تتوسل إليَّ، وهكذا يبدأ حديث جديد بيننا.
اورلاندو : من يستطيع أن يحافظ على مكانته أمام سيدة محبوبة مثلك ؟
روزالند : إنك تستطيع ذلك لو كنت أنا من تحب؛ وإلا لاعتبرت فضيلتك تافهة كروحي.
اورلاندو : ماذا، سأهزم بالكلية ؟
روزالند : إن أمانيك هي التي ستهزم... ألست أنا روزالند التي تحب ؟
اورلاندو : يطيب لي أن أعتبرك كذلك، لأني أرغب في التحدث عنها.
روزالند : حسناً، إن روزالند تقول لك في شخصي ! لا أريدك.
اورلاندو : اذن بقي عليَّ أن أموت.
روزالند : ان عمر العالم هو تقريباً ستة آلاف سنة، وخلال هذه المدة كلها لم يحدث أن مات شخص بسبب الحب. لقد مات الناس في كل زمان وأكلهم الدود؛ ولكن لم يكن ذلك في يوم من الأيام بسبب الحب.
اورلاندو : لم أكن أتمنى أن تكون روزالند التي أحب أسيرة مثل هذه الأفكار؛ إني أربأ بنفسي أن أكون ضحية تقطيب حاجبيها.
روزالند : أقسم بأن هذا التقطيب غير قادر على قتل ذبابة. ولكن دعنا من هذا، سأكون في تصرفك، اطلب ما تشاء وسأقدمه لك.
اورلاندو : حسناً، اعطني حبك يا روزالند.
روزالند : إني أرغب في حبك كل الأيام.

اورلاندو : ولكن أتريدنني رفيقاً لك.
روزالند : وكيف لا. هيا يا شقيقتي استعدي للقيام بدور الكاهن لعقد زواجنا. أعطني يدك يا اورلاندو (أورلاندو وروزالند يمسكان بأيدي بعضهما البعض) ماذا تقولين يا شقيقتي ؟
روزالند : مخاطباً سيليا. أرجوك باشري بعقد زواجنا.
سيليا : لا أعرف الكلام الواجب قوله.
روزالند : عليك أن تبدئي هكذا. هل توافق، أورلاندو...
سيليا : إني مستعدة... هل توافق، أورلاندو، على اتخاذ روزالند زوجة لك ؟
اورلاندو : إني موافق.
روزالند : نعم، ولكن متى ؟
اورلاندو : في الحال، وبالسرعة التي تستطيع خلالها أن تعقد زواجنا...
روزالند: (مخاطبة أورلاندو): في هذه الحالة عليك أن تقول! إني اتخذك زوجة لي يا روزالند.
اورلاندو : إني اتخذك زوجة لي يا روزالند.
روزالند: (مخاطبة سيليا): كان من حقي أن استوضحك عن صلاحياتك، ولكن هذا أمر لا يهمني. أورلاندو، إني أتخذك زوجاً لي. اني مثل خطيبة تستبق الكاهن. من الثابت أن فكر المرأة يسبق دوماً أعمالها.
اورلاندو : ان هذا ينطبق على جميع الأفكار ! جميعها تملك أجنحة.
روزالند : قل لي الآن ؟ كم من الوقت ستقيم معها عندما ستصبح لك.
اورلاندو : سأقيم معها الأبدية زائد يوم واحد.
روزالند : قل لي بالأحرى يوماً واحد بدون الأبدية. كلا، أورلاندو، إن الرجال أشبه ما يكونون بشهر شباط عندما يغازلون، وبشهر كانون الأول عندما يتزوجن. أما الفتيات فهن أشبه ما يكن بشهر آيار قبل الزواج؛ ولكن الأمر يختلف بعده. إني أدعي الغيرة عليك؛ والهيام بك والبكاء من أجلك، كل هذا عندما تكون فرحاً؛ إني أتصنع الضجر عندما تكون مستعداً للنوم.
اورلاندو : ولكن هل أن روزالند التي أحب تفعل كل هذا ؟
روزالند : أقسم أنها ستفعل كل ما سأفعله أنا.

اورلاندو : ولكنها حكيمة !

روزالند : هذا صحيح، وإلا لما كانت لها الحكمة الكافية للقيام بكل هذا؛ بمقدار ما ستكون حكيمة، بمقدار ذلك ستكون ماكرة. إذا أقفلت جميع الأبواب أمام روح المرأة، فإنها تفلت من الشباك؛ وإن أقفل الشباك فانها تفلت من ثقب القفل واذا سُدَّ ثقب القفل فانها تطير مع الدخان المتصاعد من المدخنة.

اورلاندو : ان رجلاً ستكون له مثل هذه المرأة الخارقة، لا بد أنه سيصرخ قائلاً : أين تهيم أيها الروح ؟

روزالند : بإمكانك الاحتفاظ بهذه الصرخة لليوم الذي سترى فيه روح زوجتك هائمة فوق سرير جارك.

اورلاندو : وما هو العذر الذي ستجده لتبرير عملها هذا ؟

روزالند : طبعاً سيكفيها أن تقول لك انها هناك تبحث عنك ـــ سوف لن تعدم الجواب ما لم تفقد لسانها ـــ زد على ذلك، أُن جميع الناس يحمّلون الزوج أخطاء زوجته ! لا تدعها تطعم ابنها، لأنها ستجعل منه معتوهاً.

اورلاندو : سأدعك لوحدك مدة ساعتين.

روزالند : اني لا أستطيع أن أقضي ساعتين بدونك.

اورلاندو : عليّ أن أحضر لتناول الغداء إلى مائدة الدوق؛ وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر سأعود اليك.

روزالند : اذهب، اذهب... كنت أعلم كيف انك ستتحول عني... لقد تنبّأ لي بذلك أصدقائي، وكنت أنتظر أنا ذلك... لقد غرّر بي لسانك المتملق... اني فقيرة مرذولة !... ليأخذني الموت... في الثانية بعد الظهر، أليس كذلك ؟

اورلاندو : نعم أيتها الرائعة روزالند.

روزالند : أقسم بأنك إذا تأخرت ولو لحظة واحدة عن موعدك، بأني سأعتبرك عاشقاً ماكراً وسأضعك في مصاف الخونة. لذلك أنصحك بأن تخشى انتقادي لك وتفي بوعدك.

اورلاندو : سأفي بوعدي بكل صدق كما لو كنتِ روزالند التي أحب. وعليه، وداعاً !

روزالند : نعم، ان الزمن هو القاضي القديم الذي يتفحص كل هذه الجرائم، لندع الزمن يحكم على ذلك ــ وداعاً ! (يخرج اورلاندو).

سيليا : لقد تصرفت بقساوة بحق جنسنا في ثرثرتك؛ انك تستحقين لقاء ذلك أن يُكشف أمرك بنزع اللباس الذي تتسترين به، وأن يعلن على الملأ الخطأ الذي يرتكبه العصفور بتخريب عشه.

روزالند : آه، لو كنتِ تستطيعين أن تسبري غور الحب الذي عشته، ولكنك لا تستطيعين سبره، ان حبِّي يمتد إلى عمق مجهول.

سيليا : أو بالحري ليس له أي عمق، إذ ما ان تكشفي عنه حتى يتبدد.

روزالند : اني أترك للحب أن يحكم على عمق حبي !... لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن اورلاندو ــ سأبحث عن مكان ظليل حيث سأتلهف عليه إلى أن يعود.

سيليا : وأنا سأمضي إلى النوم. (تخرجان).

المشهد الثاني

(في الغابة)

(يدخل جاك وبعض الأسياد بلباس الصيد)

جاك : من هو الذي قتل الأيل ؟

السيد الأول : أنا هو.

جاك : لنقدمه إلى الدوق كفاتح روماني؛ ومن الأفضل أيضاً أن نكلّل رأسه بقرون الأيل... أيها الصياد، هل عندك أغنية تليق بالمناسبة ؟

السيد الأول : نعم يا سيدي.

جاك : أنشدها ولو لم تكن على ائتلاف تام، المهم أن تحدث ضجة ما.

أغنية

الصياد الأول

ما الذي سيحصل عليه من قتل الأيل ؟

الصياد الثاني

فليأخذ جلده وقرونه !

الصياد الأول

ومن ثم نمضي به ونحن نغني.

جميع الصيادين

لا تفتخر بأنك تحمل قرناً.

لقد كان قبل مولدك يستعمل تاجاً للخونة.

الصياد الأول

لقد سبق أن حمله جدّك.

الصياد الثاني

وأبوك أيضاً حمله.

جميع الصيادين

القرن، القرن، القرن العظيم،

ليس بشيء مزدرى ومحتقر !

المشهد الثالث

(في الغابة ـــ هضبة مشرفة على وادي في أسفله كوخ يكاد أن لا يرى)

(تدخل روزالند وسيليا)

روزالند : ماذا تقولين الآن ؟ لقد مرت الساعة الثانية ولم يحضر اورلاندو.
سيليا : اني أجزم لك بأنه أخذ قوسه وسهامه وذهب... لينام... ماذا ؟ من هو القادم إلى هنا ؟

(يدخل سيلفيوس)

سيلفيوس (مخاطباً روزالند) : اني أحمل رسالة اليك أيها الفتى الجميل. لقد قالت لي فيبي بأن أعطيك هذا. (يسلمها رسالة فتقرأها). اني أجهل ما تحمله هذه الرسالة؛ ولكن إذا كان لي أن أحكم بشأنها من خلال مظهر فيبي الغاضب عندما كانت تكتبها، فإني أجزم بأن محتواها صاخبٌ ـــ اعذرني، فأنا لست سوى رسول بريء.

روزالند : ان الصبر نفسه يعجز عن تحمل هذا ـــ تقول بأني لست جميلاً، وإني أفتقر الى قواعد الأدب، وإني متكبر، وإنها لا تستطيع أن تحبني ولو أصبح الرجل نادر الوجود كالعنقاء... شكراً لله لأني لا أبغي حبها ـــ لماذا تكتب إلي هكذا ؟ خذ أيها الراعي، خذ هذه الرسالة، انها من تدبيجك أنت.

سيلفيوس : اني أحتج على ذلك؛ ان فيبي هي التي كتبتها، وأنا أجهل محتواها.

روزالند : هيا، هيا انك مجنون؛ ان الحب جعلك تهذي ـــ اني أعرف يدها

ـــ ان لها يد مدبرة منزل؛ ولكن هذا لا يهمني ـــ لقد قلت بأنها لم تدبج هذه الرسالة؛ ان هذه الكتابة تمّت على يد رجل.

سيلفيوس : انها يدها.

روزالند : ولكن أسلوبها هذا أسلوب متوحش ـــ ان عقل المرأة الضعيف لا يستطيع أن يستنبط تعابير بهذه القساوة، حتى لأن سواد معانيها يغلب على سواد حروفها... هل تريد أن تسمع الرسالة ؟

سيلفيوس : نعم، لأني أجهل محتواها، رغم اني أعلم قساوة فيبي.

روزالند : اسمع ما تقوله هذه المرأة الطاغية ـــ (تقرأ).

هل أنتَ إله تحوّل الى راعٍ،
أنت الذي أشعل قلب عذراء ؟

هل تستطيع امرأة أن تتمادى في الإهانة إلى هذا الحد ؟

سيلفيوس : هل تسمين هذا اهانة ؟

روزالند : لماذا تتخلى عن ألوهيتك
وتحارب قلب امرأة !
هل سمعت في حياتك إهانة مثل هذه ؟
ان ملاحقة الرجل لي بنظراته
لم تستطع أن تلحق بي الأذى
انها تعتبرني حيواناً ـــ
اذا كان الاحتقار الذي في عينيك المتألقتين
قد أوحى إليَّ بهذا الحب،
فإن حنانها كان سيحدث
فيَّ أثراً أعجز عن وصفه !
اذا كنتُ قد أحببتك وأنت توبخني،
فكيف بي لا أحبك وأنت تتوسل إليَّ !
ان من يحملُ اليك حبي،
يشك قليلا بهذا الحب
أعلمني بواسطته، برسالة منك

ما اذا كان قلبك الفتي
يقبل بأن أقدم له بكل صدق
شخصي وكل ما أملك؛
وإذا كنت ترفض حبي
فلن يبقى أمامي سوى الموت.

سيلفيوس : هل تسمي هذا ذمّاً ؟

سيليا : مسكين أيها الراعي !

روزالند (مخاطبة سيليا) : تتحسرين عليه ؟ انه لا يستحق الشفقة (مخاطبة سيلفيوس) هل بإمكانك أن تحب امرأة كهذه ؟ ماذا ! انها تتلاعب بعواطفك ! هذا أمرٌ لا يطاق. عُد اليها وقل لها : إذا كانت تحبني، فإني أفرض عليها أن تحبّك، وإذا كانت ترفض ذلك، فإني سأكرهها إلى اليوم الذي ستتوسط أنت من أجلها... ان كنت تحب بصدق، فما عليك إلا أن تذهب وتكف عن الكلام ! لأنه هوذا رفاقٌ لنا قد وصلوا. (يخرج سيلفيوس).

(يدخل اوليفير وبيده قماش أبيض ملطخ بالدم)

اوليفير : صباح الخير ! هل لك أن ترشديني إلى حظيرة محاطة بأشجار الزيتون، قيل لي بأنها توجد في هذه الغابة ؟

سيليا : انها توجد في الناحية الشرقية من هذا المكان، في أسفل الوادي القريب، هل ترى هذا الصف من أشجار الصفصاف الممتدة بمحاذاة الجدول ؟ انها عن يمينه ــ ولكن في مثل هذا الوقت لا يوجد أحدٌ في الحظيرة.

اوليفير : هل أنتما من يملك الحظيرة التي أبحث عنها.

سيليا : أنت قلت ؟

اوليفير : ان اورلاندو بعث معي الى الفتى الذي يسميه روزالند هذا المنديل الملطخ بالدم. هل هو أنت ؟

روزالند : أنا هو... ماذا يعني هذا ؟

اوليفير : إني أخجل أن أعلن من أنا، ولماذا هذا المنديل قد تلطخ بالدم.

سيليا : أرجوك، تكلم !

اوليفير : لقد وعدكما الشاب اورلاندو، عندما ترككما مؤخراً أنه سيعود ويلتقيكما خلال ساعتين. كان يمشي في الغابة وهو يحلم، واذا به يرى فجأة رجلاً بائساً يرقد في ظل شجرة عاتية وقد طوقت عنقه أفعى مزركشة راحت تحاول ادخال رأسها من فمه المفتوح. ولما فوجئت برؤية اورلاندو تركته وانسابت خلف فراخ من الأشجار كانت تختبىء خلفها لبؤة. كانت هذه الأخيرة تنتظر أن يستفيق الرجل لتجهز عليه، لأنها تأبه أن تكون فريستها ممن تبدو عليهم علامة الموت. ولما رآه اورلاندو، عرف فيه شقيقه الأكبر.

سيليا : لقد سمعته يتحدث عن شقيقه هذا... كان يصوره رجلاً فاسداً.

اوليفير : لقد كان على حق؛ لأني أعلم أنا كم كان فاسداً.

روزالند : ولكن هل تركه اورلاندو تحت رحمة اللبؤة الجائعة والمنهارة القوى ؟

اوليفير : لقد حاول الانكفاء، ولكن التسامح يبقى أمضى من الحقد؛ وهذا ما دفعه الى مغالبة اللبؤة والانتصار عليها. أما أنا فقد أفقت من نومي الرهيب على الضوضاء التي أحدثها صراعهما.

سيليا : أنت اذن شقيقه ؟

روزالند : أنت اذن من خلصه ؟

سيليا : أنت اذن من تآمر عليه غالباً لقتله ؟

اوليفير : أنا هو، ولكني لست بعد الذي حصل، هو ــ لن أخجل أن أعلن لكما مَن أنا، بعد أن جعلني اهتدائي الى الحقيقة سعيداً في الكشف عن حقيقة أخرى.

روزالند : ولكن ما حكاية هذا المنديل الملطخ بالدم ؟

اوليفير : سأقصها لكما في الحال ؟ بعد أن انهمر الدمع من عيوننا نحن الاثنين نتيجة ما حصل، وبعد أن رويتُ لشقيقي كيف وصلتُ الى هذه الصحراء، اقتادني بسرعة الى الدوق الذي قدّم إليَّ لباساً جديداً ووجبة خفيفة من الطعام، وترك لشقيقي أمر الاعتناء بي ــ بعد ذلك اقتادني مباشرة الى مغارته، حيث نزع ملابسه، وإذا بذراعه مصابة بجرح ما برح ينزف دماً؛ وفي الحال أُغمي عليه عندما تلفظ باسم روزالند ــ ولما استعاد وعيه وضمدت له

جرحه، أرسلني الى هنا، أنا الغريب، لأقص عليكما ما حصل له ومنعه من الوفاء بوعوده علّكما تعذراه، وقد أوصاني أن أحمل هذا المنديل الملطخ بالدم الى الراعي الذي يسميه روزالند.

سيليا (ساندة روزالند المغمى عليها) : ما بك ؟

اوليفير : ان العديد من الناس يغمى عليهم لدى رؤيتهم الدم.

سيليا : آمل أن يكون الأمر هكذا !

اوليفير : انه يستعيد وعيه.

روزالند : أريد العودة الى المنزل.

سيليا : سنقودك اليه. (مشيرة الى اوليفيير) أرجوك أمسك بذراعه.

اوليفير (مصطحباً روزالند) : عُد الى نفسك أيها الفتى ! يبدو أنك لا تملك قلب رجل.

روزالند : اني أُقرُّ بذلك... حسناً بلِّغ شقيقك كيف اني قمت بدور المغمى عليه ــ آه ــ (تتنهد بألم)

اوليفير : لم يكن هذا من باب التمثيل ــ ان شحوب وجهك يشهد على صدق الشعور الذي تملك.

روزالند : انه مجرد تمثيل أؤكد لك ذلك.

اوليفير : حسناً ! استعد قواك وكن رجلاً.

روزالند : هذا ما أحاول القيام به... ولكن في الحقيقة، كان ينبغي لي أن أكون امرأة.

سيليا : انك تزداد شحوباً؛ أرجوك، لنعد... تعال معنا أيها السيد.

اوليفير : بكل طيبة خاطر، فإني أريد أن أحمل الى شقيقي كيفية اعتذار روزالند.

روزالند : سأفكر في الأمر ــ ولكن أرجوك قل له، كيف مثّلت دور المغمى عليه... أتريد أن نذهب ؟

(يخرج الجميع)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(يدخل بيار دي توش واودري)

بيار دي توش : مهلاً أودري، لا بد وإننا واجدون الفرصة المناسبة.
اودري : ان ذلك الكاهن كان كافياً، لقد صدق ذلك النبيل العجوز.
بيار دي توش : مسكين، أوليفير هذا... يوجد هنا في الغابة فتىً يطمع فيك.
اودري : نعم، اني أعلم من هو؛ ليس له أي سلطان عليَّ... هوذا الرجل الذي تتكلم عنه.

(يدخل وليم)

بيار دي توش : أقسمُ، بأننا نحن رجال الفكر، علينا دائماً أن نحمل لواء السخرية؛ اننا لا نستطيع إلا أن نفعل ذلك.
وليم : مساء الخير، أودري !
اودري : حيّاك الله، وليم !
وليم (مخاطباً بيار دي توش) : مساء الخير أنت أيضاً يا سيدي !
بيار دي توش : مساء الخير يا عزيزي ! استر رأسك، استر رأسك، أرجوك... كم من العمر لك يا عزيزي ؟

وليم : خمس وعشرون سنة يا سيدي.

بيار دي توش : لقد أصبحت ناضجاً ! اسمك وليم ؟

وليم : نعم.

بيار دي توش : اسم جميل ! هل أنت مقيم هنا في الغابة ؟

وليم : نعم، والحمد لله !

بيار دي توش : الحمد لله ! انه جواب رائع ! هل أنت غني ؟

وليم : ما بين بين.

بيار دي توش : هذا رائع أيضاً. هل أنتَ حكيمٌ ؟

وليم : نعم اني عاقل بما فيه الكفاية.

بيار دي توش : انك تحسن الإجابة ـــ الآن تذكرت القول المأثور؛ ان المجنون يحسب نفسه حكيماً والحكيم يحسب نفسه مجنوناً ـــ ان الفيلسوف الوثني عندما كان يريد أن يأكل عنقود عنب، كان يفتح شفتيه في اللحظة التي كان يتناول فيها حبات العنب، مشيراً بذلك إلى أن حبات العنب معدّة لأن تؤكل، في حين أن الشفاه معدّة لأن تفتح ـــ مشيراً إلى أودري ـــ هل تحب هذه الصبية ؟

وليم : نعم يا سيدي.

بيار دي توش : هات يدك ـــ هل أنت عالم ؟

وليم : كلا يا سيدي.

بيار دي توش : حسناً، تعلم اذن هذا ـــ ان تملك هو أن تملك ـــ ان السائل عندما ينقل من وعاء الى وعاء آخر، يملأ أحدهما ويبقى الآخر فارغاً. والآن، أنا هو...

وليم : ماذا يا سيدي ؟

بيار دي توش (مشيراً الى أودري) : أنا هو الذي يجب أن يتزوج من هذه المرأة. لذلك أنذرك أيها الفظ بأن تتركها وشأنها وإلا قضيت عليك بالسم، بالضرب، بالحديد، وقطعتك ارباً ارباً ! فاخش عاقبة ما أنذرتك به وارحل من هنا.

اودري : اذهب من هنا، وليم !

وليم : ليسعدك الله يا سيدي ! (يهرب وليم).

(يدخل كوران)

كوران (مخاطباً بيار دي توش) : ان سيدي وسيدتي يطلبانك؛ هيا لنذهب !
بيار دي توش : اهربي، اهربي اودري... فأنا ذاهب، ذاهب.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(قرب مغارة اورلاندو)

(يدخل اورلاندو وذراعه مشدودة بمنديل، يتبعه اوليفيير)

اورلاندو : هل يُعقل بأنك ما ان رأيتها، حتى أعجبت بها، وأحببتها، وترغب الآن في طلب يدها والحصول عليها ؟
اوليفير : لا تجادلني في تسرعي هذا ولا في قبولها المفاجىء لطلبي إياها؛ ولكن قل معي بأني أحبها وإنها تحبني، وأعترف معنا بأننا قادران على الزواج؛ وهذا سيكون لصالحك، لأني سأتنازل لك عن كل ما ورثته من أبي، وأمضي بقية حياتي كراعٍ هنا.
اورلاندو : اني موافق — وليكن غداً يوم العرس ! سأعود اليه الدوق وجميع أفراد حاشيته — هيا عجِّل في طلب آليانا؛ هيا ان روزالند قد أتت.
روزالند (مخاطبة أوليفيير) : ليحمك الله أيها الشقيق.
اوليفير : وأنت أيضاً أيتها الشقيقة العزيزة.
روزالند : حبيبي اورلاندو، كم يحز في قلبي أن أراك تحمل قلبك فوق منديل.

اورلاندو : هذه ذراعي وليس قلبي.
روزالند : كنت. أعتقد بأن قلبك قد جرحته مخالب تلك اللبؤة.
اورلاندو : انه مجروح ولكن بفعل عيون امرأة.
روزالند : هل أخبرك شقيقك كيف مثلت دور المغمى عليه عندما أظهر لي المنديل الملطخ بالدم ؟
اورلاندو : لقد أخبرني عن ذلك وعن أمور أخرى خارقة.
روزالند : اني أعرف إلى أين تريد أن تصل... اني لم أرَ أمراً تم بمثل هذه السرعة سوى ما قاله قيصر إثر انتصاره الشهير؛ لقد قدمت ورأيت وانتصرت — نعم، ان شقيقك وشقيقتي التقيا، وتعارفا وتحابّا وتواعدا على الزواج بسرعة فائقة — وإذا حيل الآن بينهما وبين الزواج فقدا طهارتهما — ان الضرب المبرح لن يفرِّق بينهما.
اورلاندو : سنحتفل بزواجهما غداً، وندعو الدوق لحضور الزفاف ولكن كم هو قاسٍ أن يرى الإنسان السعادة بعيون سواه ! غداً، بمقدار ما سأرى شقيقي سعيداً لحصوله على مبتغاه، بمقدار ذلك ستزداد تعاستي.
روزالند : هيا ! هل بإمكاني أن أحل غداً مكان روزالند بالنسبة اليك ؟
اورلاندو : لم أعد أستطيع العيش في الخيال.
روزالند : لا أريد أن أثقل عليك بعد الآن بتعابير فارغة، ليكن معلوماً لديك بأنك رجل تستحق كل تقدير... لا أقول هذا لأظهر أمامك بأني صاحب علم وفير لمعرفتي مَن أنتَ. إذا كنت أطمع في تقديرك لي فلكي أوحي اليك بمزيد من الثقة بالنفس ومن الشجاعة وذلك دون أن أحط من قدري أنا — ثق اذن بأني أستطيع القيام بأعمال خارقة — لقد صحبت منذ الثالثة من عمري ساحراً على جانب كبير من العلم الذي لا يرقى اليه شك — فإذا كنت تحب روزالند بهذه الحرارة التي تُستشف من تصرفك فإنك ستتزوجها غداً، عندما سيتزوج شقيقك من آليانا — اني أعرف التعاسة التي أوصلك اليها القدر؛ وليس من العسير علي إذا كنت توافق على ذلك، أن أستدعيها غداً، فتمثل أمامك شخصياً وبدون أن يصيبها أي مكروه.
اورلاندو : هل تتكلم بجد ؟

روزالند : اني أقسم بحياتي التي أحب اني أقول الصدق، رغم اني أعترف بأني ساحرٌ ــ وعليه، أرتدي غداً أجمل ملابسك، وادع أصدقاءك؛ فإنك اذا كنت ترغب في الزواج غداً، فإنك ستحصل عليه ومن روزالند بالذات.

(يدخل سيلفيوس وفيبي)

أنظر هوذا عاشق وعشيقته.

فيبي : أيها الفتى لقد أظهرت بأنك عديم التهذيب؛ عندما كشفت عن الرسالة التي أرسلتها اليك.

روزالند : هذا لا يهمني ــ اني أتعمّد الظهور بمظهر المحتقر وعديم التهذيب حيالِك ــ ان راعياً أميناً يتبعك، انظري اليه وأحبيه، انه يحبك حتى العبادة.

اودري (مخاطبة سيلفيوس) ــ أيها الراعي الأمين قل لهذا الفتى ما معنى الحب ؟

سيلفيوس : هو أن تتنهد وينهمر الدمع من عينيك؛ وهذا ما أفعله نحو فيبي.

فيبي : وأنا بالنسبة الى اله الحب.

اورلاندو : وأنا بالنسبة الى روزالند.

روزالند : وأنا ولكن ليس بالنسبة الى المرأة.

سيلفيوس : هو أن يكون المرء أميناً ومخلصاً؛ وهذا ما أفعله نحو فيبي.

فيبي : وأنا بالنسبة الى اله الحب.

اورلاندو : وأنا بالنسبة الى روزالند.

روزالند : وأنا ولكن ليس بالنسبة الى روزالند.

سيلفيوس : هو أن تهيم بمن تحب، وتضحي بكل رغبة، وتتضرع وتصبر، وتطيع وتكون طاهراً، كلُّ هذا من أجل الحبيب ــ وهذا ما أفعله نحو فيبي.

فيبي : وأنا بالنسبة الى اله الحب.

اورلاندو : وأنا بالنسبة الى روزالند.

روزالند : وأنا ولكن ليس بالنسبة الى المرأة.

فيبي (مخاطة روزالند) : اذا كان الأمر هكذا فلماذا تلومينني في حبك ؟

سيلفيوس (مخاطباً فيبي) : إذا كان الأمر هكذا، فلماذا تلومينني في حبك ؟

اورلاندو : اذا كان الأمر هكذا فلماذا تلومينني في حبك ؟

روزالند : لمن تقول : لماذا تلومينني في حبك ؟
اورلاندو : إلى التي ليست هنا، ولا تستطيع سماعي.
روزالند : اهدأ، أرجوك ! (مخاطبة سيلفيوس) إذا كان بإمكاني أن أخدمك فأنا مستعدٌ (مخاطبة فيبي) كنتُ أحببتك لو استطعت ذلك ــ غداً، تعالوا جميعاً باحثين عني (مخاطبة فيبي) سأتزوج منك إذا ما فكرت غداً في الزواج (مخاطبة اورلاندو) سأسعى إلى اسعادك إذا كان الأمر بإمكاني أن أسعد رجلاً، ستتزوج غداً (مخاطبة سيلفيوس) سأسعدك، ستتزوج غداً (مخاطبة اورلاندو) اذا كنت تحب روزالند فكن دقيقاً (مخاطبة سيلفيوس) وأنت أيضاً إذا كنت تحب فيبي... وأنا أيضا سأكون كذلك بصفتي لا أحب امرأة ــ وعلى هذا، وداعاً ! لقد بلغتكم أوامري.
سيلفيوس : لن أتأخر عن الموعد إذا بقيت حياً.
فيبي : ولا أنا أيضاً.
اورلاندو : ولا أنا أيضاً.

(يخرج الجميع)

المشهد الثالث

(تحت العريش)

(يدخل بيار دي توش وأودري)

بيار دي توش : غداً هو اليوم السعيد، أودري، غداً سنتزوج.

اودري : اني أتوق الى ذلك بكل جوارحي، وأعتبر ان رغبتي في أن أصبح زوجة مستقرة، هي رغبة نبيلة... ان اثنين من خدم الدوق المنفي يتقدمان الى هنا.

(يدخل خادمان)

الخادم الأول (مخاطباً بيار دي توش) : يا له من لقاءٍ سعيد أيها النبيل !

بيار دي توش : نعم، انه لقاءٌ سعيد ! هيا اجلس وابدأ بالغناء !

الخادم الثاني : اننا رهن اشارتك، اجلس في الوسط.

(يجلس بيار دي توش وسط الخادمين)

الخادم الأول (مخاطباً الخادم الثاني) : لنغنِّي بدون أن نعطس أو نبصق.

الخادم الثاني : لنغنِّي نحن الإثنين على ذات اللحن.

أغنية

كان حبيب وحبيبة
يجتازان حقل قمح أخضر،
في الربيع، فصل الزفاف،
والعصافير تغني !
حبيبان رقيقا الشعور مغرمان بالربيع.
بين صفوف القمح، رقد الرفيقان،

في الربيع، فصل الزفاف...
وراحا يغنيان.
الحياة زهرة،
في الربيع...
استفيدوا إذن من الوقت الحاضر،
فإن الحب يتكلل بباكورة العمر،
في الربيع...

بيار دي توش : في الحقيقة، ان كلام هذه الأغنية لا يعني شيئاً كثيراً، وكذلك لحنها غير متجانس.

الخادم الأول : أنت تخدع نفسك يا سيدي، لقد راعينا الأصول في غنائنا، ولم نضع وقتنا.

بيار دي توش : أقسم بأن سماع أغنية تافهة كهذه هو مضيعة للوقت — رافقكما الله، وشذّب صوتكما ! هيا أودري !

(يخرج الجميع)

المشهد الرابع

(كوخ الأميرات وقد علته زينة كزينة العيد)

(يدخل كل من الدوق المسن، اميان، جاك، اورلاندو، اوليفير، سيليا)

الدوق المسن : أتعتقد، أورلاندو، بأن هذا الفتى هو قادر على تحقيق كل ما وعد به ؟

اورلاندو : تارة أعتقده قادراً على ذلك، وتارة أخرى أشك في قدرته؛ ان حالي معه كحال شخصٍ يخاف ولكنه يأمل رغم خوفه.

(تدخل روزالند، سيلفيوس، وفيبي)

روزالند : قليلاً من الصبر، ريثما نوجز ما يجب أن نتفق عليه ! مشيرة إلى الدوق — تقول بأني إذا أحضرت روزالند إلى هنا ستعطيها الى أورلاندو الواقف أمامك ؟

الدوق المسن : نعم ولو كلفني ذلك أن أعطي معها ممالك بكاملها.

روزالند (مخاطبة اورلاندو) : وأنت تقول بأنك ستقبلها بمجرد أن أقدمها اليك ؟

اورلاندو : نعم ولو أصبحت ملكاً على جميع الممالك !

روزالند : مخاطبة فيبي — وأنتِ تقولين بأنك ستتزوجين مني إذا أردتُ ذلك ؟

فيبي : نعم ولو كلفني ذلك الموت بعد ساعة من حصوله !

روزالند (مشيرة الى سيلفيوس) : ولكن اذا رفضتِ الزواج مني، فإنك ستتزوجين من هذا الراعي الأمين !

فيبي : هذا ما اتفقنا عليه.

روزالند (مخاطبة سيلفيوس) : أنتَ تقول بأنك ستتزوج فيبي اذا أرادت ذلك.
سيلفيوس : ولو كلفني ذلك أن أتزوج الموت !
روزالند : لقد وعدت بأن أتدبَّر كل هذا ـــ مقدِّمة أورلاندو الى الدوق ـــ عليك أن تفي بوعدك وتعطه ابنتك ـــ وأنتَ أورلاندو عليك أن تفي بوعدك وتقبل بابنته... فيبي، عليك أن تفي بوعدك وتتخذينني زوجاً لك، وإذا رفضتِ أن تتزوجي من هذا الراعي... سيلفيوس، عليك أن تفي بوعدك وتتخذها زوجة لك إذا رفَضتني ! وعليه، سأمضي لأحل جميع هذه الإشكالات.

(تخرج كل من روزالند وسيليا)

الدوق المسن : يبدو لي أن هذا الراعي يحمل العديد من سمات ابنتي.
اورلاندو : سيدي، في المرة الأولى التي التقيت فيها بهذا الفتى، اعتقدت نفسي أمام شقيقٍ لابنتك. ولكن هذا الفتى من مواليد هذه الغابة، لقد لقَّنه عمه أصول بعض العلوم الميؤس منها؛ وهو يزعم بأن عمه هذا ساحر مختبىء في هذه الغابة.

(يدخل بيار دي توش وأودري)

جاك : يجب أن يحدث طوفان آخر، ليستطيع جميع الأزواج من دخول سفينة نوح ! هو ذا زوجان من المجانين.
بيار دي توش : السلام عليكم !
جاك (مخاطباً الدوق) : سيدي أحسن استقباله، انه نبيل ظريف، طالما التقيته في الغابة : لقد كان من رجال البلاط كما يزعم.
بيار دي توش : إذا كان أحدكم يشك في كوني من رجال البلاط، فليخضعني للفحص ! لقد سبق لي ورقصت ولاطفت بعض السيدات، وكنت متملقاً مع أصدقائي ومداعباً أعدائي، وأجهزت على ثلاثة خياطين، ودخلت في أربع مشاجرات.
جاك : وكيف انتهت المشاجرة الأخيرة ؟
بيار دي توش : حسناً، لقد التقينا، واتفقنا على أن المشاجرة قد بلغت أوجها.

جاك : سيدي، لا تغضب من هذا الرفيق.
الدوق المسن : إنه يسعدني.
بيار دي توش : كافأك الله يا سيدي ! إني سعيد أيضاً للقائك... لقد أسرعت إلى هنا بين هؤلاء الأزواج لأعقد زواجي. مشيراً الى أودري إنها صبية مسكينة لم يشأ أحد أن يتزوجها !
الدوق المسن : إن كلامك مشرق وحكمي.
بيار دي توش : انه كذلك بمقدار ما تسمح به صفات مجنون مثلي !
جاك : ولكن لنعد الى المشاجرة الأخيرة.
بيار دي توش : اجلسي بشكل لائق، أودري ! اليك ما حصل يا سيدي. لقد انتقدت أحد أفراد البلاط لأنه أساء تشذيب لحيته؛ فوقع الشجار بيننا. ففي حين كان هو يصر على أنه أحسن تشذيبها، كنت بدوري أصر على أنه أساء تشذيبها.
جاك : وكيف انتهى الأمر بينكما ؟
بيار دي توش : أعاد كل منا سيفه الى غمده وافترقنا.
جاك (مخاطباً الدوق المسن): انه فتى نادر الوجود، انه يحسن كل شيء ومع ذلك فإنه مجرد مجنون.
الدوق المسن : إن جنونه ليس سوى حصان يطلق من عليائه ومضات فكره.

(تدخل روزالند بلباس امرأة تتبعها سيليا ــ تعزف الموسيقى)

الزفاف

تفرح السماء عندما جميع الناس على الأرض،
يتفقون ويعيشون في وئام.
أيها الدوق الطيب، خذ ابنتك
ان الزفاف أنزلها من السماء،
وآتى بها إلى هنا،
لكي تزوجها من الذي تحمل قلبه في صدرها.

روزالند (مخاطبة الدوق) : اليك أهب نفسي لأني لك. مخاطبة اورلاندو اليك أهب نفسي لأني لك.

الدوق المسن : إذا كانت هذه الرؤيا لا تخدعني فأنتِ ابنتي.
اورلاندو : إذا كانت هذه الرؤيا لا تخدعني، فأنتِ روزالند.
فيبي : إذا كانت هذه الرؤيا لا تخدعني ولا هذا الشكل، فوداعاً يا فيبي...
روزالند (مخاطبة الدوق المسن) : لا أريد أن يكون لي أبٌ سواك (مخاطبة أورلاندو) لا أريد أن يكون لي زوج سواك (مخاطبة فيبي) اذا كان لي أن أتزوج امرأة، فلن أتزوج سواكِ.

الزفاف

سكوت ! إني لا أرضى بالفوضى !
عليَّ أنا أن أختم هذه الأحداث الغريبة.
هؤلاء الخاطبون الثمانية يجب أن يتزوجوا.
(مخاطباً اورلاندو وروزالند) لن تفترقا بعد الآن.
(مخاطباً اوليفيير وسيليا) كل منكما يحمل في قلبه قلب صاحبه.
(مقدماً سيليفيوس الى فيبي) عليك أن ترضخي لحبه والا تزوجت من امرأة.
(مخاطبا بيار دي توش واودري) لقد وقف كل منكما نفسه على صاحبه.

كما يفعل الشتاء بالنسبة للطقس البارد.
بينما نحن نغني، اطرحوا ما شئتم من الأسئلة،
علَّ العقل يهدأ من تعجبكم، شارحاً لقاءنا وهذه الخاتمة.

أغنية

ان الزفاف يملأ كل المدائن.
ليتمجد الزواج العظيم،
انه الرباط المقدس،
ليتمجد الزفاف إله كل المدائن.

الدوق المسن : ابنة أخي الحبيبة، أهلاً بكِ، انكِ بمثابة ابنتي الثانية.

فيبي (مخاطبة سيلفيوس) : لن أتراجع عن كلامي، من الآن وصاعداً أن لي. إن وفاءك استحق حبي لك.

(يدخل جاك دي بوا)

جاك دي بوا : أيها الحفل الكريم اسمحوا لي بكلمة ! أنا الولد الثاني للسيد رولان المسن؛ إني أحمل اليكم الأخبار التالية ! إن الدوق فريديريك، لما تيقن بأن العديد من الشخصيات المرموقة، تتوافد يومياً إلى هذه الغابة، أعد قوة عظيمة ومشى على رأسها ليفاجىء شقيقه هنا، ويقضي عليه. وما كاد أن يصل إلى حدود هذه الغابة المقفرة، حتى صادف راهباً مسناً؛ وبعد أن كلمه لبرهة وجيزة، عدل عن مشروعه، وزهد في العالم، تاركاً تاجه لشقيقه المنفي، ومعيداً جميع الأراضي المصادرة لأصحابها المنفيين معه.

الدوق المسن : أهلاً بك أيها الفتى ـــ انك تقدم لإخوتك هدية جميلة بمناسبة زواجهم؛ انك تعيد للبعض أراضيه المصادرة، وللبعض الآخر مُلكاً واسعاً وإمارة قوية ـــ ولكن لننهي أولاً ما كنا قد بدأناه ـــ ومن ثم يكون لكل من هؤلاء المختارين الذين عانوا معنا طوال الأيام والليالي المشقات التي فرضت علينا، نصيبه من اليسر الذي أُعيد الينا، وذلك على قدر استحقاقه ـــ وبانتظار ذلك، لنستسلم إلى أفراحنا الريفية ! لتعزف الموسيقى ! وأنتم أيها الأزواج، هيا ارقصوا وافرحوا.

جاك (مخاطباً جاك دي بوا) : عذراً سيدي ـــ ان الدوق اعتنق الحياة الرهبانية وكفر بأمجاد القصر ؟

جاك دي بوا : نعم.

جاك : أريد أن أقيم معه؛ فبالقرب من هؤلاء المهتدين، يستطيع المرء أن يتعلم الكثير (مخاطباً الدوق المسن) اني أتركك لأمجادك القديمة التي استحقها صبرك وفضيلتك (مخاطباً أورلاندو) وأنت أتركك لحبك الذي استحقه لك ثباتك (مخاطباً اوليفير) وأنت أتركك لأملاكك، وحبك، وأنصارك الأقوياء (مخاطباً سيلفيوس) وأنت أتركك لزواج طالما جاهدت للحصول عليه (مخاطباً بيار دي توش) وأنت أتركك للمشاجرات الزوجية، لأن ما تملكه

يداك لن يكفيك خلال رحلة شهر العسل ـــ استسلموا إلى ملذاتكم؛ أما أنا فسأغرق في ملذات أخرى.

الدوق : لا تغادرنا يا جاك، لا تغادرنا.

جاك : لم أخلق للقيام بأمور هي مضيعة للوقت... أوامرك، سأتلقاها في مغارتك المهجورة. (يخرج).

الدوق : سندشّن هذه الأعياد آملين أن تصل بنا الى خاتمة سعيدة.

(رقص)

نهاية

روزالند (مخاطبة المشاهدين) : أيتها النسوة أدعوكن إلى أن تصفقن في هذه المسرحية لكل ما يعجبكن؛ افعلن ذلك بحق الحب الذي تضمرنه للرجال ـــ وأنتم أيها الرجال، بحق الحب الذي تكنه للنساء، أدعوكم الى أن تساهموا مع النساء في إنجاح هذه المسرحية... لو كنت امرأة لضميتُ من بينكم جميع أصحاب اللحى الجميلة، والطلعات الوسيمة، والأنفاس التي لا تحملني على الاشمئزاز منها، وإني على يقين أن جميع أصحاب اللحى الجميلة، والطلعات الوسيمة، والأنفاس الناعمة، يودّون بالمقابل إذ أحييهم أن يردوا التحية بالمثل مرددين من أعماق قلوبهم وداعاً.

(يخرج الجميع)

﴿ تمّت ﴾

Bibliotheca Alexandrina
0463861